الشارع المغاربي
أسبوعية مستقلّة تحترم القارئ

افتتاحية

في التمييز العلني بين الأهلي والمدني

بقلم : د. رفيق بوجدارية

العدد 423 - من الثلاثاء 17 إلى الاثنين 23 سبتمبر 2024 - الموقع الالكتروني www.acharaa.com- البريد الالكتروني : maghrebstreet@gmail.com

تقرير «فيتش رايتنغ» ينسف السردية الاقتصادية للسلطة

موقف الأسبوع

موقفنا من الانتخابات الرئاسية بين الوفاء للشهيد المؤسّس والثبات على موقف الحزب

بقلم : زهير حمدي

هل قرأنا السيد قيس سعيد جيّدا؟

بقلم : مسعود الرمضاني

سجالات نقابية

اتّحاد الشّغل :
هل هي أزمة «المدرسة العاشوريّة» في العمل النّقابي؟

بقلم : د. رضا مقني

الاتحاد العام التونسي للشغل :
المساس بالفصل العشرين أو الخطيئة الكبرى

بقلم : عبد السلام الككلي

في التمييز العلني بين الأهلي والمدني

بقلم : أد. رفيق بوجدارية

كثيرا ما يحصل الخلط أو التداخل بين مفهوم المجتمع الأهلي ودلالة المجتمع المدني، وكأنهما عند البعض شيء واحد. وينتج هذا الخلط إما عن فجوة معرفية بريئة أو عن قصد ممنهج في علاقة بمرجعيات وخلفيات تريد السيطرة على المجتمع..

المجتمع الأهلي هو الحالة البدائية القائمة على علاقات المجتمع التقليدية من عائلية وعشائرية وقبلية وطائفية.. والتي تستند إلى علاقات القرابة والجوار والمذهب والدين. والمجتمع الأهلي هو حالة مغلقة تنتظم وفق الصلات المذكورة وليست بناء على خيار طوعي أو قانوني أو مؤسساتي بل ترتكز على نظام إنتاج قديم عادة ما يكون في بلدان زراعية ما قبل حداثية.. ويقف هذا التنظم الأهلي على طرف نقيض وعلى عكس المجتمع المدني الذي يشكل في المقابل حالة مفتوحة لا تحدها الروابط العائلية والقبلية والمذهبية، فهو نسيج من جمعيات ومنظمات ينشئها أشخاص مواطنون لديهم أهداف مشتركة أو يعملون لنصرة قضية مشتركة. وهي مكونات مدنية مستقلة عن الحكومة أي أنها لا تعمل ولا تتطور إلا من خلال مساحة للحرية وفي نظام يحترم الإختلاف. وعلى عكس المجتمع الأهلي، فإن المجتمع المدني يشترط الديمقراطية والحرية كضمان لوجوده الفعلي وعمله وتطوره.

يعود الحديث عن المجتمع المدني إلى القرن 17 وإلى الثورة الفرنسية ثم إلى كتابات أنطونيو قرامشي الذي طرح موضوع المجتمع المدني في إطار السيطرة على المجتمع وإستخدامه في بناء إستراتيجية الثورة من منطلق ماركسي شيوعي.. لكن أمام تطور المجتمعات وما رافقه من تطوير للديمقراطية وإتساع رقعتها أصبح تعريف المجتمع المدني بأنه المجال الواقع خارج نطاق الأسرة والحكومة والسوق.. حيث يتجمع الناس طواعية لرعاية مصالحهم المبنية على التمدن والمواطنة بإشراك المواطن الحر في تحديد مشاكل المجتمع والإسهام في إيجاد حلول مناسبة لها. كما تضطلع مكونات المجتمع المدني بدور هام في ترسيخ وتطوير الديمقراطية، لتخلق داخل المجتمع الديمقراطي ثنائية السلطة والسلطة المضادة وهو مفهوم يشهد على تطور فكرة الديمقراطية داخل أي مجتمع.. إن الثورة الإتصالية التي تعرفها كل المجتمعات والتطور الكبير للمحامل الرقمية ولشبكات التواصل الإجتماعي كلها عناصر تزيد من وتيرة تطور المجتمع المدني وتجدد طرق عمله ونجاعته لكي يصمد أمام كل نزعة تسلطية تريد تقليمه وترويضه أو فسخه وتعويضه.. لأن هذا التطور التكنولوجي يزيد من إمكانية مشاركة الأفراد في الحياة العامة وممارسة حقوقهم وحرياتهم في إطار قانوني يساعد على رعاية مصالحهم وتوجهاتهم كما تساعد التكنولوجيا في حشد الداعمين والناشطين..

إن الحرية الفكرية هي التي تشكل أساس المجتمع المدني الذي يجب أن يكون مجتمع قانون في دولة القانون وهو أمر حاسم في الإعتراف المتبادل بين السلطة من جهة والمجتمع المدني من جهة أخرى في مشروعية الحق في العمل دون معوقات.. وهنا لا بد من التأكيد على أن مشروعية العمل تعني الضغط على السلطة ومساءلتها في إطار توزيع جديد داخل المجتمع.. وهو ما يسمى بالحكم الرشيد وهنا نعود إلى الفرق الكبير بين المجتمع المدني والمجتمع الأهلي الذي هو نتاج تنظيم تقليدي ويهدف إلى المحافظة عليه.. في حين أن تنمية المجتمع وتطويره والحكم الرشيد لا يستقيم إلا من خلال نشر مفاهيم الحياة المدنية والحقوق والحريات. والتمييز يظهر عند تغليب مصلحة القوى الحاكمة على حقوق المواطن. ففي حين تواجهه مكونات المجتمع المدني للحفاظ على مساحة الحرية وهو شرط وجودها تقوم المنظمات الأهلية بالتماهي والتعايش مع حكومات مستبدة.. وهنا تظهر بوضوح الضدية بين المفاهيم في الأهلي والمدني وهي نفس الضدية بين الحرية والإستبداد وبين القانون واللاقانون وبين الانفتاح والإنغلاق .

ولأن لكل شيء تاريخ وميلاد، فإن قانون حل الأوقاف في تونس في بداية الاستقلال وتغيير الصفات الدينية للجمعيات الفنية والرياضة والكشفية يمكن أن يكون تاريخ الإنتقال من المكونات الأهلية إلى المكونات المدنية التي أعطت للمجتمع التونسي على مدى عقود ثقافة بل هوية مدنية يصعب التراجع عنها والدور الذي لعبه المجتمع المدني التونسي بعد 2011 لخير دليل لما أعتقده.. وكذلك ماهية الإقتصاد الإجتماعي فهي تقوم على فكرة المواطنة والتسيير الذاتي من أجل النهوض الإجتماعي فإن قانون الإقتصاد الإجتماعي والتضامني لسنة 2018 يتسع لكل أنواع المكونات من جمعيات وتعاونيات وتعاضديات وشركات تعاونية وتضامنية.. وأهلية.

الشارع المغاربي
تصدر عن شركة «كوثر العالمية للاتصال»
شركة محدودة المسؤولية

المؤسسة والمديرة المسؤولة
كوثر زنطور

مستشاران لدى إدارة التحرير
برتبة رئيس تحرير :
معز زيّود - الحبيب القيزاني

كتّاب افتتاحيات :
الصادق بلعيد - حمادي بن جاءبالله - عز الدين سعيدان - نائلة السليني - ألفة يوسف - خالد عبيد - جمال الدين العويديدي- عبد الواحد المكني - رفيق بوجدارية - أحمد بن مصطفى - فوزي البدوي - زهير بن يوسف - مولدي الاحمر

مستشارو التحرير :
صالح مصباح - صلاح بوزيان - أنس الشابي - نهلة عنان - مسعود رمضاني - أسعد جمعة - عامر الجريدي

الملحق الثقافي :
منير الفلاّح - عواطف البلدي

الفريق الثقافي :
زهير بن يوسف - عبد الوهاب البراهمي - محمد الكحلاوي - أنور الشعافي - رضا القلال - الطيب الطويلي - هيام الفرشيشي - شفيع بالزين - علاء الدين السعيدي - خليل قويعة - الحبيب بيدة - محمد رضا البقلوطي - صالح السويسي - بهيجة بالربيع بنرقية

الريبورتاجات :
محمد الجلالي

التحرير :
منى المساكني - خالد النوري - تميم أولاد سعد - كريمة السعداوي - ياسين بيّوض

الشارع القضائي :
لطفي واجه

المدير الفنّي :
فيصل بن البشير

مكلفة بمهمة لدى إدارة التحرير:
هيفاء بن محمد

العنوان :
45 شارع آلان سافاري - 1002 تونس
الهاتف : 034 063 36 الفاكس : 065 890 71
www.acharaa.com
contact@acharaa.com

المطبعة: BETA i@beta.com.tn

تقرير «فيتش رايتنغ» ينسف السردية الاقتصادية للسلطة

كوثر زنطور

اعلنت وكالة فيتش رايتنغ للتصنيف الائتماني يوم امس الاثنين 16 سبتمبر 2024 عن الترفيع في التصنيف السيادي لتونس الى " س س س +". وحوّل السياق الانتخابي هذا الاعلان بسرعة الى مادة انتخابية يسوق داعمو المرشح للانتخابات الرئاسية ورئيس الجمهورية المباشر قيس سعيد، على انه انجاز يُحسب على منظومة الحكم الحالية رغم ان التقرير ينسف السردية الاقتصادية للسلطة القائمة.

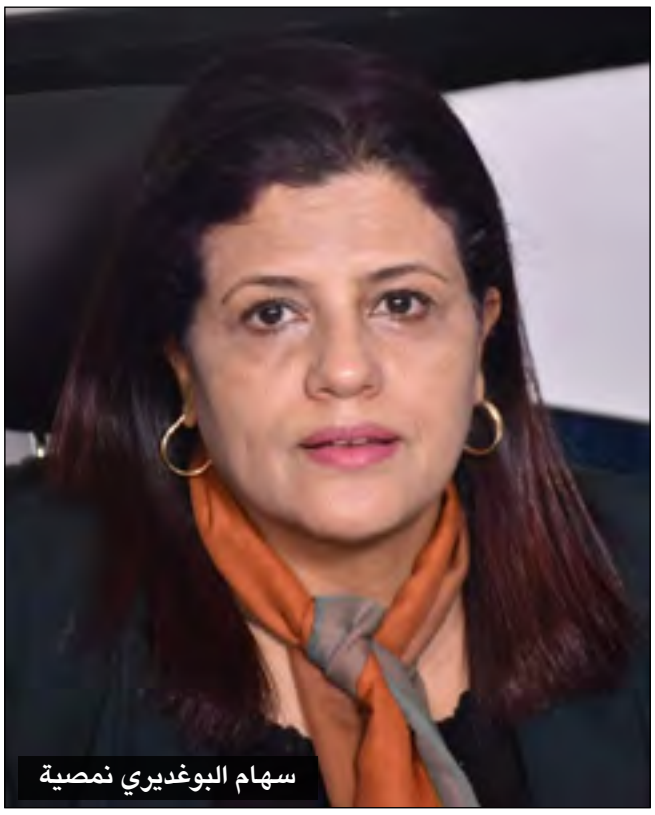
سهام البوغديري نمصية

فتحي زهير النوري

رفعت وكالة " فيتش رايتنغ" الترقيم السيادي لتونس بالعملة الاجنبية على المدى الطويل من " س س س سلبي" الى " س س س ايجابي". للوهلة الاولى، قد يبدو تقرير فيتش رايتنغ ايجابيا خصوصا لمن يتوقف فقط عند العنوان المتداول، وايضا لمن لا يعرف سلم التصنيفات التي تقسم الى 11 مستوى ولا تزال تونس في ادنى مستويات السلم حتى مع الترفيع الاخير الذي يضع امكانية التخلف عن خلاص الديون كاحتمال حقيقي او قائم .

يمثل التصنيف بالاساس مقياسا للجدارة الائتمانية للدولة او قدرتها على الايفاء بالتزاماتها المالية. وكان النجاح في سداد الديون والايفاء بالالتزامات المالية للدولة هو قصة نجاح بالنسبة لمنظومة حكم قيس سعيد واصبح رهانها الوحيد ..ومن المهم التذكير بان تونس لم تتخلف في مختلف الحقبات والازمنة والحكومات والانظمة، ولا مرة في تاريخها عن الايفاء بالتزاماتها .

كما يكشف تقرير فيتش كيف سددت الديون المستحقة خلال الفترة السابقة وكيف ستسدد في الفترات المقبلة التي تتطلب تعبئة موارد من التمويلات الخارجية تكاد تكون قياسية حسب التقرير الذي يقول ان هذه الحاجات تعد الاعلى تقريبا من بين مختلف الدول المصنفة ضمن نفس مستوى التصنيف وان حجمها سيبقى اعلى من 14 في المئة من الناتج المحلي الاجمالي في حين انه لم يكن يتتجاوز، حسب نفس القرير 9 في المئة بين 2015 و2019 .

مخاطر عالية

تعد السلطة الحالية اول سلطة تقريبا شككت في خلفيات التصنيفات الصادرة عن وكالات التصنيف. فقد سبق لرئيس الجمهورية قيس سعيد ان انتقد بشدة التصنيفات والوكالات، التي نعتها بـ"امك صنافة"، وشبه الترقيم بالوعيد الهادف للدفع نحو الرضوخ لغايات سياسية. وايدت وزيرة المالة سهام نمصية في جلسة بالبرلمان ما ذهب اليه سعيد واعتبرت من جهتها ان هناك اسبابا موضوعية للترقيم واخرى سياسية .

وخلال الاشهر الماضية وطيلة السنتين المنقضيتين اجمالا ومع ظهور كل ازمة تتعلق بندرة او فقدان المواد الاساسية او الاولية او المحروقات او الادوية وغيرها، تضع الرواية الرسمية من بين الاسباب تدني الترقيم السيادي الذي كان لتدحرجه المتواصل تاثير واضح على المعاملات مع المانحين والمزودين الدوليين.

بينت الاحداث اهمية الترقيم بالنظر الى تداعياته الوخيمة على الاقتصاد الوطني .ومع ذلك لا يعد تراجع الترقيم السيادي السبب الوحيد لحالات نقصان وفقدان عدة مواد كالارز والقهوة مثلا أو رحلات البحث الشاقة عن دواء أو التدافع داخل المغازات عند وصول السكر تماما كتلك الصفوف التي باتت معتادة امام المخابز أو محلات مغلقة لفترات بسبب ندرة الزيت والسكر والفارينة .

هذا المشهد العام هو نتيجة لسياسات اعطت الاولوية المطلقة لسداد الديون الذي تحول الى هاجس مالي وسياسي خوفا من سيناريو الانهيار الاقتصادي بسبب التخلف عن السداد مثلما كانت تشير الى ذاك بعض التوقعات التي التقطت في تونس كمؤامرة لاسقاط مسار 25 جويلية .

ويقوم خيار منظومة الحكم الحالية في ادارة الملف المالي على قاعدة تسميها بالسيادة الوطنية والتعويل على الذات. ويستوجب هذا الخيار مسالتين الاولى تسديد القروض كاولوية الاولويات حتى وان كان ذلك على حساب توفير المواد الاساسية والدواء والمواد نصف المصنعة . والمسالة الثانية ان تنجح الدولة في كسب هذا الرهان دون المرور بالاقتراض من صندوق النقد الدولي .

فعلا تم ايقاف المفاوضات مع الصندوق حول قرض ب1.9 مليار دولار يعد 18 شهرا من المفاوضات يقول خبراء في الاقتصاد انها واحدة من اطوال المفاوضات للحصول على قرض على الاطلاق. وطبعا لم يكن من الصعب تعبئة موارد في غياب قرض مع الصندوق بما فرض البحث عن بدائل اقتراض وهو ما حصل لكن بنسبة فائدة عالية جدا على غرار الاقتراض من البنك الافريقي للاستيراد والتصدير بنسبة فائدة تفوق الـ10 في المئة ..

وحسب فيتش رايتنغ ستتمكن تونس من الحصول على 600 مليون دولار قبل نهاية هذا العام ولم يذكر التقرير شيئا عن الجهات التي ستمنح هذه القروض الخارجية.. والارجح ان يكون هذا التمويل الخارجي في شكل قرضين الاول من الجزائر والثاني من السعودية وفق ما جاء في قانون المالية 2024.

وبلغت قيمة موارد الاقتراض الخارجي حسب وكالة فيتش رايتنغ 2.8 مليار دولار تمت تعبئتها خلال الثمانية الاشهر الاولى من العام الحالي واكدت الوكالة ان التمويلات الخارجية متأتية من جهات كانت قد اشترطت بداية توقيع تونس اتفاق قرض مع صندوق النقد لتمكينها من قروض ثنائية. وهذا ينطبق مثلا على قرض مبرمج من اليابان توقف في انتظار استكمال المشاورات مع النقد الدولي المعلقة منذ فترة .

في مقابل تعثر التداين الخارجي الذي وصفه التقرير بالمحدود لكنه مستمر وقع استكمال الديون المبرمجة لكامل العام والقادمة من التداين الداخلي وذلك في غضون 6 اشهر. ولا يتوقع التقرير اعتماد السلطات على التمويل المباشر من البنك المركزي لكنه ترك هذا الاحتمال قائما و حذر من تداعياته خاصة على استقرار الدينار والاسعار .

النقرير رجح ان يساهم القطاع البنكي في تلبية حاجات التمويل وتوقع ان تتحمل البنوك المملوكة للدولة اكبر عبء من التمويل بسبب ما اسماه بالحذر من جانب بعض البنوك الخاصة التي اصبحت الدولة تقريبا حريفها الاول .

وفي المجمل تثير السياسيات المالية والاقتصادية الجدل باستمرار خصوصا من قبل خبراء اقتصاد يؤكدون ان السلطات نجحت بالتاكيد في سداد الديون المستحقة وانها لم تقدم حتى الان مع ذلك او لم تستوعب ثمن هذا التوجه الذي سخرت له كل الاليات بما في ذلك التمويل المباشر من البنك المركزي.

انتخابات تجري عاريةً

صالح مصباح

استهل رئيسُ السلطة المترشحُ حملته الانتخابية بخطاب مُدجّج بالمعجم الحربي. وبعض حلقاته من توابع أسلحة الدمار الشامل نحو "التلاشي" و"الاندثار" و"التبخر". هو معجم من جنس أن هذه الانتخابات هي عنده "بقاء أو فناء" أو هي شبيهة بحملة عسكرية على قسم من الشعب التونسي، يعاضده فيها جزء منه. وهذا الجزء هو من "جنوده" الذين يُشهرون شتى ألوان التهديد والوعيد. فكأن مراكز الانتخابات ساحات حرب وكأن صناديق الاقتراع توابيت.

يؤكد اليوم رئيس السلطة إصراره على خيار "الهروب إلى الأمام". هو خيار تنفّذه له هيئة الانتخابات المصرة على تجاهل أحكام المحكمة الإدارية إصرارا مكررا. فقد شرَع أعوان الهيئة في رسم مربعات الإشهار الانتخابي، وعددها ثلاثة لا ستة، أي بخلاف ما قضت به الجلسة العامة في المحكمة الإدارية. فهل في هذا الهروب إلى الأمام هروب إلى المجهول السياسي والقانوني واستخفاف بتبعاته داخليا وخارجيا؟

1/ملف وملفات:

نظرت المحكمة الإدارية في الطعون التي دفع بها إليها مَن رفضت هيئةُ الانتخابات ترشّحَهم. ونَظرُها على الجملة قانوني على رأي أهل القانون. فقد قضت بإعادة ثلاثة منهم إلى المنافسة.

لكن الذي يبدو مرجّحا هو أن الجلسة العامة للمحكمة الإدارية نظرت في عموم الملفات مِن زاوية، ونظرت مِن أخرى في ملف عبير موسي. ونقدّر أنّ صديقنا عدنان بالحاج عمر مصيب في قوله إن المحكمة الإدارية حكّمت الزاوية السياسية في نظرها في ملف عبير موسي. ولهذا الرأي قرائن سبق أن تعرضنا لبعضها في مناسبة سابقة.

في كل الأحوال، ثمة اليوم تضارب بين واقع وحقيقة. الواقع فعلي، وهو أن هيئة الانتخابات ماضية في قصر الترشح على الثلاثة الذين أقرت ترشحهم وأن المحظوظ من الآخرين، ومن الجميع، مَن ليس اليوم سجينا. والحقيقة قضائية، وهي أن الثلاثة الذين رفضت الهيئة ترشحهم، قضَت الجلسةُ العامة في المحكمة الإدارية قضاءً باتا ملزما بقبوله.

2/الإلزام بالالتزام:

أجمع أهل الذكر إجماعا كاملا على أن ما قضت به المحكمة الإدارية في جلستها العامة هو باتّ مُلزم، وعلى أن على هيئة الانتخابات

قيس سعيد

زهير المغزاوي

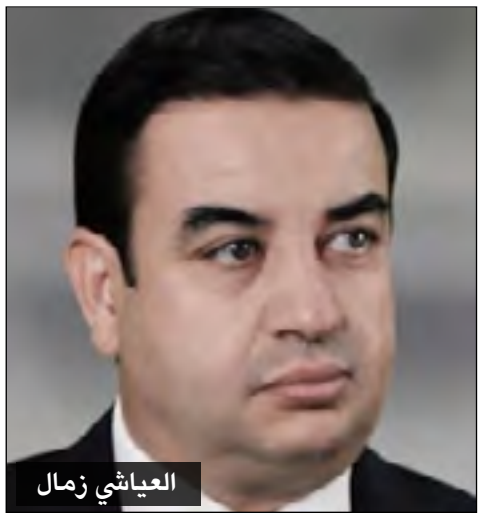
العياشي زمال

التنفيذ، وعلى أن امتناع الهيئة عن التنفيذ هو سابقة خطيرة ستمسخ شرعية العملية الانتخابية بكُلّيتها.

وإزاء هذا الامتناع تقدّمَ أحدُ الثلاثة مجددا إلى المحكمة الإدارية، فقضت لفائدته بإلزام هيئة الانتخابات بأن تلتزم بتنفيذ ما قضت به الجلسة العامة، بناء على أن حكمها بات ملزم. ورفضت الهيئة مجددا حكم المحكمة الإدارية، رغم أن ما سبق من انتخابات شهد طعونا لدى المحكمة الإدارية وأحكاما صدرت عنها ونفذتها مختلف "الهيئات" الانتخابية، بما في ذلك التركيبة التي كان رئيس الهيئة الحالي عضوا فيها.

3/بطلان الانتخابات والشأن الداخلي:

على مقتضى ما تتجه إليه هيئة الانتخابات، ستتّخذ العملية الانتخابية طابع "المرور بقوة". ومأتى القوة ليس من قوة القانون وإنما من قوة السلطة المستقوية بأجهزة الحكم وبمؤسسات الدولة. ستكون انتخابات باطلة قانونيا ومؤسساتيا. ولو استمرت الحال على ما هي عليه، وهي مستمرة، ستتورط الإدارة التونسية، بمفهومها الموسع، في تكريس واقعةٍ بقوة القوة وليس بقوة الشرعية. وإن تورط الإدارة في هذا التكريس هو توريط لمؤسسات الدولة. وآية ذلك هو شكل من أشكال السطوة التي تمارسها أجهزة السلطة على مؤسسات الدولة التي الأصل فيها الاستقلال المنهجي عن جهة الحكم. لا بل إن الأصل هو الدولة والتابع هو السلطة. وفي سياق الحال، يجري العكس. ذلك أن هذا السياق هو عبارة عن دائرة نافذة في السلطة تدير لعبة انتخابية عارية عن الشرعية، لأنها ستكون مجرد مسخ انتخابي يواصل به الحكامُ الحكمَ. فإلى أي حد نستبعد ألاّ تتصادم أجهزة السلطة في ما بينها أو مؤسسات الدولة؟ فلهذه وتلك عقد ينظم انتسابها إلى العقد الجامع لفكرة الدولة وروحها. فقد يتغاضى منها عن الاستخفاف بالقانون مَن يتغاضى، وقد يَرفض مَن يرفض. وها هنا فتيل الخطر

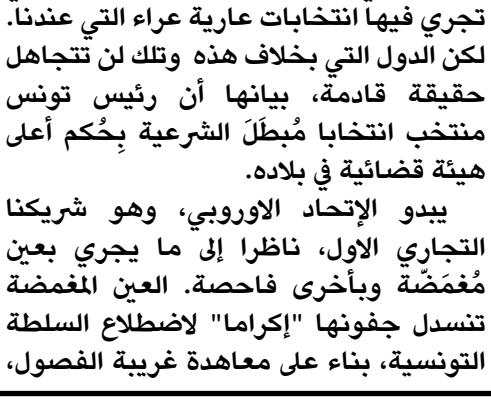
فاروق بوعسكر

باحتمال الصدام.

ثم إنه ستكون لدى الثلاثة الذين منعت الهيئة ترشحهم، وفق ما يجري اليوم، حجية إبطال شرعية العملية الانتخابية ومآلاتها. وستكون المحكمة الإدارية جهة النظر. ولن تناقض أحكامها، وستقضي وجوبا ببطلان الانتخابات وحصيلتها. فما العمل في هذه الحال؟. إن الجهة التي نعلم مسبقا أنها ستكون "الفائزة" ستحكم البلاد عنوة أو بما يشبه الإغارة. فهل سيستقيم العيش المشترك سواء بينها وبين قسم من المواطنين أو بين مساندين منهم ومعارضيها؟ وكيف سيكون رد فعل الأجسام الوسيطة؟!.

4/بطلان الانتخابات والعلاقات الخارجية:

قد لا تتأثر بما يجري علاقاتنا الخارجية بالدول التي لا انتخابات فيها أو بالدول التي تجري فيها انتخابات عارية عراء التي عندنا. لكن الدول التي بخلاف هذه وتلك لن تتجاهل حقيقة قادمة، بيانها أن رئيس تونس منتخب انتخابا مُبطَلَ الشرعية بِحُكم أعلى هيئة قضائية في بلاده.

يبدو الإتحاد الاوروبي، وهو شريكنا التجاري الاول، ناظرا إلى ما يجري بعين مُغمَضّة وبأخرى فاحصة. العين المغمضة تنسدل جفونها "إكراما" لاضطلاع السلطة التونسية، بناء على معاهدة غريبة الفصول، بدور حارس حدوده، والفاتح أرضه لتوطين الأفارقة ولحماية أرض أوروبا من إقامتهم. ولعل صمت السلطة التونسية عن كوارث السطو وإتلاف الاملاك ونحو ذلك مما يقترف المهاجرون في حقّ التونسيين في وطنهم وأملاكهم وبين جدران منازلهم، لعل كل ذلك هو ضريبة يدفعها التونسيون من أجل أن ترضى أوروبا عن المساخر الانتخابية عندنا. إنها ضريبةُ أن يستمر حاكم تونس في حكمه. فصمت بعضُ أوروبا عن آلية الاستمرار هو من استمرار الحماية لحدودها ومواطنيها، ولا عزاء لحدود تونس ومواطنيها.

لكن أوروبا ليست مجرد جهة تنفيذية. فهي، اتحادا ودولا منفردة، محكومة بمؤسسات تشريعية وقانونية وإعلامية. وإن هذه المؤسسات هي عين أوروبا المتابعة لما يجري في بلد بينها وبينه علاقات عريقة ومصالح متبادلة أكيدة.

إن أوروبا المتابعة لانتخاباتنا العارية من هذه الزاوية، شأنها في ذلك شأن الدول المؤسسية الأخرى، لن يتيسّر لها التعامل المحكوم لديها بقانون، مع سلطة تونسية حاكمة بغير شرعية قانونية. سيكون من الصعب إبرام الاتفاقيات وتلقي القروض الذي هو نشاط تونس المالي الاول، طالما أن جهة الحكم باطلةُ الشرعية بحكم أعلى هيئة قضائية في بلادها. فعلى ذلك، لن تكون حلقة حُكم ضامنة لاستمرار الدولة التونسية. فالحاكم الذي سيخلف الحاكم الحالي، سيحقّ له ألا يعترف بالاتفاقيات المبرمة قبله، بما في ذلك القروض بمنطق استمرار الدولة. ولعل الأفق الارجح، هو أفق المزيد من العزلة الذي قد تصير به تونس دولة منبوذة. إن الذي في الميزان هو مصير شعب وأجياله الراهنة والقادمة. فهل يصحّ الإقدام على هذا الاحتمال من أجل دائرة ضيقة من المهوسين بالحكم مهما كانت السبل إليه؟!

ولعل التحرك الشعبي القانوني المستوجب اليوم، لا يواجه تمشيا انتخابيا باطلا فحسب، وإنما يواجه أيضا من يغضّون الطرف عنه وعن فاعليه. فالكرة في ملعب التوانسة.

اتحاد القرضاوي يعلن الحرب على سلطة 25 جويلية

أنس الشابي

صورة الزمر منقولة من شريط المؤتمر

صورة سعيد الشبلي منقولة من صفحة راشد الغنوشي

نشرت حركة النهضة على صفحتها الرسمية بموقع فايسبوك كلمة لرئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين علي القرة داغي دعا فيها إلى إطلاق سراح راشد الغنوشي بحجة أنّ الرّجل»مفكّر وكبير في السنّ» وأنه «على الأمّة أن تسعى إلى ذلك حتى تستفيد منه ومن تجربته في نضاله من أجل الحرية التي أوصلت قيس سعيد إلى منصب الرئاسة»، وغاب عنه أنّ النتائج تكون دائما وأبدا من جنس العمل فالذي يُكفّر ويُشرّع للقتل لن ينتهي به المطاف إلا بالوقوع في شرّ أعماله وأقلّها السجن.

بدأ القرة داغي كلمته بعد البسملة بقوله: «لا عدوان إلا على الظالمين» وهو الجزء الأخير من الآية 193 من سورة البقرة ونصّها: « وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ»، وبيّن أنّ الإحالة على الجزء الأخير من الآية تستهدف أساسا توجيه النظر بشكل مُتَخَفٍ لا يثير الريبة والشكوك إلى بداياتها الداعية إلى قتال الخصوم، وهو أسلوب دارج لدى الإخوان المسلمين استعمله حسن البنا لمّا دعا عبد الرحمان السندي رئيس الجهاز السري إلى اغتيال الخزندار في جلسة دون إعطاء إذن مباشر بل ورد ذلك في شكل تساؤل: «أليس هناك من يريحنا من هذا القاضي؟»، ففُهم ذلك على أنّه أمر مباشر بالقتل، لم يكن القرة داغي في ذلك إلا تابعا للبنا حيث نفهم من إيراده الآية:

1) وجوب قتال كلّ من تسبّب في الفتنة والفتنة ذات معان متعدّدة أهمّها الشرك فقد وردت في القرآن بهذا المعنى 27 مرّة من بينها الآية أعلاه وقوله تعالى: «وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ»(الأنفال 39).

2) اعتقال الغنوشي من طرف سلطة 25 جويلية فتنة أي شرك وكفر فاعله مرتدّ، وهو ما يعني تكفير النظام والقائمين عليه لأنّهم بما فعلوا يحاربون الله ورسوله ويمنعون إقامة شرعه في أرضه.

3) تبعا لذلك يدعو القرة داغي من خلال الآية التي أورد جزأها الأخير كلّ الذين تسبّبوا في الفتنة أي أعوان سلطة 25 جويلية إلى التوبة عمّا صنعوا بإطلاق سراح الغنوشي وجماعته.

4) فإن قبلوا ذلك وانتهوا حلّ السلام وإن رفضوا وامتنعوا كما هو حالهم اليوم فعلى المسلمين قتالهم باعتبارهم من الظالمين وذلك جهاد منهم في سبيل الله لإعلاء كلمته.

وفي ما ذكر القرة داغي رسالة واضحة وجليّة لا تخفى إلا على عمي البصر والبصيرة إلى خلايا الحركة وأتباعها تدعوهم إلى رفع السلاح وإعلان العصيان على الدولة التي تعتقل الغنوشي باعتبارها دولة كافرة.

في ما يخصّني لم أستغرب هذه الدعوة إذ تعوّدت من الذين يخلطون الدين بالسياسة أنّهم يلجؤون دائما وأبدا إلى العنف بكلّ أشكاله. فقد مارسوه في السرّ وفي العلن وهم في المعارضة وهم في الحكم كذلك، ولكن الغريب في الأمر هو موقف حكم 25 جويلية المتسامح مع دعاة العنف وامتناعه عن مواجهتهم بما يقتضي الحزم اللازم لحماية البلاد والعباد. من ذلك إصراره على حماية بؤرة القرضاوي رغم مواقفها المعادية له وكأني به يعتبرها ركنا من أركان نظامه التي لا يمكن الاستغناء عنها رغم أنها تهدّد الأمن العام وأمنه هو بصورة خاصة. قلّبت الأمر على مختلف وجوهه بالسؤال عمّا يدعو قيس سعيد إلى حماية هذه البؤرة رغم أنّها تناصب نظامه العداوة فلم أجد تفسيرا لذلك إلا مناكفة عبير موسي والحزب الدستوري الحرّ اللّذين طالبا بإصرار بإغلاق هذه البؤرة. فحتى لا يسجّل الحزب ورئيسته نقطة تحسب لصالحهما يصبح الإبقاء على البؤرة والدفاع عنها أولويّة لدى سلطة 25 جويلية، وهو نفس السلوك الذي نجده حاضرا بخصوص حزب التحرير الذي يعادي نظاما جمهوريّا كان من المفروض أن يدافع عنه قيس سعيد بسحب الترخيص من الحزب ومنعه ولكنه يفعل العكس. كلّ ذلك حتى لا تسجّل عبير نقاطا سياسيّة لصالحها. إن تناول السلطة القائمة قضيّة الإسلام السياسي تكاد تكون مشابهة لتناول سلطة ما قبل 2011 التي تقوم على:

1) الحسابات السياسيّة الظرفيّة الآنيّة المتغيّرة التي لا تخضع لدراسة تاريخ هذه الجماعات وارتباطاتها الخارجية ولا مؤدّى خطاباتها وأصول التعامل معها.

2) مغازلة الشعور الديني لدى العامّة بوهم سحب البساط من تحت أقدام الحركات الإسلاميّة والحال أنّ هذه الحركات تستعمل الدين بهدف الاستحواذ على السلطة ولا تستعمله إلا في هذا الإطار وتجربة حكم حركة النهضة أبلغ دليل على ذلك. ففي برلمانهم بعد أن خفّضوا من الأداء على الخمور المورّدة أوقفوا الجلسة لأداء الصلاة.

ألقى القرة داغي كلمته في مؤتمر «فكّوا العاني»-أي فكّوا الأسير-الذي عُقد في مدينة إسطنبول يوم الاثنين 2 سبتمبر الجاري ونظمته الهيئة العالميّة لأنصار النبي التي يرأسها محمد الصغير الإخواني المصري مدير عام المساجد ومسؤول بعثة الحج والعضو المعيّن في مجلس الشورى أيام حكم المرشد واللاجئ حاليا في قطر. كما شارك فيه حضوريا من تونس -المتحصل على الدكتورا ممّا يسمى جامعة الزيتونة الكائن محلّها في رحبة الغنم- المدعوّ سعيد الشبلي المتّهم باغتيال لطفي نقض مع آخرين كطارق الزمر المشارك في اغتيال الرئيس السادات الذي أطلق سراحه محمد مرسي بعد أن قضى 29 سنة في السجن وكانت أوّل زيارة خارجيّة له إلى تونس بدعوة من الغنوشي حيث ألقى محاضرة!!!!!.

فما قول الحكم لدينا وما ردّ فعله على هذا الذي يخطّط له اتحاد القرضاوي وفروعه في تونس ممثّلة أساسا في البؤرة وحزب التحرير وتلك البناية الكائنة في رحبة الغنم؟.

موقف الأسبوع

موقفنا من الانتخابات الرئاسية بين الوفاء للشهيد المؤسس والثبات على موقف الحزب

بقلم : زهير حمدي - الأمين العام لحزب التيار الشعبي

لا يتعاطى التيار الشعبي مع المسارات السياسية لبلادنا منذ تأسيسه بشكل ظرفي وإنما كحزب يساير الأحداث يوما بيوم، ودأب على السير وفق رؤى استراتيجية يضعها لكل مرحلة في انسجام مع قيمه ورسالته. وتحدد الوثيقة الإستراتيجية التي أصدرها الحزب بعد انتخابات 2019 خطاه في الموقف من إجراءات حالة الاستثناء في 25 جويلية 2021 وفي التفاعل مع الخيارات اللاحقة، وتم ترتيب الأولويات حينذاك انطلاقا مما وصل إليه الحزب ملخصا في ما يلي:

1ـ لقد تم تحويل مشروع الثورة الشعبية إلى مشروع تمكين إخواني تحت راية الفوضى الخلاقة الأمريكية، حيث جرت طيلة عشرية كاملة عملية تصفية للثورة والدولة معا من خلال إطار دستوري وتشريعي وأدوات فساد وإرهاب وآليات تدمير اقتصادي واجتماعي من خلال حكومات متعاقبة تداولت عليها مجاميع أحزاب الغنيمة ومجاميع ما يسمى الفتيان الذهبيين المكلفين بإدارة شؤون الاستعمار الخارجي وتمكين وكلاء الاستعمار في الداخل.

2 ـ كانت قراءة الحزب لانتخابات 2019 مكثفة في معادلة «الانتصار الانتخابي التكتيكي الذي سيتحول إلى هزيمة استراتيجية»، وهو ما حصل فعلا حيث اشتبكت تلك المجاميع تحت قبة البرلمان في حرب الكل ضد الكل، فتوالى سقوط الحكومات نتيجة الصراع المحموم بين عناصر شبكات النفوذ والإجرام في ذروة أزمة «كورونا» حين كان الشعب يموت على الطرقات والاشتباك على أشده من أجل السيطرة والعبث بمؤسسات الدولة وتقاسم الغنائم. ولم تترك منظومة الإرهاب والفساد لنفسها فرصة التقاط الأنفاس للوقوف على مغزى ومعاني الفشل الذي منيت به منذ 2011 في تحقيق ولو مكسب واحد للشعب التونسي برغم كل انتصاراتها الانتخابية المتتالية وإن بعناوين مختلفة. وفي ذروة نشوتها تلك لم تدرك تلك المجاميع لا حجم إعادة تشكل الوعي الشعبي ولا حجم التحولات الجغراستراتيجية من حولها إقليميا ودوليا وواصلت إدارة ظهرها لمطالب الشعب ومتطلبات الوطن.

3 ـ اعتبر الحزب أن وصول قيس سعيد إلى رئاسة الجمهورية إرباك كبير لتلك القوى وفرصة لتونس وليس خطورة داخل ذلك السياق لإحداث تغيير جذري في موازين القوى لصالح الشعب، وزاد من أزمتها وشكل دليلا على انتهازيتها وشعبويتها من جهة وعلى ضعفها الاستراتيجي من جهة أخرى، فهي في أغلبها من ساند الرئيس انتخابيا في الدور الثاني وأعتبر نفسه شريكا له في انتصاره بعد ذلك واعتبر صعوده انتصارا من انتصاراته مقابل المواقع والمكاسب التي لم تأت، ولم يدرك انها هزيمة من هزائمه الإستراتيجية التاريخية.

4 ـ تتمثل أهم مراجعة قام بها التيار الشعبي الإقرار بضرورة تلافي الأخطاء التكتيكية التي وقع فيها ومعه أغلب القوى الأخرى طيلة سنوات الصراع مع منظومة الإخوان والمافيا وأخطر هذه الأخطاء هي الاستمرار في قبول قواعد لعبة ندرك انها إفراز طبيعي لموازين القوى بين جناحي الليبرالية المتوحشة. وان موقع المعارضة البرلمانية والحقوقية لا ينفع مع تشكيلات من العصابات الوكيلة لدى قوى الهيمنة وأقر الحزب وقتها باستحالة تغيير الوضع في البلاد من داخل المنظومة القائمة حينها.

ومما سبق تأكد ثبات موقف الحزب في تأييد ودعم إجراءات 25 جويلية 2021، حيث تمثلت الأولويات الرئيسة للمرحلة في إنقاذ الدولة من التفكك أولا وإعادة التأسيس ثانيا، بعيدا عن كل مشاريع الفوضى والتخريب، وفتح باب محاسبة كل من أجرم في حق الشعب ثالثا، وما يتطلب ذلك من ارادة سياسية وطنية تقطع مع الوصاية والصفقات، وهو ما حصل فعلا طيلة ثلاث سنوات وتبين ان الإصلاح يستوجب إعادة تنظيم الدولة حتى يصبح ممكنا وإعادة ترتيب السلطة لإنتاج نظام ينهي الفوضى ويجعل الحكم ممكنا، وحتى تتحقق التنمية التي لا تتم إلا بدحر الفساد.

وبالرغم من الأخطاء والهنات والصعوبات التي طبعت المرحلة، لم يؤثر ذلك استراتيجيا على تطلعاتنا التي لم تنفصل يوما عن تطلعات غالبية الشعب، حيث أنجزت المهام الرئيسية المطلوبة وتم تركيز أغلب الأسس، في انتظار استكمال بقية المؤسسات وإحكام عملية وتحديث سائر مؤسسات الدولة، والأهم انه لم يتم الانحراف عن الثوابت الوطنية مطلقا.

نستطيع اليوم، ونحن على مشارف استحقاق الانتخابات الرئاسية، إعادة التأكيد على استمرار قناعاتنا بنفس الثوابت وعلى رأسها توحيد السلطة التنفيذية في نظام رئاسي للحفاظ على وحدة الدولة واستقرارها ،ونرى ان المرحلة القادمة تتطلب تطويره باتجاه أكثر توازنا بين الوظائف والرّقابة على عمل كلّ المؤسسات وضمان الحضور الشعبي في موقع القرار، وتثمين دور القوى الشعبية وتحرير طاقاتها وتثمير تضحياتها وتمكينها من أن تكون فاعلة في صياغة السياسات فهي الطاقات الحاملة لمشروع التحرر الوطني. ومن هنا أيضا كان دفاعنا عن النظام الانتخابي على الأفراد رغم ضعف المشاركة في الانتخابات التشريعية والمحلية، ولكن توسع التمثيلية جهويا ومحليا وأقاليميا هي الأهم لأنها الضامن لتمثيلية الفئات الشعبية. ونعتقد أنه بتطوير القانون الانتخابي وتعزيز آليات المشاركة والرقابة الشعبية خارج دائرة الإدارة السياسية لمصالح رأس المال ونخبها بهدف تغيير البنية التقليدية للديمقراطية من ديمقراطية ليبرالية شكلية إلى ديمقراطية شعبية تشاركية ستتغير القاعدة الاجتماعية للحكم تدريجيا باتجاه الفئات الشعبية وستكرس السياسات الوطنية السيادية في كل المجالات.

وإلى جانب الإصلاحات السياسية والمحاسبة نعتقد أن أهم المكاسب تكمن في الرؤية الاقتصادية والاجتماعية وهي في نظرنا التي أسست للمرحلة الاستراتيجية القادمة وتتمثل أساسا في:

*القطيعة مع صندوق النقد الدولي حيث كانت العلاقة معه منذ برنامج الاصلاح الهيكلي في 1986 وحتى 25 جويلية 2021 من ثوابت السياسة التونسية، فهذه القطيعة أحدثت نقلة نوعية في الخطاب ولم يعد النقاش يدور حول الكيفية المثلى لتطبيق املاءاته بخصوص التفويت في المنشآت العمومية (هل نفوت فيها على حالتها أم يتم اصلاحها ومن ثم التفويت فيها ؟ هل نقوم بتسريح الموظفين أم نجمد الأجور ونشجع على التقاعد المبكر ونجمد الانتدابات؟،هل ننفذ الشراكة الشاملة والمعمقة المعروفة بـ« أليكا» دفعة واحدة أم على مراحل؟ هل نسلم المفتاح إلى الاتحاد الأوروبي مرة واحدة أم على مراحل؟).

*بات النقاش يدور راهنا حول الكيفية المثلى لإعادة الحياة للمنشآت العمومية لتلعب دورها كقاطرة للاقتصاد الوطني، بل واسترجاع منشآت تم التفويت فيها أو اندثرت عن قصد ولم يعد الحديث عن التفويت مطروحا في أروقة الحكم. كذلك لم نعد نتحدث عن تجميد الانتدابات وتسريح الموظفين وانما أصبحنا نتحدث عن كيفية انتداب عمال المناولة والأساتذة والمعلمين النواب والدكاترة وضمان حقوق المرأة العاملة في قطاع الفلاحة وضمان تغطيتها الإجتماعية ورفع المعاناة عن المتقاعدين والعائلات المعوزة والترفيع في الأجر الأدنى في انتظار مشروع استراتيجي لإصلاح نظام التأجير برمته والقضاء على الفقر عوض تحسين شروطه. ولقد عادت الصحة والتعليم والنقل إلى صدارة الجهد السياسي الرسمي على الأقل كرؤية عامة وعادت السيادة والتعويل على الذات وتنويع العلاقات الخارجية إلى جدول أعمال مؤسسات الحكم .

*إن هذه القيم هي من صميم قيم مشروع التنمية المستقلة والسيادة الوطنية التي تشكل في نظرنا ركيزة المشروع الحضاري لشعبنا باعتبارها امتداد لمعركة التحرر الوطني بهدف تحقيق التحرر الاقتصادي والاجتماعي.

ويتطلب النجاح في هذا المشروع إلى جانب البرنامج التنفيذي والكفاءات التي تقوم على تنفيذه عملية تثقيف لخلق وعي لدى النخب السياسية والثقافية ولدى أغلبية الشعب بجدوى مشروع التنمية المستقلة وما يتطلب ذلك من جرأة سياسية وفكرية ونضالية في مواجهة نخب الهيمنة والاستعمار وشبكات المصالح الوكيلة.

5 ـ إن أم المعارك التي يتوجب كسبها في الوعي والثقافة هو أن التنمية المستقلة لا تعني العزلة كما تروج نخب الرأسمالية الطفيلية وإنما تنطلق في أفق أرحب من التنمية التابعة لبرامج وخطط الاستعمار فهي تنطلق في أفق اندماج مغاربي عربي إفريقي وإنساني على قاعدة المصالح المشتركة وقاعدة التمايز الحضاري وليس على قاعدة امتياز وعنصرية قوى الهيمنة الرأسمالية وجرائمها التي تسببت فيها لشعبنا وشعوب الجنوب عامة.

إن الرؤية السيادية في السياسة وفي الاقتصاد هي التي تشكل القاعدة الصلبة للموقف من الحركة الصهيونية وأداتها المسماة «إسرائيل» فلم يعرف التاريخ أن حكما ليبراليا متوحشا تابعا وعميلا في سياساته وفي خياراته الاقتصادية ناصر القضية الفلسطينية فكل الذين رفضوا الاعتراف بالعدو هم المؤمنون بفكرة السيادة الوطنية والعدالة الاجتماعية. وفي المقابل ارتبطت اللبرلة القائمة على التفويت في مقدرات الشعب ومؤسساته وقراره وثرواته الوطنية ومرافقه العامة وخدماته الاجتماعية وتخلي الدولة لصالح المافيا الوكيلة بالاستسلام والتسليم للعدو الصهيوني بل والاندماج معه وخدمة مصالحه بطرق مباشرة وغير مباشرة. ولذلك ولئن شكل الموقف السياسي للدولة التونسية منذ انطلاق معركة طوفان الأقصى استثناء عربيا وعالميا، فإن قاعدته الحامية له في المستقبل ليست القوانين الزجرية فقط لكل محاولات التعامل والاعتراف بالعدو على ضرورتها وأهميتها في هذه المرحلة خاصة، وإنما ارساء مشروع التنمية المستقلة وانتصار مشاريع التحرر الوطنية في أفق المعركة العالمية التاريخية بين عولمة التوحش الرأسمالي وبين التضامن والتعاون الإنساني البديل من الأمن إلى البيئة وإطلاق طاقات الانسان حيث ما كان.

وفي الخلاصة، نعتقد في التيار الشعبي ان المرحلة التي انطلقت فعليا بعد 25 جويلية 2021 وهي امتداد للصراع الذي انطلق في 17 ديسمبر، بل قبل ذلك، يجب أن تنتهي بحسم مسألة السلطة استراتيجيا. ونعتقد أن ما حصل بعد 25 جويلية هو ذروة الصراع وقد تمكن الرئيس ومن معه كل من موقعه من النجاح بشكل كبير في انجاز عملية التمهيد الاستراتيجي لحسم هذا الصراع. ولذلك تعتبر الانتخابات الرئاسية نقطة التحول الكبير، وإن فوز الرئيس بأغلبية معززة بمشاركة واسعة مسألة في غاية الأهمية لتونس وشعبها على المدى المتوسط والبعيد، وهذا الحسم لمصلحة الشعب وليس لمصلحة السلطة كمجرد سلطة أو كمجرد نظام حكم ولا كمجرد شخص.

ومن الأولويات الكبرى والتي نرى أنها غير قابلة للتأجيل والتي على المرشح قيس سعيد تجسيمها هي :

-1 تحسين الوضع المعيشي للمواطنين (الحد من غلاء الأسعار، انتظام تزويد السوق، تحسين الأجور ومقاومة الفقر وكل أشكال العمل الهش...).

-2 إعادة ربط الاقتصاد بحياة الناس وإنهاء العمل بكل السياسات الاقتصادية التقشفية التي تضع التوازنات المالية قبل احتياجات الشعب .

3 ـ إعطاء الأولوية للنهوض بالمرافق العمومية الكبرى من صحة وتعليم ونقل.

-4 النهوض بالقطاع الفلاحي ومعالجة مشكلة المياه، والمشكل البيئي المتفاقم في البلاد.

-5 إنجاز عدد من المشاريع الكبرى لسد الفجوة في البنية التحتية في البلاد، والبحث عن الصيغ المناسبة لتمويل هذه المشاريع.

-6 إنهاء الريع الاقتصادي دون أن يتحول الأمر إلى مطية لمزيد تحجيم دور الدولة الاقتصادي، وإنجاز مشروع الجمهورية الرقمية والتسريع في مسار المحاسبة .

إن تكريس هذه الأولويات ممكن من خلال رفع القدرة على تعبئة الموارد والمقدّرات الوطنيّة، وحسن استغلالها من جهة، ومن خلال علاقات خارجية متوازنة من جهة أخرى ومنها تحويل مستوى التقدم في العلاقات مع الصين إلى واقع ملموس ومعها المنظومة الأوراسية عموما .

اتّحاد الشّغل :

هل هي أزمة «المدرسة العاشوريّة» في العمل النّقابي؟(2)

بقلم : د. رضا مقني (باحث في التاريخ المعاصر)

مقالنا هذا تتمّة لمقالنا الصّادر في جريدة «الشّارع المغاربي» يوم 20 أوت 2024 أياما قبل انعقاد المجلس الوطني الأخير تحت عنوان «المجلس الوطني لاتّحاد الشغل أمام مهمة تاريخيّة تضاهي مجلسي 1978 و2001».

لطالما افتخر الأمين العام لاتّحاد الشّغل نور الدين الطبوبي بانتمائه لـ«المدرسة العاشوريّة» في العمل النّقابي وهو ما لا ينكره كذلك العديد من الإطارات النّقابيّة في مستوى الهياكل القياديّة الوطنيّة والجهويّة .

ولا يعدّ اختيارنا هذا التّوصيف لما اعتاد اليسار على نعته بالبيروقراطيّة النّقابيّة قدحا في شخص الرّاحل الحبيب عاشور وانما هو تخصيص لمفهوم البيروقراطيّة النّقابيّة على الواقع التّونسي. فقد اشتهر التيّار الإصلاحي البيروقراطي في الحركة النّقابيّة بتسمية التريديونيّة (Trade-Uninonisme) كتيّار تأسّس في الرّبع الأخير من القرن التّاسع عشر نسبة للنقابات البريطانيّة على قاعدة التّوافق الطبقي واعتماد المفاوضات والمشاركة في الأجهزة الاقتصادية والاجتماعيّة للدولة ورفع شعار «لا للسّياسة في العمل النّقابي» و«الاستقلاليّة عن كل الأحزاب» .

إنّ ربطنا القيادات المتتالية على رأس الاتّحاد بعد انسحاب الحبيب عاشور بالخط العاشوري باستثناء حالة ليس ربطا اعتباطيّا. فقد أسّس الرّاحل منذ عودته على رأس الاتّحاد سنة 1970 مفهوما للعمل النّقابي اختلف في العديد من مكوّناته مع التّجارب التي سبقته بعد 1956.

فلا أحد بوسعه أن ينكر أنّ عشريّة السّبعينات شهدت في مرحلة القيادة العاشوريّة انتعاشا ملفتا للعمل النّقابي.فقد ارتفع عدد النّقابات إلى 4000 نقابة أساسيّة وبعثت اتّحادات محليّة في أغلب المعتمديات واتّحادات جهويّة في الولايات الجديدة وتأسّست جامعات ونقابات عامّة وعقدت مجالس وطنيّة بمعدّل مجلس في كل سنة وارتفع عدد المنخرطين من 120000 سنة 1970 إلى 300000 سنة 1974 و500000 سنة 1977. ورغم تأكيد الحبيب عاشور في كل خطبه خلال النّصف الأوّل من السّبعينات على «أنّ الإضراب لا يقرّر إلا خدمة للمصالح النّقابيّة» ومهاجمته المستمرة للشّيوعيّين فإنّه أكّد أيضا في عدّة مناسبات أنّه «لا حياة للحركة النّقابيّة دون حرّية وديمقراطيّة وحقّ الإضراب». وتجاوز الزّعيم النّقابي بصفة نسبيّة صراعه مع اليسار حين اشتدّت هجمة الحزب الاشتراكي الدّستوري على الاتّحاد ليعلن في المؤتمر الرابع عشر سنة 1977 قائلا:» ليس الدّستوري هو الوطني فقط فاليوم يمكن أن يكون الإنسان شيوعيّا أو بعثيّا ويكون وطنيّا في نفس الوقت «. وترسّخت خلال السّبعينات ومنتصف الثّمانينات تقاليد مفاوضات اجتماعيّة أسفرت عن صدور عشرات القوانين الأساسيّة والعقود المشتركة والزّيادات في الأجر الأدنى الصّناعي والأجر الأدنى الفلاحي .

ورغم نعت المعارضة النّقابية اليساريّة آنذاك بـ«جماعة السّياسة» وتعرّض مناضليها للتّجريد والطرد وحل النّقابات التي سيطروا عليها في عدّة مناسبات فإنّ مراجعة هذه القرارات كانت تحصل في عدّة حالات خاصّة حين يشتدّ الصّراع مع الحزب الحاكم أو مع جناح من أجنحة النّظام المتصلبة .

واتّخذت القيادة العاشوريّة بعد طلب قاعدي قرار الانفصال عن الحزب الحاكم باستقالة الحبيب عاشور من الدّيوان السّياسي. وتأكّد هذا الفصل بين الانتماء السّياسي والنّقابي في القانون الأساسي الصّادر سنة 1981 تكريسا لشعار استقلاليّة الاتّحاد العام التّونسي للشّغل عن الأحزاب السّياسيّة في ظرف ردّدت خلاله القواعد بكل قوّة شعار «اتّحاد مستقل والقواعد هي الكلّ»رابطة بصيغة ذكيّة بين مسار الاستقلاليّة وديمقراطيّة العمل النقابي. ولم تتجاوب هذه القواعد النّقابيّة خوفا منها على مصير المنظمة مع مشروع الحزب العمّالي الذي راود عدّة رموز عاشوريّة فسقط المقترح في مؤتمر قفصة سنة 1981 وكذلك في المؤتمر السّادس عشر المنعقد في شهر ديسمبر سنة 1984 .

لم يلغ ابتعاد الحبيب عاشور بعد 7 نوفمبر 1987 عن السّاحة النّقابيّة هذا النّهج النّقابي وأسلوب العمل السّائدين طيلة عشريّتين. وكان العاشوريون قد وقفوا إلى جانب قوى أخرى ضدّ الهياكل التي نصّبتها حكومة الهادي نويرة بعد 26 جانفي 1978. كما تصدّوا لإنشقاق عبد العزيز بوراوي وجماعة « الجبهة الوطنيّة» سنة 1983 ولهجومات ميليشيات محمد مزالي سنة 1985 ليخرج الاتّحاد منتصرا بعد كل هذه الأزمات ويواصل أنصار الخط العاشوري قيادة السّفينة أو «الشقف» كما يحلو للزّعيم الرّاحل ترديد ذلك في إشارة للمنظمة النقابيّة .

تعثّرت «الماكينة» في عشريّة التّسعينات لتعود بعد مؤتمر جربة سنة 2002 بقيادة أحد أقطاب المدرسة العاشورية الرّاحل عبد السلام جراد في ظل توسّع نفوذ اليسار النّقابي المناضل واكتساحه لعدّة قطاعات وجهات وفرضه تقاليد جديدة شكلا ومضمونا في العمل النّقابي انعكست في لوائح المؤتمرات والاحتجاجات وتوّجت بفرض الفصل العاشر الذي حدّد التّرشّح للمكتب التّنفيذي بدورتين. وواجه اليسار تذبذب وتخاذل القيادة النّقابيّة خلال انتفاضة الحوض المنجمي سنة 2008 وأثناء اندلاع المواجهات مع نظام زين العابدين بن علي في ديسمبر 2010 وصولا إلى جانفي 2011 .

غير أنّ التّطوّرات التي حصلت في تونس بعد 14 جانفي 2011 وتوق المناضلين النّقابيّين اليساريّين وجموع الشّغالين بالسّاعد والفكر لتحقيق مكاسب اجتماعيّة وسياسيّة جديدة وأملهم بفرض اختيارات اقتصاديّة تقطع مع النّهج المرتبط بالدّوائر الإمبرياليّة العالميّة وأعوانها المحليين، لم يجد الأرضيّة الملائمة لتنفيذه من قبل القيادة البيروقراطيّة الكلاسيكيّة التي عزّزت صفوفها في مؤتمر طبرقة بقيادات يساريّة سرعان ما اندمجت في الماكينة وأصبحت تشكّل بيروقراطيّة جديدة صاعدة.

لقد تواصلت سيادة مفاهيم غير سليمة تحمل في طيّاتها نزعات «عنتريّة» وقطاعيّة مفرطة مغلفة «ببطولات»زائفة ترفض وضع العمل النّقابي ضمن تصوّر شامل مرتبط بمهام القوى الوطنيّة الدّيمقراطية في البلاد. ورفعت شعارات نفخت في صورة المنظمة ولم تمتلك رؤية علميّة لطبيعة العمل في المنظمات الجماهيريّة التي لايمكن أن تكون بديلا للأحزاب السّياسيّة. فكان شعار « الاتّحاد أكبر قوّة في البلاد» و«الاتحاد عقيدة». وأقحمت القيادة مرّة أخرى المنظمة في صراع أجنحة السّلطة مثلما حصل في السّبعينات والثّمانينات وتصورت أنّ تعيين وزراء تقلدوا مناصب قياديّة سابقا في الاتّحاد قد يمكّنها من نفوذ أوسع متناسية أنّ الدولة وأجهزتها والطبقات الرجعيّة المتحكّمة فيها لن تقبل أن يكون لمنظمة الشّغيلة دورا يتجاوز حدودا معيّنة

خاصّة إذا علمنا أنّ هذه الأجنحة المتصارعة هي لفيف من القوى الليبرالية المتسترّة بالدّين أو المرتبطة بسلطة ما قبل 14 جانفي 2011 .

لم تقدر القوى اليساريّة المناضلة على فرض استقلاليّة سياسيّة فعلية لاتّحاد الشّغل عن النّظام الحاكم وأجهزته حتّى تكون هذه المنظمة الجماهيريّة العريقة دون تردّد جزءا من جبهة القوى المناضلة من أجل مجتمع من نمط جديد يقطع مع اختيارات قادت البلاد منذ 1956 .

إنّ هذا الإرتباك في المواقف إضافة لاشتداد الصّراع بين أجنحة السّلطة وتصاعد الهجمة على العمل السّياسي والنّقابي بنِية ترذيلهما أفرزت حدث 25 جويلية 2021 الذي حصل بعد خطوة أقدمت عليها القيادة النقابيّة متمثلة في عقد مجلس وطني ومؤتمر إستثنائي في فترة تفشي «كوفيد» لتنقيح الفصل 20 والسّماح لأعضاء المكتب التّنفيذي بالترشّح لدورة ثالثة. فكان الخطأ الاستراتيجي القاتل مثلما اعترف بذلك بصفة متأخّرة الأمين العام في المجلس الوطني الأخير.وقد اقترن هذا الإجراء اللاديمقراطي بصعود جناح في النّظام لا يعطي اعتبارا للأحزاب السّياسية ويطلق على منظمات المجتمع المدني صفة « الأجسام الوسيطة « ولا يعترف إلا بسلطة قصر قرطاج رافضا الحديث عن سلطة تشريعية وسلطة قضائيّة ومعتبرا أنّ الحوار الوحيد الممكن يكون في مجلس النّواب المنتخب طبقا لتصوّراته رافضا دعوات قيادة الاتّحاد المتكرّرة لتنظيم حوار وطني بسبب عدم استيعابها لما حصل في 25 جويلية.

اقترن هذا التّصوّر للعمل النّقابي بغضب قاعدي غذّته الإجراءات اللاديمقراطيّة التي اتّخذتها القيادة ضدّ معارضيها بطرد وتجريد العديد من النّقابيّين والتّدخّل المباشر في عدّة مؤتمرات قطاعيّة وجهويّة إضافة لمفاوضات اجتماعيّة هزيلة واتّفاقيّات بقيت مجمّدة وضربة موجعة لتحرّكات المعلمين والأساتذة قادها وزير تربية كان قياديّا سابقا في اتّحاد الشّغل .

لقد عكس المجلس الوطني الأخير المنعقد في المنستير عمق الأزمة والصّراعات التي تعيشها المنظمة التي طالت القيادة المركزيّة نفسها. فكان الخلاف واضحا بين دعاة المؤتمر الاستثنائي والرّافضين لذلك. وحاول المشرفون على جلسات المجلس حصر المداخلات في واحدة لكل قطاع وثلاثة لكل جهة بدعوى ربح الوقت. ولم توزّع اللوائح ورقيّا على نوّاب المجلس وعلى لجان النّقاش والصّياغة واحتكرت القيادة مضامين اللوائح في حامل رقمي يتحكم فيه أحد أعضاء المكتب التّنفيذي لينهي المجلس أشغاله بعد رفض الأمين العام النّقطة 12 من اللائحة الدّاخليّة التي تدعو لمؤتمر استثنائي وانسحاب أنصار هذا الموقف احتجاجا على هذه الممارسات.

أمام هذا الواقع الذي يعكس مرحلة صعبة يعيشها الاتّحاد العام التّونسي للشّغل في ظل قيادة بيروقراطيّة كلاسيكية قادت «المدرسة العاشورية» إلى نفق مظلم برز إعلاميّا صوت قوى هي تاريخيّا جزء من اليسار النّقابي غير أنّها تحمل تصوّرا آخر لحلّ الأزمة لا تتّفق على بعض مكوّناته عدّة قوى نقابيّة يساريّة مناضلة .

فبعد تجربة « اتّحادنا للمعارضة النّقابيّة « الذي أصدر عدّة بيانات ثمّ اختفى تكتّلت هذه القوى تحت راية « الملتقى النّقابي من أجل ترسيخ الممارسة الدّيمقراطيّة واحترام قوانين المنظمة « لتضم في صفوفها نقابيّين معارضين بعضهم من أنصار 25 جويلية وآخرين لهم تجارب مهمّة في العمل النّقابي وكانوا من الفاعلين في إقرار الفصل 10 في مؤتمر جربة 2002 .

ففي حوار أجرته معه جريدة «الشّارع المغاربي» ونشرته يوم 10/09/2024 وكذلك في برنامج «ميدي شو» بإذاعة موزاييك يوم 08/09/2024 اعتبر الطيب بو عائشة أحد المنخرطين في هذا الحراك أنّ « السّبب الرّئيسي والمباشر لأزمة الاتّحاد هو الفصل 20 « وأضاف قائلا « أنّ كل الأزمات التي مرّ بها الاتّحاد كانت بسبب تدخل السّلطة أمّا بالنّسبة للأزمة الحاليّة فبقدر وعينا بوجود دفع من السّلطة نحو استفحالها فإنّ من يتحمّل المسؤوليّة فيها هو المكتب التنفيذي» وجدّد رفض المجموعة لمقترح المؤتمر الاستثنائي. وتجنّب الطيب بو عائشة في الحديثين الإشارة لحدث 25 جويلية أو للإجراءات التي اتّخذت من قبل النّظام من خلال المنشورين 20 و21 على سبيل الذّكر المنظمين للمفاوضات مع الاتّحاد.

إنّ المتأمّل في مقاربة هذا الجزء من المعارضة النّقابيّة يلاحظ توجّهها نحو حصر الأزمة في اجراء تنظيمي قانوني في حين أنّ أزمة البيروقراطيّة النّقابيّة استفحلت بسبب عجزها عن بلورة خطة نضاليّة وعمليّة لمواجهة اختيارات النّظام الحاكم الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسّياسيّة مثلما عبّرت عن ذلك قيادات نقابيّة في المجلس الوطني وهو ما زاد في تهميش دور الاتّحاد وابتعاد القواعد عنه .

ثم ان دعوة هذه المعارضة لتكوين «هيئة حكماء» تسير الاتّحاد بعد رحيل المكتب التّنفيذي مثلما يطالبون وتنظم انتخابات تجدّد خلالها كل الهياكل النقابيّة من النّقابة الأساسيّة وصولا للمكتب التّنفيذي في مؤتمر عام» هو حسب رأينا مغامرة تفسح المجال لعدّة تدخّلات خارجيّة وضرب خطير لمؤسّسات الاتّحاد وقوانينه وهي تذكرنا بحلول سابقة حصلت بعد 26 جانفي 1978 وسنة 1985 استغلت من قبل عدّة قوى لتحجيم العمل النقابي ومحاصرته .

إنّ هذا الطرح الذي يطالب بتجديد الهياكل بإشراف «هيئة حكماء» يتصرّف وكأنّه واثق بدرجة عالية من أنّه بإمكان هذه المعارضة افتكاك عدّة مواقع خلال هذا المسار وفرض قيادة من طراز جديد تقطع مع البيروقراطيّة النقابيّة في حين تسمح لنا معرفتنا المتواضعة بواقع اليسار عامّة واليسار النّقابي بصفة خاصّة بالقول إنّ التّشتّت وضعف جانب الوحدة المميّزان لهذا المكوّن السّياسي لن يسمحا له بجني عدة مكاسب وانتصارات في هذه الانتخابات. فنفوذ الماكينة لا يزال حاضرا والمعركة طويلة وتتطلب إطلاق نقاش واسع في إطار الوحدة والصّراع حول تحديد مفهوم جديد للعمل النقابي يوحّد أوسع قواعد المنظمة يساريّين وغيرهم ويضبط آفاقالدور الاتّحاد العام التّونسي للشّغل .

إنّ الأزمة شاملة. فهي أزمة المدرسة العاشورية كتعبير عن البيروقراطيّة الكلاسيكيّة وأزمة اليسار الذي عزّز صفوف البيروقراطيّة وأصبح بدوره جزءا لا يتجزأ منها. وهي أزمة اليسار النّقابي المناضل الذي أنهكته الصّراعات والانشقاقات والنّزعات اليمينيّة المتذيّلة للنّظام الحاكم .

إنّ التّمسّك بنضاليّة وديمقراطيّة واستقلاليّة ووحدة العمل النقابي وإعطاء هذه المبادئ عمقا علميّا متجذرا من خلال حركة نقاش واسعة تشمل القواعد النقابية وتتجاوز النخبوية هو النّهج الذي تتطلبه المرحلة.

الاتحاد العام التونسي للشغل :

المساس بالفصل العشرين أو الخطيئة الكبرى

بقلم : عبد السلام الككلي*

ان ما يحدث اليوم من تصدع داخل الاتحاد العام التونسي للشغل برز جليا في المجلس الوطني الأخير المنعقد في مدينة المنستير أيام 6 و7 و8 سبتمبر 2024 له بلا شك أسباب كثيرة في صلة بالأوضاع السياسية التي تعيشها البلاد خاصة بعد الواقع الجديد الذي عرفته منذ 25 جويلية 2021 والذي فرض على الاتحاد التواري عن الأنظار وضمور مشاركته في الحياة السياسية نتيجة ميل السلطة الى تهميش دور الاجسام الوسيطة ومنها النقابات ولكن له صلة أيضا بمسائل داخلية تهم المنظمة وربما يكون تعديل الفصل 20 من القانون الأساسي للاتحاد من احد الأسباب الرئيسة لهذا التصدع .

لقد تم هذا التعديل في المؤتمر الاستثنائي غير الانتخابي المنعقد في سوسة يومي 8 و9 جويلية 2021. في ذروة انتشار وباء «كوفيد» وفي اطوار غريبة (ليس هذا مجال استعراضها) مخالفة لكل قواعد الحجر الصحي وقتها. وكانت غايته بلا شك التشريع لبعض أعضاء قيادة الاتحاد الحالية ممّن قضوا المدّة النيابية الثانية في المكتب التنفيذي من اجل الترشح لدورة متتالية ثالثة أو اكثر خلافا لما ينصّ عليه الفصل 20 من القانون الأساسي لاتحاد الشغل الذي يقرر أن أعضاء المكتب التنفيذي الوطني ينتخبون لمدة خمس سنوات قابلة للتجديد مرّة واحدة بمعنى آن دعاة التنقيح من القيادة الحالية هم من كان يمنعهم الفصل 20 قبل تعديله من الترشح لعضوية المكتب بسبب استكمالهم المدّتين النيابيتين. لقد مكن هذا التعديل الذي الغى سقف الترشح لعضوية المكتب التنفيذي لدورتين الأمين العام نورالدين الطبوبي من عهدة أخرى في عضوية المكتب التنفيذيالوطني وثانية في الأمانة العامة بعد ان استكمل دورتين في عضوية المكتب كما مكن اغلب أعضاء المكتب الحالي من الترشح الى أي مؤتمر قادم رغم استكمالهم هم أيضا للدورتين .

المؤتمر الاستثنائي غير الانتخابي مخالف للقانون والواقع

بقطع النظر عن الاحكام القضائية الصادرة لفائدة الاتحاد ومؤتمره الاستثنائي غير الانتخابي والتي تعتبرها المعارضة النقابية « مسيسة وجائرة « يجدر التذكير في السياق القانوني أن المؤتمر الوطني هو سلطة القرار الأولى والعليا والمرجع الأول للاتحاد العام التونسي للشغل وفق ما ينص عليه الفصل الثامن (08) من القانون الأساسي للاتحاد (تم تنقيحه في المؤتمر الثالث والعشرين في جانفي 2017) والفصل التاسع عشر(19) من نظامه الداخلي (تمت المصادقة عليه في الهيئة الإدارية الوطنية بتاريخ 6 و7 جويلية2017) ويتولى النظام الداخلي تفسير وتوضيح بعض أحكام القانون الأساسي شريطة عدم مخالفته لها وفق الفصل مئة وواحد وعشرين (121) من القانون الأساسي

لذا يجوز اعتبار المؤتمر الوطني برلمان النقابيين اذ يقع صلبه مناقشة التقريرين الأدبي والمالي للمكتب التنفيذي المتخلي والتصويت عليهما من طرف النواب وله كذلك سلطة سيادية متمثلة خاصة في انتخاب هيئة ذات وظيفة مزدوجة تسييرية من جهة وتنفيذية لمقرراته من جهة ثانية تدعى المكتب التنفيذي وللمؤتمر كذلك – وهو الاختصاص الذي يهمنا هنا – سلطة تشريعية للقوانين الأساسية والداخلية المنظمة للاتحاد سنا وتعديلا. ونظرا لأهمية هذا الهيكل واتساع صلاحياته أطنب القانون الأساسي والنظام الداخلي في تحديد آجال وشروط انعقاده

وبالرجوع إلى الفصل التاسع من القانون الاساسي والى الفصلين 19 و20 من النظام الداخلي نجد مؤسسة المؤتمر تأخذ صيغتين مختلفتين إما صيغة المؤتمر الوطني العادي وإما صيغة المؤتمر الوطني الاستثنائي وإذا انعقد المؤتمر سواء في صيغته الأولى (العادية) أو صيغته الثانية (الاستثنائية) فانه عملا بأحكام هذه الفصول ينتخب نواب المؤتمر وجوبا قبل بداية الأشغال جميع لجانه التي هي لجنة فحص النيابات ومراقبة فرز الأصوات ولجان اللوائح وتدون جميع أشغاله في دفتر محاضر جلسات مرقم خاص به. فهذه الموجبات فرضها المشرعون للقانون الأساسي والنظام الداخلي كلما انعقد المؤتمر مهما كانت صيغته عادية أو استثنائية

ولمزيد التأكيد على أن غايتهم تنحو هذا المنحى تم التعرض لصيغتي المؤتمر في نفس الفصل التاسع (09) من القانون الأساسي والفصل التاسع عشر (19) من النظام الداخلي دون وجود أي فرق بينهما سوى إجراءات الدعوة لعقد المؤتمر فبموجب النظام الداخلي في فصله 19 ينعقد المؤتمر العادي دوريا كل خمس سنوات بقرار تتخذه الهيئة الإدارية قبل التاريخ المحدد بستة أشهر

أما في حالة المؤتمر الاستثنائي ونظرا لصبغته الاستثنائية فان انعقاده يحتاج إلى شروط مركبة ومشددة للتمكن من عقده إذ يصدر الطلب أولا عن ثلثي أعضاء المجلس الوطني على قاعدة التمثيل النسبي وتتثبت الهيئة الوطنية للنظام الداخلي في توفر النصاب القانوني للممضين في ظرف شهر من تاريخ تسلمها للملف ثمّ ترفع تقريرا في الغرض إلى المكتب التنفيذي الوطني الذي يدعو وجوبا الهيئة الإدارية للانعقاد في اجل لا يتجاوز الشهر وفي صورة إقرارها الطلب يدعو المكتب التنفيذي وجوبا المجلس الوطني إلى الانعقاد قصد التثبت في صحة الطلب وقانونيته وتحديد موعد المؤتمر الاستثنائي في اجل لا يتجاوز شهرين من تاريخ انعقاده

وفي كلتا الحالتين العادية والاستثنائية تحدد الهيئة الإدارية الوطنية بأغلبية أعضائها الحاضرين تراتيب انعقاد المؤتمر ومكانه وتاريخه ويصدر المكتب التنفيذي بلاغا في ذلك قبل انعقاد المؤتمر بعشرين يوما على الأقل ويفتح باب الترشح لمدة عشرة أيام ويتضمن البلاغ وجوبا التنصيص على شروط الترشح.

ومن الواضح وبصريح النص أن القانون الأساسي والنظام الداخلي يجعلان من العملية الانتخابية الغرض الاول من أي مؤتمر عاديا كان أو استثنائيا ولذلك فان الدعوة الاخيرة الى أي مؤتمر والتي تصدر عن المكتب التنفيذي الوطني عشرين يوما قبل انعقاده تتضمن وجوبا شروط الترشح للهياكل المنتخبة من المؤتمر وهي المكتب التنفيذي الوطني والهيئة الوطنية للنظام الداخلي والهيئة الوطنية للمراقبة المالية

ويستخلص ممّا سبق ذكره أن الدعوة للمؤتمر عاديا كان أو استثنائيا لا تتضمن شروط الترشح هي دعوة باطلة ومخالفة لصريح النظام الداخلي في فصله المذكور وتتعارض جوهريا مع وظيفة المؤتمر الأساسية الذي لا يكون بدونها وهي التداول على المسؤولية في الهياكل المذكورة وهو ما يشير اليه الفصل التاسع من القانون الأساسي أيضا حين يشترط في قانونية انعقاد المؤتمر العام العادي أو الاستثنائي ان ينتخب من بين نوابه مكتبا يتكون من رئيس ومساعدين اثنين ومقررين اثنين من غير المترشحين وهو ما يعني ان وجود قائمة للمترشحين هو الذي يحدد انتخاب مكتب المؤتمر ومقرريه فإذا انتفى شرط الترشح انتفى معه كل ما هو مشروط به شرط وجوب من مكتب ومقررين .

لقد كانت الصيغة الاستثنائية لمؤتمرات الاتحاد طوال تاريخه محكومة دائما بظروف خاصة وخطيرة تستوجب عقده على وجه السرعة ودون انتظار انتهاء المدة النيابية ولغايات انتخابية أولا وقبل كل شيء

فبالإضافة الى صريح ما يفرضه النص وجوبا فان الاتحاد لم يعرف في تاريخه غير المؤتمر الانتخابي عاديا كان او استثنائيا. وإن الحديث عن مؤتمر استثنائي غير انتخابي وبالإضافة الى تعارضه معالنصوص الصريحة امر غريب عن تقاليد الاتحاد وما دأب عيه منذ مؤتمره التأسيسي في 20 جانفي 1946

فقد عرف الاتحاد منذ تأسيسه خمسة مؤتمرات استثنائية وهي على التوالي:

*- المؤتمر السابع لتعويض أحمد بن صالح بأحمد التليلي (سنــة1957)

*- المؤتمر العاشر لإزاحة الحبيب عاشور وتعويضه ببلاغة(سنة 1965)

*- المؤتمر الثاني عشر لإرجاع حبيب عاشور وإزاحة بلاغة (سنة 1970)

*- المؤتمر الخامس عشر بقفصة (1981) لانتخاب الطيب البكوش أمينا عاما للاتحاد

* - المؤتمر العشرون في 2002 لانتخاب عبدالسلام جراد أمينا عاما عوض اسماعيل السحباني وهو مؤتمر جربة الشهير الذي اقر عضوية المكتب التنفيذي لدورتين لا اكثر في الفصل العاشر قبل ان يصير الفصل20 لاحقاجاء ذلك بعد طي صفحة الأمين العام السابق إسماعيل السحباني الملاحق قضائيا في ملف فساد والذي تفرد بالرأي وتميزت فترته بغياب الديمقراطية وانتشار الفساد داخل المنظمة، كان شعار النقابيين وقتها هو "تصحيح المسار النقابي».

فكانت المؤتمرات الاستثنائية جميعها والحالة تلك انتخابية بل بإمكاننا القول أن مهامها الانتخابية العاجلة هي التي فرضت عقدها

وحيث تبين ذلك فان الدعوة إلى عقد مؤتمر غير انتخابي كان خرقا جسيما للقانون الأساسي والنظام الداخلي لاتحاد الشغل (يسميه المعارضون النقابيون انقلابا) اذ لا وجود صلبهما لصيغة المؤتمر الاستثنائي غير الانتخابي

أخيرا وحتى لو افترضنا جدلا ان المؤتمر الاستثنائي غير الانتخابي اجراء مطابق تماما للقانون الأساسي والنظام الداخلي للاتحاد فهل كان من صالح القيادة ان تدخل قبل اشهر فقط من المؤتمر العادي في مغامرة المؤتمر الاستثنائيوان تفتح الباب على مصراعيه امام نزاع مع كثير من النقابيين الذين عبروا منذ البداية عن معارضتهم الشديدة لانعقاده مع ما استتبعه ذلك من مشاحنات وقضايا عدلية رفعها عدد كبير من النقابيين افضت في طورها الابتدائي الى قبول الطعن شكلا واصلا في شرعية دعوة المجلس الوطني لانعقاد المؤتمر الاستثنائي والى إلغاء مقرراته مما يعني جدية الطعن وطورين استئنافي وتعقيبي اقرا بشرعية ما قرره المجلس الوطني ولكنهما لم يضعا حدا للجدل الذي ظل مستمرا ومتصاعدا. بسبب ضعف الثقة في القضاء ؟

تحوير الفصل 20 أو الخطيئة الكبرى

إنه بالنظر إلى حيوية البعد الديمقراطي في العمل النقابي وبالنظر إلى قيمة الدور السياسي الجوهري للاتحاد ابرز شريك اجتماعي للدولة ورقيبا على الانتقال الديمقراطي فان احترام الاتحاد لقانونه ليس شأنا داخليا كما يروج لذلك البعض بل هو شان وطني يعني الدولة والأحزاب والمجتمع المدني فقد كان اتحاد الشغل طرفا أساسيا في الحوار الوطني الذي بفضله أحرزت تونس على جائزة نوبل للسلام وشارك منذ الثورة في مشاورات تشكيل الحكومات المتعاقبة وتولى بعض النقابيين مناصب وزارية

وإنّ المجتمع المدني خاصة شريك أساسي في بناء الديمقراطية في تونس من خلال الممارسة الديمقراطية والتدريب العملي على الأساس الديمقراطي في الحياة الداخلية لمؤسساته فمن مسؤوليته إجراء الرقابة على الهيئات العامة ومؤسسات الدولة ولكن أيضا على مكوناته نفسها .

إن من أهم الوظائف التي تقوم بها مؤسسات المجتمع المدني هي إشاعة ثقافة مدنية ديمقراطية ترسي في المجتمع المدني قيم احترام القوانين وأولها القوانين الأساسية والأنظمة الداخلية لكل مكون من مكونات هذا المجتمع تكريسا لمبادئ التشاركية والتداول على المسؤولية والحوكمة الرشيدة داخله وما يترتب عن ذلك كله من ثقافة بناء الجمعيات والهيئات وهذه القيم في مجملها هي قيم ديمقراطية،

ولقد ضمّن دستور الثورة في فصوله مبادئ الحريات العامة والفردية ومبادئ الديمقراطية المرتكزة على حرية الانتخاب وعلى التداول السلمي على السلطة وعلى المسؤولية ولا تلتزم الدولة وحدها بأحكام الدستور وإنّما يلتزم بها المجتمع بكامل مكوّناته من المواطنين والمواطنات وأيضا المجتمع المدني. وذلك مثلما ورد في توطئة الدستور وفي الباب الأول منه والذي يتعلق بالمبادئ العامة والباب الثاني أيضا الذي يتعلق بالحقوق والحريات فقد ورد في الفقرة الثالثة من التوطئة « تأسيس نظام جمهوري تشاركي في اطار دولة مدنية يكون فيه حقّ التّنظّم قائما على التعدّدية «و يجدر التذكير بأنّ التّعدّدية لا تقوم إلاّ بالانتخابات الشفافة والنزيهة وغير معلومة النتائج مسبقا وينصّ الفصل 34 على أنّ حقوق الانتخاب والاقتراع والترشح مضمونة طبق ما يضبطه القانون كما ينصّ الفصل 35 في فقرته الثانية على ما يلي :

«تلتزم الأحزاب والنقابات والجمعيات في أنظمتها الأساسية وفي أنشطتها بأحكام الدّستور والقانون وبالشفافية ونبذ العنف» «

فالمجتمع المدني بجميع مكوّناته مطالب باحترام هذه الحقوق الدستورية في مستويين متلازمين هما أوّلا التنصيص على تلك الحقوق في الأنظمة الأساسية للأحزاب والنقابات والجمعيات وثانيا احترام تلك الحقوق في نشاطها ومن أهم مظاهره المؤتمرات الانتخابية الملتزمة بالقانون باعتبارها الطريقة الوحيدة للتداول على المسؤولية صلبها

ولكل ذلك وبالنظر إلى خطورة ما حدث في الاتحاد العام التونسي من خرق فاضح لقانونه الأساسي كيفما وقع بيانه فالدعوة ملحة إلى مكونات المجتمع المدني للعب دورها في ثني القيادة النقابية عن المضي في هذا النهج وإبلاغها بفداحة ما اقدمت عليه بسبب خرقها للقانون والدستور وما ترتب عن المؤتمر الاستثنائي غير الانتخابي من نتائج وخيمة يصعب تداركها إذ أن غايته كما قلنا كان التشريع لبعض أعضاء قيادة الاتحاد الحالية ممّن قضوا المدّة النيابية الثانية من اجل الترشح لدورة متتالية ثالثة او اكثر، خلافا لما ينصّ عليه الفصل 20 من القانون الأساسي لاتحاد الشغل كما بينا أعلاه.

تشكيك في الشرعية

هكذا نتج عن تحوير هذا الفصل قيادة ظلت المعارضة النقابية تشكك في شرعيتها منذ المؤتمر الاستثنائي غير الانتخابي وخاصة بعدالمؤتمر الخامس والعشرين المنعقد في صفاقس في 16 فيفري 2022 والذي صعد القيادة الحالية وتعتبرها فاقدة لكل مصداقية نتيجة استفادتها من تعديل مغالبة وتحدّ للقانون ومساس خطير بنظام المنظمة وفاقدة لأية إرادة حقيقية لمنخرطي الاتحاد بما يعنيه كل ذلك من مخاطر جمة على وحدة المنظمة ومستقبلها في ظل انتشار دعوات الانسلاخ (رغم عدم جديتها) والخروج منها كرد فعل على المرور بقوة نحو بدعة المؤتمر الاستثنائي غير الانتخابي

وان عمليات التصويت التي وقعت في المجلس الوطني للمصادقة على الدعوة إلى مؤتمر استثنائي غير نظامي وما شابها من أساليب الترهيب والترغيب ليست بديلا عن احترام الاتحاد لدستوره ودستور الثورة من خلال التقيد بعلوية القانون

إن المعركة التي يخوضها النقابيون الديمقراطيون اليوم هي بالأساس حماية للمجتمع المدني وفي مقدمته الاتحاد العام التونسي للشغل. فاحترام الاتحاد لقانونه يمثل جوهر الديمقراطية النقابية وهو شرط لا يستقيم بدونه أي نضال نقابي. والديمقراطية هي نهج الأغلبية وملتقى ومدار مصلحتها أما الأقلية المنتفعة من النفوذ الإداري داخل المركزية النقابية فتحرص على الطابع التسلطي البيروقراطي للمنظمة دفاعا عن مصالحها وخضوعا لحسابات ضيقة

ان هذه المعركة غايتها الأولى هي الإتحاد العام التونسي للشغل الديمقراطي الذي دافعت عنه أجيال متعاقبة من النقابيين : معركة طويلة ومريرة تحتاج إلى جهد أجيال من المخلصين وإن الأوضاع الحالية التي تعيشها المنظمة ويعيشها الشغالون ليست إلا برهانا ساطعا على أهمية الشرط الديمقراطي في أي عمل نقابي وعلى صحة الشعارات التي رفعت دائما في الساحة النقابية والتي تعني الصراع القديم الجديد داخل المنظمة بين جاذبية التسلط والفوقية وجاذبية التسيير الديمقراطي والاحتكام إلى القواعد

وان الدفاع عن هذه القيم هي مسؤوليتنا جميعا ولا مجال إلى أية محاباة أو غض للطرف أو تواطؤ مع القيادة الحالية للاتحاد المستفيد الأول من بدعة المؤتمر الاستثناء غير الانتخابي

أخيرا إن الاتحاد الذي ناضلنا في هياكله ملك لنا جميعا نقابيين وغير نقابيين وليس ملكا لفرد أو مجموعة أو جهة أو قطاع

---

*كاتب عام سابق للنقابة الاساسية للأساتذة الجامعيين الباحثين في كلية الآداب والفنون والانسانيات بمنوبة

كاتب عام مساعد سابق مكلف بالإعلام للفرع الجامعي للجامعة العامة للتعليم العالي والبحث العلمي بمنوبة

هل قرأنا السيد قيس سعيد جيّدا ؟

بقلم : مسعود الرمضاني

«قراءة الناس لا تتم عبر الحدس او الصدفة أو المزاج، بل هي قراءة متأنية نسبر من خلالها اغوار الاخرين»(Patrick King "Read people like a book")

منذ ظهوره الإعلامي المتكرر وقبل انتخابه بسنوات، لم ير التونسيون في قيس سعيد، سوى أستاذ القانون المتواضع، المحب للعدل والعدالة والزاهد في السلطة والمال ، لقد كان بالنسبة للتونسيين نقيضا حيّا لطبقة سياسية اعتبرها اغلب الشعب متعالية ومتكالبة على الحكم ومتوثبة للمناصب والامتيازات....

ولم ينتبه اغلب الناس الى ان أستاذ القانون لم يكن زاهدا في الحكم تماما، فهو يبشر بعقيدة ثابتة ومشروعا سياسيا جديدا، عبّر عنهما في عديد المناسبات، تلميحا وتصريحا، كما ان معادته للطبقة السياسية، لها منطلقات أخرى غير تلك التي يراها التونسيون، اذ هي تحيل الى رؤيته للديمقراطية ومؤسساتها واحزابها، وحتى لمواعيدها الانتخابية الدورية.

«انتهى عهد الأحزاب»:

في حواره المرجعي والاهم مع الصحفية كوثر زنطور في «الشارع المغاربي «، قبل انتخابه بأشهر قليلة في 2019، فسّر قيس سعيد مشروعه الجديد ونظرية البناء القاعدي قائلا انه في صورة فوزه، سيسعى إلى حذف الانتخابات البرلمانية بشكلها الحالي، مضيفا ان عهد الأحزاب السياسية ولّى وانتهى وانه سيعمل على وقف دعم الجمعيات سواء من الداخل او من الخارج، وانه يرى ان دستور البلاد يجب ان ينصّ على ان الدولة هي التي تعمل على تحقيق مقاصد الشريعة، متبنيا طرحا محافظا حول المساواة والاقليات ....

ولكن مساندیه من الاحزاب والمنظمات والنخب لم يطرحوا اسئلة كان يجب ان تُطرح، منها : هل يتطلب مشروع مماثل نظاما ديمقراطيا ليبراليا ومؤسسات منتخبة وقوانين منظمة عادية؟ الا تستوجب «الايديولوجيا الرئاسية» الجديدة تفكيك أسس الدولة بصيغتها تلك واعادة بنائها بشكل مختلف؟ الا يفترض المشروع التأسيسي قوانين جديدة تمنح الرئيس سلطات واسعة حتى يتمكن من تطبيق تصوره لديمقراطيته المغايرة، التي تقلب البناء الديمقراطي المتعارف عليه تاريخيا رأسا على عقب؟

المشروع الجديد: سلطة واحدة

هنا يتنزل كل ما قام به قيس سعيد بعد 25 جويلية 2021، حيث بدأ عبر المراسيم بتقويض كل مؤسسات الدولة القائمة وضرب كل السلطات المضادة وتطويع القضاء وصياغة دستور جديد واتهام كل المعارضين والناقدين بالفساد وبالتآمر مع اطراف اجنبية، فالمشروع لا يتحمل المعارضة ولا مؤسسات تعديلية ولا قضاة لهم مرجعية قانونية مستقلة ، اذ هو لا يتطلب إعادة تمثّل الديمقراطية بصيغتها المتعارف عليها فقط، بل ويستوجب كذلك ان يختزل الرئيس- صاحب المشروع كل السلطات وان يحتكر رؤية تبدو مقدسة حول الوطنية والحكم والسيادة والشعب ، وقد روّج مريدوه وانصاره ان الديمقراطية الجديدة ستكون ملهمة لشعوب العالم جمعاء، وستكون بداية تأسيس لنظام عالمي اكثر عدلا وانصافا .

فهل سيقبل رئيس يبشر بمشروع يغيّر مبادئ الديمقراطية ويرسي بناء قاعديا جديدا يقلب به كل الاشكال التمثيلية السابقة بالتسقيف الانتخابي، أي ان لا يستكمل مشروعه الانساني بسبب استحقاق ديمقراطي «روتيني»؟ وماذا يعني التسقيف الزمني لمشروع بتلك الاهمية والقداسة؟

الشعب لا يريد الا رئيسا وطنيا:

منذ استئثاره بكامل السلطات واصداره لمرسوم 22 سبتمبر 2022، الذي يعلن فيه ان رئيس الجمهورية هو من يتولى سن القوانين والقيام بكل الاصلاحات الدستورية ،ما انفك السيد قيس سعيد يبرهن على انه يسعى الى تصحير الحياة السياسية والحزبية والمدنية ليظل وحيدا على الساحة، حتى يتسنى له تطبيق تصوره حول الديمقراطية القاعدية واستكمال مشروعه في البناء القاعدي، غير عابئ بالازمة السياسية الخانقة في الداخل ولا بعزلة تونس في الخارج.

وقد لمّح عديد المرات، حتى قبل تحديد الموعد الانتخابي باكثر من سنة ،انه هو من يضبط شروط الترشح ويقيّم جدارة المترشحين، فالمترشح للرئاسة يجب ان يكون وطنيا و«لا تربطه علاقات بالخارج» وان يكون صاحب مشروعجديد ومبتكر، لان الامر لا يتعلق بمناسبة دورية عادية ،اذ هي «قضية تحرر وطني»، بل «قضية حياة او موت» أو«قضية بقاء او فناء» كما ردد في مرات عديدة، كل هذا اوحى لكل ملاحظ متبصّر انه لا يريد ان تنتهي ولايته عبر انتخابات عادية، لانه لا يرى في المترشحين الاخرين الا خونة وعملاء وبالتالي لا يستحقون المنافسة.

لأجل ذلك حوّر قانون هيئة الانتخابات، التي كان تأسيسها سنة 2011 منعرجا تاريخيا في الانتقال الديمقراطي، إذ صدر قرار رئاسي في الرائد الرسمي، في افريل 2022، جاء فيه ان أعضاء الهيئة «يتم تعيينهم بأمر رئاسي» وليس بالانتخاب كما جرت العادة، وقد علّق رئيس الهيئة المعفى بان «الامر اصبح واضحا بأنها هيئة الرئيس.» ومن هنا جاءت الإجراءات التعجيزية للترشح ورفض قرارات المحكمة الادارية والتضييق على مراقبة الانتخابات لتكون تماهيا مع هذا المسار ورفضا لان يكون للرئيس منافسين جدّيين.

والخلاصة، في اعتقادي، اننا اليوم إزاء مشهد يجب تشخيصه بدقة قبل الخوض في المشاركة او المقاطعة، اللتين تستوجبان قراءة متأنية في ملامحها وظروف انجازها وكذلك استتبعاتها. فالرئيس يسعى بكل السبل والوسائل لاستكمال مساره، الذي يعتبره مصيريا، حتى لو ادى ذلك الى التضحية بكل أسس الديمقراطية ومقوماتها ودورية استحقاقاتها، وحتى لو كانت نسبة المشاركة في الانتخابات متدنية، من ناحية. في المقابل تسعى الأحزاب والقوى المدنية والمهنية الى تدارك أخطائها وضعفها وانقساماتها الحادة، مدركة ان بقاء الوضع الحالي يعني ضمورها وتلاشيها نهائيا...

لكن الاكيد ان هناك مشهدا جديدا بصدد التشكل، وهو مشهد لا تفعل فيه الاحزاب والمنظمات فقط، بل ايضا الشباب الطامح لمستقبل افضل والطبقات الشعبية والأطراف المهمشة، وكل اولئك الذين ارهقتهم الأوضاع الاجتماعية المتدهورة وسراب الوعود الزائفة، فبدأ صبرها ينفذ.

تأملات في حوار سفير أمريكا بتونس

بقلم : أحمد بن مصطفى - سفير سابق مختص في العلاقات الدولية

منذ مباشرة مهامه بتونس مطلع فيفري 2023، يسعى السفير الأمريكي بتونس جوي هود للتأكيد على استعادة العلاقات التونسية الأمريكية نسقها الودي الطبيعي رغم إقراره بوجود خلافات بين الجانبين بخصوص بعض الملفات في إشارة واضحة إلى التوترات التي عكرت صفو التعاون المشترك نتيجة الانتقادات الأمريكية الغربية لمسار 25 جويلية التي رفضتها تونس في حينها باعتبارها تدخلا في الشؤون الداخلية والسيادية التونسية. ويعتبر السفير إن مثل هذه التباينات حصلت في السابق وأنها تعد أمرا طبيعيا في مسيرة العلاقات الممتدة لأكثر من قرنين.

وللاستدلال على الطابع الاستراتيجي للشراكة التونسية الامريكية، أشار السفير إلى التطور المطرد للتعاون الثنائي في المجالات الحيوية، الأمنية والدفاعية والاقتصادية ذات الأولوية بالنسبة للطرفين في ظل التطورات الإقليمية والدولية المؤثرة في مصالحهما معددا المشاريع والصفقات المنجزة فعليا أو المبرمة مع الوزارات المختصة في القطاعات المذكورة. وأفاد بأن المساعدات الأمنية الأمريكية للسنة الماضية بلغت 160 مليون دولار مشيرا خاصة إلى إنشاء مراكز للتكوين وتسليم قوارب ومعدات للبحرية الوطنية فضلا عن تعزيز أسطول طائرات النقل لفائدة سلاح الجو التونسي. وضمن هذا التوجه تم إحداث مركز للتكوين الأمني بمنطقة النفيضة وهو الأضخم الذي تساهم أمريكا في بعثه باستثمار مشترك يبلغ 40 مليون دولار بما سيساهم في تحويل تونس إلى «شريك في بسط الأمن والاستقرار» من خلال تأمين التكوين لدول جنوب الصحراء في مجموعة من المجالات الأمنية والدفاعية. ونفى إن يشكل هذا المركز منصة أو نواة لقاعدة أمريكية موضحا في حواره الشامل لـ«الشارع المغاربي» أن مجمل هذا التعاون يستجيب لحاجات تحددها تونس فضلا عن إسهامه في بسط الأمن والاستقرار خارج الحدود التونسية وبما يتوافق «مع المصالح الوطنية للولايات المتحدة الأمريكية».

للتذكير ما انفك الغموض المحيط بطبيعة التواجد العسكري الأمريكي بتونس يثير المخاوف والانتقادات في صفوف المعارضة والرأي العام سيما منذ التوقيع سنة 2015، في ظل رئاسة الرئيس الراحل الباجي قائد السبسي، عن مذكرة تفاهم مع الولايات المتحدة تحولت بموجبها تونس إلى «شريك غير عضو في الحلف الأطلسي». واضطرت السلطات الرسمية التونسية، في أكثر من مناسبة، إلى تكذيب التسريبات الواردة بالصحافة الأمريكية عن وجود منظومات للرقابة الجوية الأمريكية تعمل انطلاقا من قاعدتين تابعتين للجيش التونسي ببنزرت ورمادة موضحة أن التعاون مع الولايات المتحدة لا يشمل المهام القتالية وأنه ينحصر في مهمات التدريب والصيانة. نفس «التطمينات» صدرت عن الولايات المتحدة وتحديدا عن قيادة «افريكوم» التي سارعت في ماي 2020 إلى تدارك الآثار السلبية لما أعلنت عنه بخصوص التشاور مع تونس، لإرسال لواء للمساعدة الأمنية في مجال التدريب، لمواجهة «النشاط الروسي في ليبيا» مؤكدة على الطبيعة غير القتالية لهذه المهمة.

تعاظم النفوذ الإقليمي الروسي والمخاوف الأمريكية الغربية من التقارب التونسي الروسي الصيني

عاد هذا الهاجس القديم الجديد ليتصدر الشواغل الأمريكية الغربية في ظل التقارب التونسي الروسي الصيني المندرج في إطار المساعي التونسية لتنويع علاقاتها الخارجية والانفتاح على التعاون مع شركاء جدد من مجموعة «بريكس». في هذا الصدد لم يخف السفير الأمريكي أن الولايات المتحدة «تشاطر مخاوف الاتحاد الأوروبي بخصوص تنامي النفوذ الصيني الروسي بتونس الذي يزعزع الاستقرار في المنطقة وفي القارة». كما جدد التعبير عن انشغال بلاده من تدخل قوات فاغنر الروسية بليبيا عبر البوابة التونسية مؤكدا إن الموضوع أثير رسميا مع الحكومة التونسية في إشارة إلى ما تناقلت الصحف الغربية حول السماح للطائرات الروسية بالمرور عبر مطار جربة. ويندرج هذا الموقف الأمريكي الغربي في سياق دولي يتميز باحتدام المواجهة بين مجموعة السبع ومجموعة «بريكس» الساعية لإنهاء الأحادية القطبية مما فتح المجال مجددا لصراع محموم على النفوذ بين القوى العظمى في المنطقة العربية وجنوب المتوسط فضلا عن القارة الأوروبية التي التحقت، بفعل النزاع في أوكرانيا، بساحات المواجهات «المعولمة» المنذرة بأسوإ العواقب سيما في ظل التهديدات الأخيرة للرئيس بوتين باستهداف الدول الأطلسية المتورطة في ضرب العمق الروسي استهدافا مباشرا.

هذا التصعيد يطال أيضا جبهات القتال في الشرق الأوسط في ظل المحاولات الصهيونية الغربية لإحياء مشروع التطهير العرقي للشعب الفلسطيني والسعي المحموم لإبعاده عن فلسطين باعتباره السبيل الوحيد لتصفية القضية وتحقيق المخطط التوسعي الصهيوني الغربي القائم على تقسيم المنطقة على أسس عرقية ودينية بالتوازي مع تكريس التحالف الصهيوني مع النظام الرسمي العربي على حساب القضية الفلسطينية ومحور المقاومة.

الملاحظ أن التحيز الأمريكي الغربي لصالح الكيان الصهيوني، رغم فظاعة الجرائم المقترفة يوميا بحق الفلسطينيين منذ اندلاع عملية «طوفان الأقصى»، افقد الولايات المتحدة القدرة على مواصلة احتكار إدارة الصراع العربي الإسرائيلي والقضايا الاقتصادية والأمنية بالمنطقة العربية والمتوسطية على النحو الذي كان سائدا في ظل الأحادية القطبية، سيما بعد انكشاف خفايا مخطط «الربيع العربي» وحجم المسؤولية التي تضطلع بها مجموعة السبع بقيادة الولايات المتحدة والحلف الأطلسي في تدهور الأوضاع بالفضاء الإفريقي الشرق أوسطي والمتوسطي وتحديدا بتونس وفي محيطها الأمني المباشر قبل الثورة وبعد اندلاع الانتفاضات العربية.

ولعله من المفيد الإشارة في هذا السياق إلى الرسالة المفتوحة الصادرة سنة 2017 عن الرئيس الاسبق بن علي بخصوص خفايا العلاقات مع الولايات المتحدة والضغوط المسلطة عليه سنة 2008 لتمكينها من إقامة قاعدة عسكرية ببنزرت علما أنه ورد ذكر مضمون هذه الرسالة وبياناتها المرجعية في الكتاب الصادر سنة 2020 باللغة الفرنسية عن الكاتب البشير التركي بعنوان «دول مجرمة : تحالف الشر». ويتطرق الكتاب عموما إلى التاريخ الدموي والتدميري للسياسة الأمريكية الغربية الإسرائيلية في العالم والمنطقة العربية تحديدا وصولا إلى «مؤامرة الربيع العربي» والدور الوظيفي التخريبي الموكول إلى الإسلام السياسي بتونس والمنطقة العربية. ويجدر التذكير في هذا الصدد بالحقائق التالية:

– كان لإقحام تونس في المراحل الأولى للثورة في المخطط الغربي لتدمير ليبيا وللإطاحة بالعقيد القذافي وانخراطها في الحرب الكونية على سوريا انعكاس مدمر على امنها واستقرارها إذ أدى لاحقا، في ظل حكومات الترويكا والحكومات اللاحقة، إلى تحول تونس إلى مصدر للإرهاب ولـ«المجاهدين» المشاركين عبر البوابة التركية والحركات الإرهابية الداعشية في «الحروب الغربية المعولمة» الهادفة لإسقاط النظام السوري ومحور المقاومة. هذا فضلا عن تحويل عبء الهجرة غير النظامية على تونس بفعل الضغط الأوروبي وانفجار الأوضاع في منطقة الساحل الإفريقي بعد تفشي الفوضى في ليبيا مما حوّل معضلة التواجد غير النظامي للأفارقة جنوب الصحراء بتونس إلى مصدر تهديد حقيقي للأمن والاستقرار في بلادنا.

– هذا الانخراط في النزاعات والحروب الأهلية العربية المفتعلة من الغرب ارتد على تونس في الداخل من خلال تفشي الأعمال الإرهابية التي تراوحت بين الاغتيالات واستهداف القطاعات الاقتصادية الحيوية كالسياحة وصولا إلى محاولة إقامة إمارة داعشية في مدينة بن قردان. وهكذا ازدادت تبعية تونس الأمنية إزاء المساعدات الأمريكية الغربية بما أدى لتعزيز الحضور الأمني الأمريكي الغربي في تونس وهو ما أكده السفير الأمريكي مذكرا بالمنظومة الالكترونية لحراسة الحدود التونسية التي تم تركيزها بالتعاون مع الولايات المتحدة وألمانيا. كما حرص على التذكير بالمساعدة اللوجستية والتسليحية والمعلوماتية الأمريكية في التصدي الناجح لعملية بن قردان.

– في الجانب الاقتصادي والتجاري، نجحت الولايات المتحدة ومجموعة السبع، بالاعتماد على حكومات الترويكا والائتلاف بين حزبي النداء والنهضة والاتفاقيات المبرمة مع صندوق النقد الدولي، في تحقيق مكاسب تشريعية كبيرة باتجاه مزيد إدماج تونس في العولمة وتوسيع السيطرة الغربية على الثروات ومفاصل الاقتصاد التونسي فضلا عن تحويل تونس إلى حارس للحدود الأوروبية من موجات الهجرة السرية القادمة من دول جنوب الصحراء.

بخصوص القضية الفلسطينية أكد السفير الأمريكي ضمنيا التدخل الأمريكي لمواجهة مشروع تجريم التطبيع بتونس متجنبا الكشف عن محتوى اتصالاته بالمسؤولين التونسيين في هذا الخصوص علما انه كان قد تحدث أمام الكونغرس عن مهامه الرئيسية كسفير ومن ضمنها «تعميم اتفاقيات أبراهام في شمال إفريقيا». واللافت أن هذا الموقف متزامن مع حرب الإبادة والتطهير العرقي على الشعب الفلسطيني التي شارفت على تخطي عامها الأول دون بروز أي بريق أمل في إمكانية التوصل إلى وقف للقتال وللمجازر اليومية ضد الفلسطينيين وذلك نتيجة التواطؤ الرسمي العربي فضلا عن الدعم الأمريكي غير المحدود وغير المشروط للعدوان الإسرائيلي.

يبقى أن نشير إلى أن هذا الحوار، يعكس تمسك الجانب الأمريكي بتوخي الأسلوب الوصائي في تعاطيه مع تونس ومع العالم العربي عموما وذلك رغم المفعول العكسي لهذه الأساليب التي لم تمنع عدة دول عربية من الإقدام على خطوات سيادية تعكس الرغبة في التحرر من التبعية الأحادية إزاء الولايات المتحدة الأمريكية، ومن ذلك انضمام مصر والإمارات إلى «بريكس».

المحتوى الدراسي في تونس بين الواقع والنظري

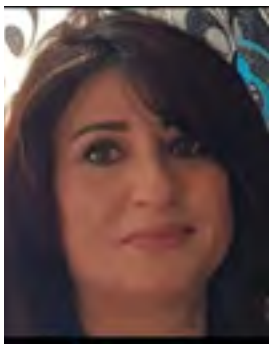

بقلم : بهيجة بالربيع بنرقية (أستاذة)

القانون لا يحمي المغفلين وأزيد على المغفلين الطيبين والمحبين والعاطفيين ...

القانون كالسكين لا يفرق بين غث وسمين .. لذلك وجبت معرفته حتى نحمي أنفسنا من الغد والخيانة وظلم القريب قبل الغريب، وجور القوانين التي وضعت في عهد ما لحماية أشخاص ما أو هياكل ما... يقضي المواطن التونسي ما يقارب السبعة عشر عاما من حياته على مقاعد الدراسة دون احتساب سنوات الرسوب أو الانقطاع ثم العودة...

تنقسم هذه السنوات كما يلي :

- ست سنوات في المرحلة الابتدائية دون حساب السنة التحضيرية التي تكاد تصير وجوبية.
- ثلاث سنوات في المدرسة الاعدادية.
- أربع سنوات في الثانوي.
- معدل أربع سنوات بالجامعة قد تزيد أو تنقص.

ورغم طول المدة الدراسية يتخرج المواطن التونسي وهو بحاجة الى تعليم آخر، كيف ينظم حياته ويبنيها بناء سليما داخل مجتمع استشرت فيه سلوكيات لا قانونية ولا أخلاقية؟ وهذا النقص يعود الى المحتوى الدراسي في تونس الذي يعكس تبايناً بين ما هو نظري وما هو عملي. فمن جهة، يتميز المنهج الدراسي بالتركيز على المعرفة النظرية التي تشمل أسس العلوم المختلفة مثل الرياضيات، والعلوم، واللغات، والتاريخ والجغرافيا وبعض المواد الاجتماعية والفنية دون تعمق وتوجيه فهي لا تدرس من طرف مختصين في الغالب خاصة في المرحلة التعليمية الأولى مما يسهم في اجهاض الكثير من المواهب الناشئة، هذا البرنامج التعليمي يمكن أن يساعد في تعزيز قاعدة معرفية واسعة ولكن قد يفتقر إلى التطبيق العملي الفعلي الذي يعزز مهارات الطلبة في العالم الواقعي، ويؤمنهم ضد مطبات الحياة العملية، لذلك نجد ضحايا الطلاق من الجنسين كمثال لا كحصر يجدون أنفسهم ضحايا لاستغلال مادي ومعنوي وجسدي في ظل جهل تام بالقوانين رغم منزلتهم العلمية الراقية (أطباء، مهندسون، مدرسون.....) يخرجون من مؤسسة الزواج بيد فارغة وأخرى لا شيء فيها رغم أنهم من تحمل الجزء الأثقل في بناء هذه الحياة ماديا ومعنويا...تجدهم يجهلون أنواع الطلاق وما يترتب عن كل نوع منه من اجراءات .. ولا بد من الاشارة هنا أن أكثر ضحايا الاستغلال المادي في تونس من النساء نظرا لخروج المرأة للعمل ومنافستها للرجل في كسب المال وصرفه على الأسرة توازيا مع مجهوداتها الأخرى في بناء حياة زوجية متكافئة وفي ظروف مادية ميسورة ..

1. المنهج الدراسي

- غالباً ما يكون المنهج الدراسي في تونس موجهًا نحو الجوانب النظرية، ويعتمد بشكل كبير على الكتب الدراسية والامتحانات التي توظف فيها هذه النظريات التي سرعان ما تنسى، مما يؤدي إلى ضعف في التطبيق العملي للمعرفة، خاصة في بعض التخصصات، مثل العلوم التقنية والهندسة، قد يتم دمج تجارب عملية ومختبرية، لكن ذلك قد لا يكون كافياً لجميع التخصصات. اذ تركز بعض المؤسسات التعليمية على التعليم الأكاديمي دون توفير فرص كافية للطلبة للتدريب الميداني أو المشاريع العملية التي تعزز خبراتهم الحياتية..

أهمية تعليم القوانين في المؤسسات التربوية

التربية المدنية :

إن تعليم القوانين يساعد الطلبة على فهم القوانين الأساسية التي تنظم المجتمع، مما يعزز شعورهم بالمسؤولية والانتماء فيتعرفون حقوقهم وواجباتهم داخل

خاصة تتناول قوانين حقوق الإنسان، وقوانين الأسرة، والقوانين الجنائية بصور مبسطة خالية من التعقيد.

الأنشطة العملية:

استخدام المحاكاة والنماذج لتعليم الطلبة كيف تُطبق القوانين في حالات واقعية. على سبيل المثال، يمكن تنظيم محاكمات صورية أو مناقشات حول قضايا قانونية معاصرة وفي اطار مواضيع يعيشها الطفل داخل الأسرة كالطلاق والعنف الأسري وتعرض الأطفال الى سوء المعاملة أو العنف من طرف الوالدين أو أحدهما، الاستغلال الجنسي والاغتصاب وغيرها من الجرائم المسكوت عنها من طرف الضحايا أو أسرهم لجهلهم بالقوانين وخشية الفضيحة في مجتمع يكون فيه جلد الضحية هو القصاص الأول. وقبل كل ذلك لا بد من أن يتعلم الطفل حقه في الاختيار وفي تحمل نتائج اختياراته ويعلم أن القانون جعل ليحميه طالما أنه لم يتعدى على غيره ولم يخترق نظم و «أخلاقيات « المجتمع .

استراتيجيات تعليم القوانين داخل المؤسسات التعليمية الصغرى

تعليم الطلبة القوانين يتطلب استراتيجيات متنوعة لضمان فهمهم وتطبيقهم لها بفعالية. هذه بعض الطرق التي يمكن استخدامها:

1. التوضيح بالأمثلة:

استخدام أمثلة واقعية وملموسة يمكن أن يساعد الطلبة على فهم كيف تعمل القوانين في الحياة اليومية.

2. التمارين التطبيقية:

تقديم مسائل وتمارين تطبيقية لتمكين الطلبة من ممارسة القوانين وتطبيقها في سيناريوهات مختلفة.

3. الأنشطة التفاعلية:

تنظيم أنشطة جماعية أو فردية تتيح للطلاب تجربة القوانين بشكل عملي، مثل الألعاب التعليمية أو المحاكاة.

4. التقنيات البصرية:

استخدام الرسوم البيانية، المخططات، ومقاطع الفيديو التوضيحية لتبسيط المفاهيم المعقدة وجعلها أكثر وضوحًا.

5. التكرار والمراجعة:

مراجعة القوانين بانتظام وتعزيزها من خلال التمارين والتطبيقات المختلفة لتثبيت المعلومات.

6. التدريب على التحليل:

تعليم التلميذ كيفية تحليل المشكلات والسيناريوهات لاختيار وتطبيق القوانين المناسبة.

7. الربط بالمفاهيم الأساسية:

ربط القوانين بالمفاهيم الأساسية التي يعرفها الطلبة بالفعل لتعزيز فهمهم.

باستخدام هذه الطرق، يمكن تحسين قدرة الطلبة على فهم وتطبيق القوانين بشكل فعال وتراعي صعوبة توصيل المفاهيم القانونية بشكل يتناسب مع مستوى فهمهم، خاصة في المراحل العمرية المبكرة.

فوائد تدريس القوانين في سن مبكرة

- بناء شخصية قانونية:

يساعد التلاميذ على تطوير احترام القانون والمشاركة الفعالة في المجتمع.

- الوقاية من الانحراف:

يمكن أن يقلل من احتمالية الانحرافات القانونية من خلال تعزيز الوعي بالقوانين والتزام المواطن بالقواعد.

فهم القانون ينظم حياة المواطن ويجعله مدركا لأفعاله وانعكاساتها عليه كفرد وعلى المجموعة التي ينتمي اليها

استراتيجيات لبناء المعرفة بالقوانين الأساسية للحياة الاجتماعية

- تحديث المناهج:

إدراج محتوى قانوني مناسب في المناهج الدراسية بطرق تتناسب مع الأعمار المختلفة.

- **تدريب المعلمين: تدريب المعلمين على كيفية تلقي القوانين بطرق تفاعلية وجذابة.

- أنشطة خارج المنهج:

تنظيم ورش عمل، ومسابقات قانونية، وجولات ميدانية إلى محاكم أو مؤسسات قانونية.

تقديم تعليم قانوني متوازن يساعد التلاميذ على أن يصبحوا أعضاء فعالين في المجتمع، ويعزز قدرتهم على فهم وتطبيق القوانين في حياتهم اليومية.

ماهي أهم القوانين الحياتية التي يجب أن يتعلمها الطالب منذ الصغر ؟

تعليم الطلبة القوانين الحياتية الأساسية منذ الصغر يمكن أن يكون له تأثير إيجابي على سلوكهم وفهمهم للحقوق والواجبات. من أهم القوانين الحياتية التي ينبغي تعليمها للطلاب تشمل:

1. قوانين حقوق الإنسان

- احترام حقوق الآخرين:

تعليم التلاميذ أهمية احترام حقوق الآخرين، مثل الحق في الحياة والكرامة، وعدم التمييز، وحق التعبير.

- الحقوق والواجبات:

توضيح حقوق الأطفال والواجبات المرتبطة بها، مثل الحق في التعليم والعيش في بيئة آمنة.

2 - قوانين المدرسة

- قوانين السلوك:

تعليم قواعد السلوك داخل المدرسة، مثل احترام المعلمين والزملاء، والالتزام بالقوانين المدرسية.

- عقوبات ومكافآت:

فهم النظام المتبع في التعامل مع المخالفات والمكافآت للأداء الجيد.

رأي

3 - قوانين الأسرة

- ❋الاحترام المتبادل:
تعزيز احترام القوانين الأسرية وقيم الأسرة مثل التعاون والإيثار.
- ❋الواجبات الأسرية:
توضيح الدور الخاص بكل فرد داخل الأسرة، وأهمية المساهمة في المسؤوليات المنزلية.

4 - قوانين المرور والسلامة:

- ❋السلامة على الطرق:
تعليم قواعد المرور الأساسية، مثل عبور الشارع بأمان، استخدام إشارات المرور، وارتداء حزام الأمان.
- ❋الوقاية من الحوادث:
نشر الوعي حول سلامة القيادة، وضرورة الابتعاد عن المخاطر مثل المشي في أماكن غير مخصصة للمشاة.

5 - قوانين حماية البيئة:

- ❋الحفاظ على البيئة:
تعليم مبادئ حماية البيئة مثل عدم إلقاء القمامة في غير الأماكن المخصصة، وإعادة التدوير.
- ❋الاستدامة:
تعزيز أهمية استخدام الموارد بشكل مستدام، مثل تقليل استهلاك الماء والطاقة.

6 - قوانين التعامل الشخصي

- ❋أهمية الصدق والأمانة:
تعليم أهمية الصدق في التعاملات اليومية والأمانة في العمل.
- ❋حل النزاعات:
تعلم أساليب فعالة لحل النزاعات والتعامل مع الخلافات بطرق سلمية.

7 - قوانين الصحة

- ❋لوقاية والرعاية الصحية:
نشر الوعي حول أهمية النظافة الشخصية، والتغذية السليمة، والذهاب إلى الطبيب عند الحاجة.
- ❋الصحة النفسية:
تعليم االتلاميذ أهمية العناية بالصحة النفسية وطلب المساعدة عند الحاجة.

8 - القوانين الرقمية والأمن الإلكتروني

- ❋سلامة الأنترنت :
تعليم كيفية استخدام الإنترنت بشكل آمن، وحماية المعلومات الشخصية، والتعامل مع التهديدات الرقمية.
- ❋التفاعل الأخلاقي:
تعزيز السلوك الأخلاقي عند التفاعل عبر وسائل التواصل الاجتماعي.

إن تعليم هذه القوانين الحياتية الأساسية في سن مبكرة يمكن أن يساعد الأطفال على أن يصبحوا أفراداً مسؤولين، قادرين على التفاعل بايجابية واحترام في المجتمع. أشخاص يبنون ولا يهدمون يكونون مجتمعا مسالما تنخفض فيه نسب الجريمة مقارنة لمجتمع لا يتعلم قوانين بلاده والقوانين الكونية الأساسية.

وقد يقول قائل أن عقل الطفل عاجز عن استيعاب القوانين وتطبيقها وقد ترسخ بعض القوانين في سلوكه ويصبح من الصعب تغييرها ويلجأ الى أسهل الطرق وهو الاكتفاء بما تقدمه البرامج اليوم من محتويات هزيلة جافة تنتج لنا أجيالا تكاد تكون جاهلة.ولكن التجربة أثبتت في بلدان أخرى متقدمة أن تعلم القوانين يحب أن يكون من الصغر حتى ينشأ الطفل على احترام مبادئ التعايش السلمي داخل المجتمع الذي وجد فيه وغيرها من المجتمعات ان انتقل وعاش فيها.

من بين هذه البلدان التي تهتم بتعليم القوانين والحقوق في سن مبكرة لتعزيز استيعاب الشباب لمفاهيم القانون والمواطنة. هذه:

1❋السويد: تتضمن المناهج الدراسية فيها تعليم القوانين وحقوق الإنسان، ويُعزز التعليم المدني منذ سن مبكرة.

2❋ألمانيا: توفر المدارس دروسًا حول حقوق الإنسان والقوانين الأساسية كجزء من التعليم المدني، مع التركيز على المسؤولية الاجتماعية والقانونية.

3❋فنلندا: يشمل النظام التعليمي فيها تعليم الطلبة عن الديمقراطية وحقوق الإنسان، ويُفعل التعليم المدني بشكل واسع في المناهج الدراسية.

4❋كندا: توفر بعض المقاطعات برامج تعليمية تركز على القوانين والحقوق كمكونات أساسية في المناهج الدراسية.

5❋الولايات المتحدة: هناك بعض الولايات التي تضم مناهج دراسية تتعلق بالتربية المدنية والقانونية في المراحل الدراسية المختلفة.

هذه البلدان تسعى إلى تعليم الأطفال والشباب مبادئ القانون لتمكينهم من فهم حقوقهم وواجباتهم كمواطنين. وتعمل الدولة على ضمان هذه الحقوق وهذه الواجبات بدءا من الحياة اليومية الى جواز السفر وحياته داخل بلدان أخرى .

TunisieValeurs
LA MAISON DE L'EPARGNANT

التقرير الأسبوعي لـ «التونسية للأوراق المالية» :

بنك الأمان يحلّق، سنيماد تقفز وتأمينات «أَمِي» تكبو

منحى السوق

- تميّز نشاط البورصة خلال الأسبوع الثاني من شهر سبتمبر 2024 بنزعة نزولية وخسر المؤشر المرجعي 0،2 ٪ ليستقر عند النقطة 9787،5 ليبلغ أداؤه السنوي + 11،8 ٪.
- حافظت التداولات على حجم متواضع بلغ 18،8 مليون دينار بما مثل معدلا يوميا بـ 3،8 ملايين دينار ولولا تبادلين بالكتل شملا أسهم شركة TPR (3 ملايين دينار) وشركة صنع المشروبات بتونس SFBT (1،1 مليون دينار) لكانت التداولات أقل حجما حسب تحليل الوسيط الرسمي لبورصة الأوراق المالية بتونس.

تحليل تطوّر الأسهم

- حقق سهم شركة سنيماء SANIMED أفضل أداء خلال الأسبوع المذكور الممتدّ من 9 الى 13 سبتمبر الجاري. ودون أن يكون محور أي تداول سجل سهم فرع مجمع عبد الناظر المختص في المنتوجات الصحية قفزة بـ 17 ٪ بسعر 1،170 ٪.
- كان سهم شركة التونسية للايجار المالي والفكتورينغ TLF ضمن أكبر الرابحين خلال الأسبوع المذكور مسجلا ارتفاعا بـ 6،7 ٪ بسعر 16،650 دينار مجتذبا تبادلات بـ 132 ألف دينار.
- كان سهم تأمينات أمي ASSURANCES AMI أكبر الخاسرين خلال الأسبوع المذكور مسجلا تراجعا بـ 8،6 ٪ بسعر 1،690 دينار وسط حجم أموال بـ 105 آلاف دينار.
- كان سهم الشركة التونسية للبلور SOTUVER خلال الأسبوع المذكور ضحية عملية قبض مرابيح مسجلا تراجعا بـ 5،7 بسعر 11،500 مجتذبا مدّا ماليا بـ 324 ألف دينار.
- كان سهم بنك الأمان AMEN BANK الأكثر تداولا طيلة الأسبوع المذكور، ورغم تسجيله تراجعا بـ 0،2 ٪ بسعر 42،900 دينار جمع السهم حجم تداولات بـ 1،3 مليون دينار.

مستجدات السوق

- الشركة التونسية للبلور : القائمات المالية الفردية الى حدود 30 جوان 2024 :

شهد رقم معاملات الشركة الرائدة في صناعة البلور بتونس مع انتهاء السداسي الأول من العام الجاري تراجعا حادا بـ 40 ٪ ببلوغ 48،7 مليون دينار.

وسجلت نتيجتها الصافية تراجعا بـ 71 ٪ لتستقر عند 6،3 ملايين دينار مقابل 21،1 مليون دينار مع نهاية جوان 2023.

وتجدر الإشارة الى أن النتائج الفردية لا تأخذ بعين الاعتبار إنجازات الكيان المصدر الجديد SGI الذي يعادل انتاجه انتاج الشركة الأمّ وذلك بعدما قامت الشركة بين 17 أفريل و16 جويلية بإعادة بناء الفرن الثاني الذي يوفّر 50 ٪ من الإنتاج.

وقد شرعت الشركة التونسية للبلور خلال السداسي الأول من عام 2024 في برنامج استثمارات طموح خصصت له 50،1 مليون دينار. ويتعلق المحور الأساسي من هذا البرنامج بتجديد الفرن الأول وتحديث آلات الإنتاج به الى جانب إعادة بناء الفرن الثاني.

وتندرج هذه العملية في اطار عملية عادية لاستغلال الفرنين والتي تتطلب تحديثهما تحديثا شاملا كل 10 سنوات.

وفي ما يتعلق بالفرن الثاني تأتي عملية تحديثه بعد استغلاله طيلة 11 سنة.

وستسمح هذه الاستثمارات التي تبلغ قيمتها 32 مليون دينار للشركة التونسية للبلور بتحسين نجاعة نشاطها والتمكن من تقنياته للتمكن من اقتحام أسواق جديدة طبقا لسياستها واستراتيجيتها التجارية 2025 – 2030.

إشهار

حتى لا ننسى أول محطة انتخابية في تاريخ الدولة الوطنية الحديثة:

انتخابات المجلس القومي التأسيسي

بقلم : منصف سلطاني (أستاذ وباحث في التاريخ السياسي المعاصر)

أمضى رئيس الحكومة التونسية الطاهر بن عمار مع الساعة الخامسة وخمس وأربعون دقيقة من يوم 20 مارس 1956 مع الوزير الفرنسي كريستيان بينو اتفاقيات الاستقلال التام بحضور عديد الأعضاء من الوفد التونسي. وقد رجع الوفد التونسي المفاوض إلى البلاد يوم 24 مارس 1956 برئاسة الطاهر بن عمار، وتم استقبالهم وسط حضور شعبي كبير لتحقيق حلم كل التونسيين بالاستقلال التام .

بعد إمضاء هذا البروتوكول، وقع إلغاء العمل نهائيا بمضامين معاهدات الاستقلال الداخلي الذي أمضي في 3 جوان 1955، تلك الاتفاقيات التي تسببت في تقسيم التونسيين إلى شقين الشق اليوسفي والشق البورقيبي .

وبعد تحقيق هذا الحلم، سارع التونسيونإلى إجراء انتخابات مجلس قومي تأسيسي تتمثل مهمته في اعداد دستور للبلاد في ظل النظام الملكي حسب الأمر العلي الصادر في 29 ديسمبر 1955. ولا يحق لهذا المجلس حسب هذا الأمر تشكيل الحكومات أو التدخل في نظام الحكم للمملكة التونسية حسب الفصل الأول من الأمر العلي التي جاءت صيغته على النحو التالي :» يقع استدعاء مجلس قومي تأسيسي يوم 8 أفريل 1956 لسن دستور لمملكتنا « .

وقد قاطع اليوسفيون انتخابات المجلس القومي التأسيسي رفقة الحزب الحر الدستوري القديم. وسارعوا إلى حثّ التونسيين بعدم التصويت لأن هذه الانتخابات في اعتقادهم محسومة لصالح الحزب الحر الدستوري الجديد ولحلفائه « الجبهة القومية « قبل يوم الاقتراع.

وتم إجراء الانتخابات يوم 25 مارس 1956 في 18 دائرة انتخابية ترشحت فيها قائمات الجبهة القومية التي تتكون من الحزب الحر الدستوري الجديد وبعض المنظمات الوطنية مثل الاتحاد العام التونسي للشغل والاتحاد التونسي للصناعة والتجارة والاتحاد القومي للمزارعين التونسيين.

وفي المقابل شارك الحزب الشيوعي التونسي في 12 دائرة فقط وضمت قائماته 69 مترشحا.

وبصفة عامة، قدرت نسبة المشاركة في أول انتخابات بتونس المستقلة بـ82.86% حسب تصريح الجهات المختصة، وقدرت الأصوات المعلنة ب 599.232 صوتا من إجمالي 723.151 مسجلين بالقائمات الانتخابية.

وفازت الجبهة القومية بكل المقاعد بالأغلبية الساحقة وجاءت النتائج كالآتي : 29 مقعدا لصالح الحزب الدستوري الجديد و34 مقعدا لصالح الاتحاد العام التونسي للشغل و10 مقاعد لصالح الاتحاد التونسي للصناعة والتجارة و13 مقعدا للاتحاد القومي للمزارعين و12 مقعدا لفائدة المستقلين .

وضمت تركيبة المجلس القومي التأسيسي كل شرائح المجتمع التونسي حسب المهن وهم على النحو التالي : 19 مزارعا، 14 محاميا، 11 تاجرا، 11 أستاذا، 10 موظفين، 8 معلمين، 7 عمال، 5 أطباء، 3 صيادلة، 3 مقاومين، صحفيان (2)، ساعيا بريد، مهندس واحد، حرفي وخبير.

وعقدت الجلسة الأولى للمجلس القومي التأسيسي يوم 8 أفريل 1956 بحضور محمد الأمين باي. ووقع انتخاب الزعيم الحبيب بورقيبة رئيسا للمجلس وأحمد بن صالح رئيسا للجنة صياغة الدستور .

وفي أول جلسة لهذا المجلس قدمت حكومة الطاهر بن عمار استقالتها في نهاية يوم 8 أفريل 1956 ودعا الباي مكتب المجلس القومي التأسيسي للتشاور حول تكليف الشخصية التي ستشكل الحكومة الأولى للبلاد بعد الاستقلال وكلف الزعيم الحبيب باجماع من أعضاء مكتب المجلس بهذه المهمة وأقيمت يوم 11 مارس 1956 مراسم تنصيب الحبيب بورقيبة وزيرا أكبر (رئيس الوزراء) وأعلن عن استقالته من رئاسة المجلس القومي التأسيسي يوم 14 أفريل 1956 بسبب عدم الجمع بين رئاسة المجلس والحكومة وتم تعويضه في هذا المنصب بجلولي فارس.

وبعد ذلك ذلك، تم تشكيل أول حكومة للبلاد بعد الاستقلال برئاسة الزعيم الحبيب بورقيبة وضمت أعضاء عن الحزب الدستوري الجديد وهم الباهي الأدغم مساعدا لرئيس الحكومة، المنجي سليم وزيرا للداخلية، محمد المصمودي وزير دولة، الطيب المهيري وزيرا للداخلية، أحمد المستيري وزيرا للعدل، الهادي نويرة وزيرا للمالية، الفرجاني بالحاج عمار وزيرا للإقتصاد القومي، الدكتور محمود الماطري وزيرا للصحة العمومية. كما ضمت هذه الحكومة أيضا وزراء عن الاتحاد العام التونسي للشغل وهم محمود الخياري ومصطفى الفيلالي وعز الدين العباسي.

ولا يمكن التغافل أن بعض أعضاء الحكومة كانوا ينتمون للحزب الدستوري الجديد والمنظمة الشغيلة في آن واحد وتعود جذور هذه العلاقة الوطيدة بين الحزب والنقابة إلى سنة 1946 تاريخ تأسيس الإتحاد، حيث لم تكن الحركة النقابية بمعزل عن الحركة الوطنية في فترة النضال الاستعمار الفرنسي بتونس. واستمرت علاقة التحالف بينهما إلى يوم 26 جانفي 1978، حينما أعلنت المنظمة النقابية «إتحاد الشغل» الإضراب العام بكل جهات الجمهورية التونسية. وواجهت قوات النظام البورقيبي ذلك بالقمع مما أدى إلى سقوط عديد القتلى والجرحى.

ولم يقتصر دور المجلس القومي التأسيسي عن صياغة دستور للمملكة فقط حسب ما نص عليه الأمر العلي الذي ذكر سابقا، بل حرص هذا المجلس المنتخب على إلغاء النظام الملكي للبلاد وإعلان نظام بديل «النظام الجمهوري». فقد صوت نواب المجلس القومي التأسيسي عشية 25 جويلية 1925 على إعلان النظام الجمهوري وإلغاء الملكية دون معارضة. وتم على ذلك تكليف الزعيم الحبيب بورقيبة برئاسة الجمهورية التونسية ولم يكن إعلان النظام الجديد للبلاد أمرا إعتباطيا، فقد اجتمع الديوان السياسي للحزب الدستوري الجديد بالقصبة سرا وقرر إلغاء النظام الملكي نهائيا.

وختاما، كانت لانتخابات المجلس القومي التأسيسي «أول انتخابات في تاريخ تونس المعاصر» لها دور بالغ الأهمية، حيث أقرت مجلسا تشريعيّا كان له بصمة جليّة في تأسيس الدولة الوطنية الحديثة والرقي بها إقليميا وعالميا.

الهوامش :

بوقرة، (عبد الجليل)، المجلس القومي التأسيسي : الولادة العسيرة لدستور غرة جوان 1959، دار برسبكتيف، تونس، 2011.

بن يوسف، (عادل) ،» كيف ألغيت الملكية وأعلن النظام الجمهوري في تونس «، ليدرز، تونس، 25 جويلية 2019.

ليسير، (فتحي)، « من الذاكرة الوطنية : المرحلة البورقيبية في مسار إعلان الجمهورية «، حقائق أون لاين، تونس، 23 جويلية 2016.

بعد اقتطاع دام سنوات :

خفايا مدّ أمريكا القاهرة بالمعونة العسكرية كاملة

الحبيب القيزاني

فاجأت واشنطن القاهرة منذ حوالي 5 أيام بالإعلان عن ارسال المعونة العسكرية للجيش المصري كاملة وبلا نقصان.

القرار فاجأ الحكومة المصرية باعتبار أن كل المؤشرات كانت تشير في ظل الأزمة الصامتة بين القاهرة وتل أبيب حول محور فيلادلفيا ومخطط تهجير فلسطيني قطاع غزة الى صحراء سيناء الى أن الإدارة الامريكية ستقضم - تحت ضغط اللوبي الصهيوني - من المساعدة العسكرية لمصر "عقابا لها على رفض الموافقة على مخطط نتنياهو لتهجير الفلسطينيين الى صحراء سيناء" إضافة الى تحرك مصر ضد مخططات أثيوبيا المدعومة من طرف إسرائيل لتهديد أمنها القومي عبر البحر الأحمر وتحديدا عبر محاولة السيطرة على باب المندب والتحكم في حركة مرور السفن بقناة السويس والبحر الأحمر عموما.

ولمّا كانت المصالح هي التي تقود سياسات وتصرفات الدول فالأكيد أن وراء القرار الأمريكي سرّا وأنه لم يأت حبّا في مصر لأنه من الثابت أن واشنطن لا تمنح دولة ما تمويلات أو اعانات مالية كاملة المبلغ ومجانية إلا اذا كانت تريد من تلك الدولة أداء خدمة لها.

فالقرار الأمريكي غريب... غريب في توقيته وفي أحداثه وكذلك في شكله. ولفهم أبعاده لابدّ من التعرض الى قصة المعونة العسكرية الأمريكية لمصر... متى بدأت وكم قيمتها ولماذا تم إقرارها وهل سبق للإدارة الامريكية أن هدّدت بقطعها أو قضمت منها مبلغا معينا ولماذا؟

بدأت قصة المعونة العسكرية الامريكية لمصر مباشرة بعد توقيع اتفاقيات السلام مع إسرائيل عام 1978 المعروفة باسم "اتفاقيات كامب ديفيد" والتي أشرف عليها الرئيس الأمريكي آنذاك جيمي كارتر بحضور الرئيس المصري الراحل أنور السادات ورئيس الحكومة الإسرائيلية مناحيم بيغين. وصرّح وقتئذ كارتر بأن واشنطن قررت منح معونة عسكرية سنوية للجيش المصري مقابل معونة لإسرائيل قدرها ضعف المعونة المقررة لمصر وذلك في اطار تعهد أمريكي للحفاظ على اتفاقية السلام. وكانت هذه المعونة خلال السنوات الأولى هامة جدا للجيش المصري الذي خرج من حرب مدمّرة مع إسرائيل (حرب أكتوبر 1973) والذي كان في أمسّ الحاجة لاعادة بناء قواته المسلحة. لكن مع مرور السنوات لم تعد المعونة الركيزة الأساسية التي يعتمد عليها الجيش المصري.

ولم تكن المعونة نتيجة سخاء أمريكي أو من أجل عيون مصر وإنما كانت مقابل امتيازات هامة جدا بالنسبة للجيش الأمريكي منها أنه كان يجوز للطائرات العسكرية الامريكية المرور بأجواء مصر بكل حرية كسلاح تابع لدولة صديقة وكشريك. كما كانت القطع العسكرية البحرية الامريكية تحصل على ما يسمّى "العبور المفضّل" مع ما يعني ذلك من تمكينها من أولوية المرور ومعاملتها كأية قطعة بحرية عسكرية مصرية. كل ذلك يتم دون حصول مصر على مقابل.

في 2013، وبعد مرور سنتين على قيام الثورة في مصر وانتصاب حكم الاخوان، حدثت ثورة 30 جوان التي رأى فيها الكونغرس والرئيس الأمريكي آنذاك باراك أوباما انقلابا على الشرعية وتم منع المعونة العسكرية عن مصر.

وقد اغتنم الكونغرس أيامها الفرصة ليقرر أنه بات بإمكانه التدخل في المعونة الموجهة الى مصر واستعمالها كسلاح لفرض قرارات دولية أو "إصلاحات" داخلية تتوافق مع مصالح وسياسات أمريكا سواء في ما يتعلق بالحريات العامة أو بالمنوال الاقتصادي.

خرج باراك أوباما من البيت الأبيض دون التوصل الى المسّ من المعونة. ثم جاء دونالد ترامب الذي كان حريصا على صرف المعونة كاملة.

بعدها جاء جو بايدن الذي عبّر عن رفض ادارته اعتقال وتعذيب النشطاء وتوجه للسيسي برسالة كان فحواها : "لا شيكات على بياض لدكتاتور ترامب المفضّل". وكان أول ما قام به بايدن حالما دخل البيت الأبيض أن قطع 130 مليون دولار من المعونة الامريكية لمصر.

لكن بايدن – حسب ما أفادت الصحافة الامريكية عموما – اكتشف مع مرور الوقت أهمية دور مصر في المنطقة في العديد من القضايا الإقليمية ليتراجع عن سياسة معاداة نظام الرئيس السيسي وقرر عام 2022 اقتطاع 130 مليون دولار فقط من معونة بلاده لمصر معلّلا قراره بغياب حقوق الانسان فيها.

في سبتمبر 2023 اقتطعت واشنطن 85 مليون دولار من المعونة المخصصة لمصر من أصل 230 مليون دولار طالبت الخارجية باقتطاعها. وبرّرت الإدارة الامريكية آنذاك قرارها بعمليات الافراج عن معتقلين سياسيين ونشطاء بالمجتمع المدني التي قامت بها القاهرة.

في سبتمبر الجاري كان الجميع ينتظر اقتطاع مبلغ هام من المعونة العسكرية خصوصا بعد طلب الكونغرس ذلك.

لكن ما حصل هو أن واشنطن حافظت على المعونة كاملة. وأصل الحكاية أن وزير الخارجية أنتوني بلينكن استعمل اللجوء الى اجراء يسمى Security wever بما يعني استثناء أمنيا مؤكدا أن العلاقات مع مصر هامة جدا وأن المصريين حققوا تقدما هاما جدا في مجال حقوق الانسان والحريات العامة والدفاع عن المصالح الامريكية.

أما لماذا فاجأ القرار الأمريكي الجميع وأحدث صدمة حتى لدى كبريات الصحف والقنوات التلفزية الامريكية فذلك بسبب قضية رئيس لجنة العلاقات الخارجية بالكونغرس بوب مينينديز الذي تمت ادانته رسميا بالوسائط والأدلة بالتعامل مع المخابرات المصرية مقابل رشوة وحصول زوجته على ذهب.

القضية تمثل فضيحة تضرّ بمصالح أمريكا وبصورتها وتفرض على واشنطن تسليط عقوبة على مصر ومع ذلك قررت عدم الاقتطاع من المعونة المخصصة لها خاصة أن مينينديز استقال وتم غلق ملف فضيحته والسؤال هنا لماذا؟

أولا لأن القاهرة سعت طوال الحرب بين إسرائيل والمقاومة الفلسطينية الى وقف اطلاق النار. وقد ثمنت الخارجية الامريكية ذلك اكثر من مرة وأكدت "ثقتها في جهود مصر وقطر لخفض التصعيد بالشرق الأوسط".

ثانيا لأن المصريين مارسوا سياسة ضبط النفس ولم يتحركوا بأي شكل من أشكال التهوّر أو بما يظهر سعيهم الى حرب جديدة مع إسرائيل أو كسروا اتفاقية كامب ديفيد الى جانب أنهم ساهموا في الافراج عن رهائن أمريكيين.

ثالثا أن واشنطن تريد إفهام القاهرة أنها لا تنظر الى مصر بعيون نتنياهو الذي يحرّض عليها خصوصا أن نتنياهو يلوي العصا في يد بايدن ويضع شروطا تعجيزية في ما يخصّ التوصل الى وقف اطلاق النار مع المقاومة الفلسطينية.

لكن أخطر تفسير لقرار واشنطن بعدم الاقتطاع من معونتها لمصر هو أنه بعدما أعلنت القاهرة عدم مشاركتها في الحلف الذي بنته واشنطن للمشاركة في الدفاع عن إسرائيل في صورة أمطرتها ايران بالصواريخ وبالطائرات المسيّرة المفخّخة ردا على اغتيال إسماعيل هنية فوق أراضيها، توقع الجميع أن تعمد واشنطن الى الاقتطاع من المعونة. لكن ذلك لم يحدث لسبب تخوف الإدارة الامريكية من حدوث شرخ كبير في التحالف الذي بنته ضد ايران بل وكذلك درءا لحصول تقارب مصري – ايراني على حساب الحليف الإسرائيلي وعلى المصالح والوجود الأمريكي بالمنطقة.

لكن هل سيرضى اللوبي الصهيوني الذي يتحكم في السياسة الخارجية الامريكية عن ذلك؟ هذا شيء مستبعد لأن اللوبي الصهيوني يقف في صفّ نتنياهو ويمارس مع مصر سياسة الابتزاز مرحلة تلو الأخرى. وحاليا همّ نتنياهو الأول ومن ورائه اللوبي الصهيوني في أمريكا هو ابتلاع محور فيلادلفيا باعتبار أن ذلك ليس أفضل ضمان لعدم تسلل أسلحة الى المقاومة الفلسطينية مثلما يزعم فقد كذب الجيش الإسرائيلي ادعاءات نتنياهو هذه حول النقطة وإنما لضمان ممر آمن للسلطات الإسرائيلية تقوم عبره بتهجير الفلسطينيين الى صحراء غزة أمام عيون كل العالم ولتهذب اتفاقيات كامب ديفيد الى الجحيم.

رفض

خلال اللقاء الكروي الذي جمع منتخب إيطاليا بنظيره الإسرائيلي الأسبوع الماضي بملعب "بوسيك أرينا" في إطار تصفيات دوري الأمم الأوروبية أدار جانب كبير من الجماهير الإيطالية الحاضرة ظهرهم للنشيد الوطني الإسرائيلي تعبيرا عن رفضهم جرائم الكيان الصهيوني بقطاع غزة وادانتها.

تكذيب

صحيفة "واشنطن بوست" الأمريكية كذبت المزاعم الإسرائيلية حول مقتل الناشطة التركية الأمريكية عائشة نور إزغي إيغي "بطريق الخطأ وسط اشتباكات عنيفة"، مستندة بذلك إلى تحليل أكثر من 50 مقطع فيديو وصورة حصرية وإفادات شهود.

تحقيق للصحيفة بعنوان: "فيديو جديد، شهود يتحدّون رواية إسرائيل حول مقتل ناشطة أمريكية، وجد أن عائشة نور أصيبت بعدما هدأت الاشتباكات وتراجع المحتجون الفلسطينيون.

وفي التفاصيل، قالت الصحيفة إنها "أجرت تحقيقًا وجد أن إيغي أصيبت برصاصة بعد مرور أكثر من نصف ساعة من ذروة المواجهات في (بلدة) بيتا (بمحافظة نابلس شمال الضفة الغربية)، وبعد نحو 20 دقيقة من تحرك المتظاهرين على الطريق الرئيسي، على بُعد أكثر من 200 ياردة (نحو 183 مترًا) من القوات الإسرائيلية".

وأضافت أنها لإعادة بناء أحداث يوم الحادثة، تحدثت إلى 13 شاهد عيان وأشخاص من سكان بيتا، وحلّلت أكثر من 50 مقطع فيديو وصورة قدمتها لها حصريًا "حركة التضامن الدولية" التي كانت عائشة نور متطوعة فيها، ومنظمة "فزعة" الفلسطينية الحقوقية.

صاعق نووي عملاق؟

موقع "الشبكة العالمية" ذكر أن "نية الولايات المتحدة الأمريكية في شن هجوم نووي خاطف على روسيا والصين وربّما أيضا كوريا الشمالية باتت واضحة رغم تحذيرات العلماء من أن نتيجة حرب عالمية ثالثة ستكون فناء ما لا يقلّ عن 50 ٪ من سكان الأرض خلال العامين الأولين التاليين لانفجارات الصواريخ النووية".

الموقع استشهد على ذلك بمداخلة قال أن الدكتور تيودور بوستول من معهد التكنولوجيا العسكرية الذي يعتبر أكبر عالم أمريكي متخصص في الحرب النووية بمعهد Quincy الذي يمثل أهمّ مجمع تفكير حول الحرب النووية قال فيها : "أن استراتيجية الرئيس بايدن النووية الجديدة تعتمد على صاعق عملاق يفجّر حربا نووية" قبل أن يضيف : "لقد شرع الجيش الأمريكي في تحديث رؤوس نووية تسمح بشن حرب على الصين وروسيا في نفس الوقت".

وحسب الموقع تابع الدكتور بوستول : "بفضل الصاعق العملاق سيصبح بإمكان الولايات المتحدة تدمير ما يفوق 300 صاروخ نووي صيني عابر للقارات في صوامعها الأرضية وذلك بفضل العديد من الرؤوس الحربية من نوع W-76 Trident II والتي تبلغ قوة كل واحد منها 100 كيلو طنّ. كما سيكون بإمكان أمريكا تدمير الـ 300 صاروخ روسي نووي العابرة للقارات في نفس الوقت.

وأشار الموقع الى أن محاولة تغليف واشنطن جهودها في الاستعداد لشن ضربات صاروخية نووية استباقية وخاطفة بلغة "تغيير العقيدة النووية" لا تخدع الروس ولا الصينيين.

زلّة...

موقع "الشبكة العالمية" كشف أن البحرية العسكرية الأمريكية فتحت تحقيقا بعد اكتشاف قبطان حاملة طائرات الهليكوبتر The USS Manchester نصب لاقط هوائي بإحدى زوايا جسرها يعمل بنظام الربط بالانترنت عبر الأقمار الاصطناعية التابعة لشركة Space X لصاحبها ايلون ماسك.

وحسب الموقع أثبتت التحقيقات أن دافع "المارينز" الذين قاموا بذلك كان تحسين النفاذ الى خدمات الانترنت للتواصل بطريقة أسهل مع أفراد عائلاتهم وأقاربهم.

الموقع ذكّر بأن الأمر يتعلق بسفينة حربية وبأن تركيب أي جهاز اتصال غير مسموح به يعرض الفاعلين الى عقوبات قاسية بالنظر الى الخطر الذي يمثله ذلك خصوصا بالنسبة لسفينة تتمتع بمزايا التخفي عن عيون رادارات الاعداء.

وأضاف الموقع أن "الجناة" حاولوا في بداية الأمر التستر على فعلتهم وأنه تمت بعدما أخذ التحقيق منعرجا جديا، معاقبتهم بتهمة الاخلال باجراءات الحماية وتعريض السفينة الى الرصد والى إمكانية التعرض لهجوم سيبرني.

ديقاج...

غزيغورز براون النائب البولوني العضو بالبرلمان الأوروبي أدلى يوم 12 سبتمبر الجاري بتصريح شجب فيه اصطفاف بلاده وراء الولايات المتحدة الامريكية في الحرب الدائرة بأوكرانيا.

براون أدلى بتصريحه بمناسبة الزيارة التي أداها الى وارسو وزير الخارجية الأمريكي انتوني بلينكن قادما من كييف. وعبّر براون عن غضبه على "تورط بلينكن في تأجيج الحرب الدائرة" داعيا إياه الى "مغادرة بولونيا حالا".

وقد عرضت التلفزة البولونية غزيغورز محاطا بنائبين آخرين وهو يردّد أمام الميكروفون : "ارحل يا بلينكن... أغرب عن وجوهنا وعد من حيث أتيت... أنت غير مرحّب بك هنا... ديقاج... البولونيون يموتون بسبب حروبكم".

ديبلوماسية طواحين الهواء

نبيه البرجي

اذا كان المستشرق الفرنسي غوستاف لوبون قد رأى في الشرق (الأوسط) "بوابتنا الى الله"، فإن الرئيس الفرنسي فرنسوا ميتران رأى فيه "بوابتنا الى التاريخ"!

كان ميتران كثير الزهو بالتراث الفرنسي، لا سيما التراث الفلسفي، وهو أحد أبنائه. لذا تصور أنه أكثر ادراكاً من أي رئيس أمريكي للبنية الايديولوجية للصراع العربي ـ الاسرائيلي. وكان يقول، قبل دخوله الى الاليزيه، "ان الفارق بين الثقافة الفرنسية والثقافة الأمريكية كالفارق بين كتاب "البؤساء" لفيكتور هوغو وزجاجة الكوكا كولا".

ولدى انتخابه رئيساً للجمهورية، قال "ليس منطقياً أن نطلب اذناً من البيت الأبيض حتى حين نعطس". آنذاك كان هو، كفيلسوف، في الاليزي، وكان رونالد ريغان، كـ"نائب للسيد المسيح"، في البيت الأبيض. رئيسان، برأسين يابسين. احدهما يقول بـ"أمريكا العظمى" التي تواجه "أمبراطورية الشر"، أي الاتحاد السوفياتي، والثاني يقول بـ"فرنسا العظمى" التي تواجه "أمبراطورية الكاوبوي"، أي الولايات المتحدة. من هنا دعا ميتران الى مؤتمر دولي حول الشرق الأوسط في مدينة البندقية.

للتو استعار توماس فريدمان عنوان رواية شهيرة للألماني توماس مان "موت في البندقية" ليكتب مقالة في "نيويورك تايمز" أدرك الرئيس الفرنسي فحواها على الفور. لا مكان لك، أو لغيرك، في تلك المنطقة. كما لو أن الأنوار أطفئت تلك الليلة في باريس. كان يفترض أن تطفأ في سائر أنحاء القارة، وفي ثلاثة أوقات متتالية. انزال النورماندي عام 1944، مشروع مارشال عام 1947، والخروج من السويس عام 1956.

الفيلسوف الفرنسي أندري مالرو رأى أن الأنوار أطفئت في أرجاء الكرة الأرضية ليلة هيروشيما. هذا ما رآه أيضاً جورج كينان، صاحب نظرية "الاحتواء" (1946)، ليقول ان روما استيقظت ثانية. هذه المرة بسراويل الجينز لا بالعباءات المزركشة. لعل الرجل الذي وضع خارطة الطريق للمسار الفلسفي للديبلوماسية الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية وقبل الحرب الباردة، لم يستذكر، في تلك اللحظة، ما آلت اليه الأمبراطورية الرومانية.

لا صوت في العالم يعلو على الصوت الأمريكي. كل ديبلوماسية أخرى هي ديبلوماسية طواحين الهواء. الصينيون ينتهجون ديبلوماسية التسلل، ربما الى حين بناء ترسانة عسكرية تضاهي الترسانة الأمريكية. هل هذا ممكن حقاً؟

ماذا كان لجان ـ ايف لودريان المعروف بالشخصية البيروقراطية أن يفعل سوى أن يسأل "كيف للبنانيين الذين يصنعون هذا النوع من النبيذ أن يصنعوا هذا النوع من الأزمات؟"، بعدما كان الصحافي الفرنسي اريك رولو قد رأى في ساستنا "سكارى ما بعد منتصف الليل" الذين لم يفعلوا شيئاً يذكر للخروج من منطق الحانة الى منطق الدولة.

أي مهزلة تلك حين يطرح الأمريكيون أنفسهم كوسطاء، مع اعتقاد الكثيرين منهم أن وجودهم في الشرق الأوسط رهين بوجود (وبتفوق) اسرائيل ؟ لكن ما حدث، ويحدث، في كل من غزة ولبنان جعلهم في حالة من الضياع. كيف لم تتمكن الدولة العبرية، بالمساعدات العسكرية الهائلة، من سحق فصائل عسكرية، بالدراجات النارية لا بالدبابات ولا بالقاذفات، لا بل أن نتائج المواجهة كانت صادمة، بظهور تلك التصدعات البنيوية في "أمبراطورية يهوه".

الأمريكيون الذين باتوا أمام واقع مختلف، لن يتغيروا. رهانهم الآن على تفكك، وعلى هشاشة، الدول العربية المعنية، للقيام بدور الوسيط المزدوج، وبأجنحة الملائكة التي يرى فيها الكثيرون في المنطقة أجنحة الأفاعي، حين لا يستطيعون التأثير، أو احتواء، رجل مثل نتنياهو، وهو يترنح بين الركام الفلسطيني والركام الاسرائيلي.

أتانا جوزيف بوريل الذي ذهب كل صراخه من أجل غزة هباء لينصحنا بأن نستعمل عقولنا، بحدودها القصوى، في مواجهة من يستعملون غرائزهم ـ غرائز المجانين ـ بحدودها القصوى. أما آموس هوكشتين فقد خذله الاسرائيليون، وهو الضنين بمصير اسرائيل أكثر منهم، حين أبلغوه بأن وقف النار في غزة، ان حصل، لا يعني تلقائياً وقف النار في لبنان قبل تطبيق قرار مجلس الأمن 1701 وفق الرؤية الاسرائيلية، والا فليذهب لبنان، بكل أزماته، الى الجحيم..

رهاننا على الديبلوماسية الأميركية لكأنه الرهان على ديبلوماسية طواحين الهواء في مواجهة طواحين الدم. هل ننتظر اطفاء الأنوار في واشنطن مثلما أطفئت في روما ؟!

رأي

إيران في الإستراتيجية الأمريكية

أ.مصطفى الكعبي

تعتبر إيران قوة إمبريالية صاعدة تنافس القوى الإمبريالية التقليديّة خاصة الإمبرياليّة الأمريكية. كلاهما يسعى للهيمنة على منطقة الشرق الأوسط وتحديدا منطقة الخليج العربي والعراق لما تمتلك من ثروات نفطية ضخمة ممّا أعطى أهميّة للممرّات المائية بالمنطقة العربيّة.

إيران زادت أطماعها في نفط العراق لقرب نفاد احتياطها من النفط وهو ما أكده جميع خبراء الطاقة.

حرب الكويت كانت فرصة للتدخل الإيراني ثمّ التحالف مع أمريكا سرّا لإخراج الجيش العراقي من الكويت في مرحلة أولى وشنّ الحرب على العراق في مرحلة ثانية. فكان الرئيس صدام حسين عدوّا مشتركا بين ثالوث الشرّ في العالم أمريكا وإسرائيل وإيران التي دفعتها أحقادها الفارسيّة الدفينة إنتقاما من العرب السنّة وطمعا في نفط العراق وبشهادة كبار الضباط العراقيين لأحد القنوات لاحقا. لقد ساهمت إيران في تبديد مخاوف الأمريكان عند الحرب البريّة على الكويت فقامت بالزج بقواتها في جنوب العراق لمشاغلة الجيش العراقي ممّا دفع به للتراجع وسحب بعض القطاعات العسكرية من الكويت وتعويض دبّاباتها بأخرى فاسدة وبعضها بلاستيكية سرّا دون أن يعلم الأمريكان بذلك لأن خبراء العراق كانوا يعرفون الساعات التي يغيب فيها القمر الاصطناعي الأمريكي عن المنطقة عند دورانه ممّا جعل عديد الخبراء العسكريين يشيدون بعبقريّة الرئيس صدام حسين التي جعلت الخسائر أقل بكثير ممّا كان متوقعا.

وبعد حرب الكويت وأمام إصرار أغلب الأنظمة العربية وإيران ومن ورائها الشيعة والأكراد على التخلّص من نظام صدام العدو المشترك واصل الأمريكان حربهم على العراق وأوكلوا لإيران مهمة مشاغلة الجيش العراقي من الجنوب والشرق وبذلك ساهمت إيران في تدمير العراق واحتلاله وقد جعله الأمريكان احتلالا دائما بإنشاء القواعد العسكريّة فيه وفي سوريا عندها تبيّن أن التحالف مع إيران كان مؤقتا وخاصّة عندما اتّضحت خطورة الإستراتيجية الإيرانية التي تقضي بالهيمنة على العراق وسوريا وجنوب لبنان للنفاذ إلى البحر المتوسط ثم الهيمنة على أهمّ ممرين بحريين في العالم وهما مضيق هرمز الواقع عند عنق الخليج العربي ومضيق باب المندب بالمدخل الجنوبي للبحر الأحمر اللذين يمرّ ثلثا تجارة النفط العالميّة عبرهما وقد أكّدت الحرب الإسرائيلية على غزة هذه الحقيقة.

إنّ ما تقوم به إيران من قصف للمنشآت الأمريكية بالعراق وسوريا والإسرائيلية لا يمثل إلا ضغطا على أمريكا قصد إخراجها من العراق لأنّ المشكلة ليست مع إسرائيل بل مع الأمريكان. فإيران تضغط بإسرائيل على أمريكا والأمريكان يعرفون ذلك جيّدا لذلك يتدخلون عند كل تهديد إيراني بالردّ. فلا غرابة من التواطؤ الإيراني مع إسرائيل لخلق ذريعة للردّ الإيراني ضغطا على أمريكا على غرار اغتيال القائد الفلسطيني إسماعيل هنية بإيران بتواطؤ الاستخبارات الإيرانية مع إسرائيل. وللتمويه على الخيانة والغدر الفارسي قامت القيادة الإيرانية بالتحقيق مع المخابرات الإيرانية حول ما إذا كان هناك اختراق إسرائيل للأمن الإيراني.

أسئلة كثيرة تطرح نفسها اليوم ؟؟

- ما هو السبيل لإيقاف الحرب الإسرائيلية على غزة؟
- وماذا بعد الحرب ؟ هل تشنّ أمريكا حربها على إيران ؟ أم ماذا ؟ .

في اعتقادنا أن السبيل لإيقاف الحرب على غزّة هو أن يحارب كل الفلسطينيين من جميع الجبهات بتكثيف الهجمات الاستشهاديّة في العمق الإسرائيلي، هذا أولاً. أمّا ثانيًا فإنّنا نشير على البطل السنوار باستعمال الرهائن دروعا بشريّة والامتناع عن المشاركة في المفاوضات. كما يتحتم احتلال أحد المنشآت الإستراتيجية الإسرائيلية والتوكل على الله ناصر المستضعفين .

أما عن أحداث ما بعد الحرب وفي ما يتعلّق بالمنافسة الأمريكيّة الإيرانية ففي اعتقادنا يستحيل أنّ تشنّ أمريكا حربا على إيران لعدة اعتبارات .

• أولا : أن إيران استفادت من الدرس العراقي من ناحيتين: الأولى أن الرئيس صدام حسين حارب لوحده وحتى لا تقع إيران في نفس المأزق تحالفت مع أعتى القوى النووية في العالم وهما روسيا والصين ألدّ أعداء الأمريكان. أما من النّاحية الثانيّة فقد كشف الدرس العراقي العجز الأمريكي العسكري على الأرض لأنه لا يوجد في الجيش الأمريكي من هو جندي مقاتل لضعف المعنويات مما جعلها تتكبّد خسائر فادحة وكثير من الأمريكان سلم نفسه وكثير منهم من أطلق النار على رجله حتى لا يرجع للعراق فليس من مصلحة أمريكا إعادة السيناريو مع الجيش الإيراني العقائدي الذي أكسبته الحرب مع الجيش العراق البطل خبرة واسعة في حرب الشوارع والصحراء .

• ثانيًا : الإعتبار الثاني الذي يجعلنا نجزم بعدم قيام حرب حقيقيّة بين أمريكا وإيران هو تنامي القدرات العسكرية الإيرانية التقليدية منها والإستراتيجية والخطر الأكبر على أمريكا هو امتلاك إيران أكثر من غواصة بإمكانها حمل رؤوس نوويّة قريبا من المدن الأمريكية التي تعد أقل واحدة منها تسعة ملايين ساكن. إزاء كل هذه المخاطر لن تغامر أمريكا بالحرب مع إيران ولكنها ستفضّل التقرب منها سرّا لعقد اتفاقيات صداقة وتعاون تضمن اقتسام المصالح والسكوت على الملف النووي الإيراني بشرط أن توقع إيران اتفاقية عدم الاعتداء مع إسرائيل وأمريكا كشرط أساسي .

وفي نفس الوقت تستفيد أمريكا وإسرائيل من الدور الإيراني الطائفي المخرب في البلاد العربية بما يخلق بؤر توتر تخدم المصالح الإسرائيلية والأمريكية وكل هذا وذاك على حساب المصلحة العربية الإسلامية وخاصّة فلسطين وإن ما نخشاه هو إعادة تقسيم فلسطين .

نتنياهو منع عرضه ببلاده :

فيلم «ملفات بيبي Bibi Papers» يزلزل الشارع الإسرائيلي

تعيش دولة الكيان الصهيوني هذه الأيام على وقع فضيحة من العيار الثقيل أثارها عرض مهرجان تورنتو السينمائي بكندا فيلما بعنوان «ملفات بيبي» Bibi Papers للمخرج الأمريكي الحائز على جائزة الأوسكار أليكس غيبني Alex Gibney مدته الزمنية أكثر من ساعتين يتضمن مشاهد غير مسبوقة ولقطات لم تعرض من قبل عن تحقيقات الشرطة مع نتنياهو في قضايا الفساد والرشوة المرفوعة عليه حسب ما نقل الموقع الامريكي DEADLINE.

عنوان الفضيحة في الصفحة الأولى من موقع DEADLINE الأمريكي.

المخرج الأمريكي أليكس غيبني يحتفي بأنجلينا جولي وسلمى حايك

لقطة من أحد فيديوهات الفيلم يظهر فيها نتنياهو قبل دخول قاعة النائب العام الاسرائيلي للتحقيق معه.

هيئة البث الإسرائيلية أفادت من جانبها بأن نتنياهو تقدم يوم الاثنين 9 سبتمبر الجاري بطلب عاجل للقضاء الإسرائيلي لمنع نشر وثائق من جلسات محاكمته بتهم الفساد تضمنها الفيلم وأن المحكمة استجابت له.

اللافت للنظر أن السلطات الامريكية سمحت بعرض الفيلم الذي يتناول عدة قضايا فساد مرفوعة بنتنياهو شرع فعلا القضاء الإسرائيلي في النظر فيها واستدعاه عدة مرات للاستماع اليه. قبل تأجيل مواصلة جلسات محاكمته بعد عملية «طوفان الأقصى» وشن إسرائيل حرب على قطاع غزة.

وقد تم توثيق محاكمة الرجل بصور وفيديوهات وتسجيلات صوتية له وهو يدلي بشهاداته أو وهو يدافع عن نفسه اعتمدها كلها المخرج الأمريكي المذكور في فيلمه «ملفات بيبي».

ولئن لا يعلم أحد الى حدّ الآن من أين وكيف حصل المخرج على صور وتسجيلات وفيديوهات الشرطة الإسرائيلية فإن من أهم قضايا الفساد التي تلاحق نتنياهو قضية هدايا ثمينة يقال انه تلقاها من مسؤولين دوليين بارزين ومن كبار أثرياء العالم. هدايا تلقاها إما للسكوت أو للتكلم أو لفعل شيء ما.

وقد تدخّل نتنياهو لدى مهرجان تورنتو السينمائي في محاولة لمنع عرض الفيلم لكن إدارة المهرجان لم تستجب لطلبه وتم عرض الفيلم.

مخرج الفيلم أكد انه تم بالفعل اتخاذ قرار بمنع عرض الفيلم في إسرائيل مرجعا ذلك الى «قوانين الخصوصية في البلاد في ما يتعلق بالشهادة» مشيرا الى ان بقية دول العالم لا تخضع لهذا القيد والى أنه بالتالي يمكنها عرض الفيلم.

23 صفحة

الشارع الثقافي

العدد 423 - من الثلاثاء 17 إلى الاثنين 23 سبتمبر 2024 - الموقع الالكتروني www.acharaa.com - البريد الالكتروني : maghrebstreet@gmail.com

الحائز على جائزة «فايزر» البريطانية البروفيسور علي البقلوطي لـ«الشارع الثقافي»:

العلم لغة مشتركة والنجاح بداية طريق

هدفي الأساسي تقديم إسهامات ملموسة في مجال الرياضيات لا مراكمة الجوائز

لماذا نقرأ آلان باديو

«يجب ألا نمارس الفلسفة إلا بشكل قصائد»
بيير ماشري إلى ٥، م

بقلم : محمود هدايت

مصحف الرقّ الأزرق القيرواني تراث عالمي منهوب

بقلم :
نجيب زروق

أمراض المثقفين

بقلم:
حسونة المصباحي

ترجمان الأسرار الشّاعر الصّوفي الإيراني حافظ الشّيرازي

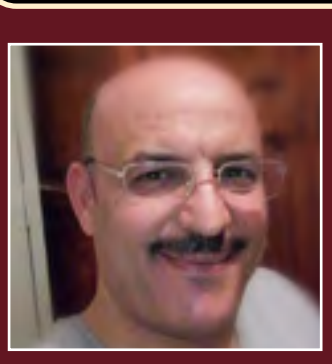

بقلم : صلاح بوزيّان

وقفة

الاختلاف ضرورة في الديمقراطية

بقلم : فتحي التريكي

فنون تشكيلية

قراءة في سينوغرافيا التشكيل وسنفونيّة الصّمود في تنصيبة الفنان التشكيلي مراد صمود

بقلم : د. الصادق بن تركيّة

وقفة

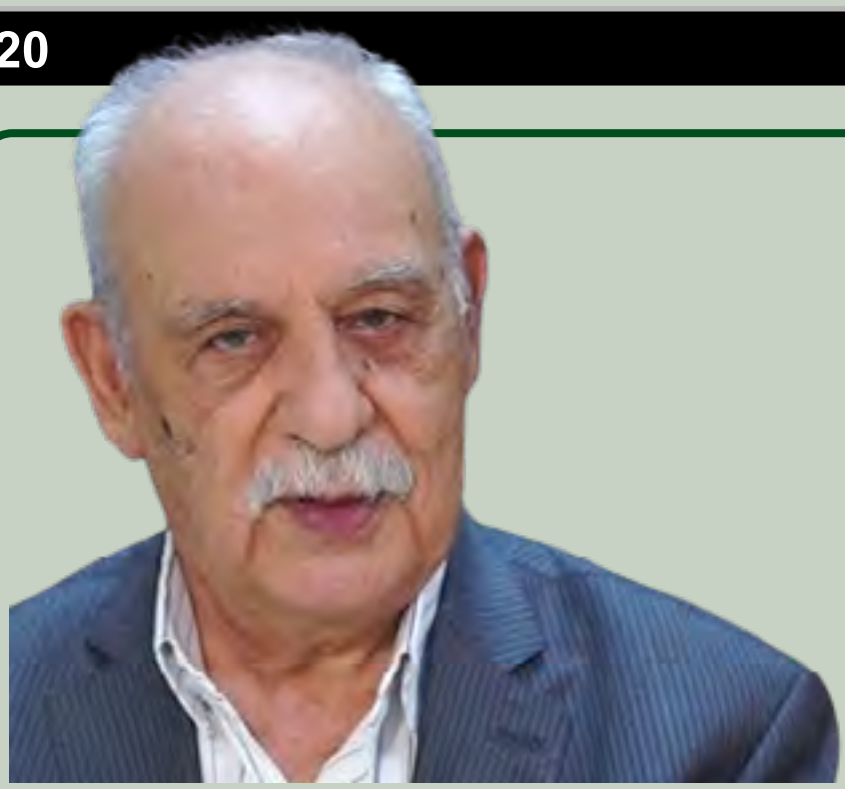

الاختلاف ضرورة في الديمقراطية

بقلم : د. فتحي التريكي

في الظروف الصعبة والشائكة التي يعيشها الإنسان حاليا في العالم حيث يسيطر العنف بأشكاله المتعدّدة على العلاقات بين البشر وبين الدول، لابدّ من وقفة تأمّليّة فلسفيّة حول بنية هذه العلاقات وحول أسّها المتمثّل في مفهوم الغيريّة.

نحن في تونس في أوضاع الحملة الانتخابية مثلا نعيش تجاذبات كلاميّة واتهامات بعضها خطير وإقصاءات وسجون وهروب ومحاكمات وسب وشتم وهتك أعراض وكلّها تنمّ عن فشل ثقافتنا لاستيعاب العيش معا في كنف الكرامة. فلابدّ من تطوير فلسفة الفرد والغير وهي في رأيي فلسفة المستقبل لأنّها سترفع النقاب من ناحية على جملة الآليات التي تستعملها السلطات الماليّة والسياسيّة والإعلاميّة لتحويل الإنسان الفرد إلى مورد ثروة أو إلى مستهلك للبضائع والأفكار فقط فتنزع عنه الإرادة وملكة الاختيار. وستناضل هذه الفلسفة لتعيد إليه حقوقه وإرادته وحميميّته بوصفه حرّية. كذلك ستقوم هذه الفلسفة على إبراز الغير من حيث هو فرد محدد لهويّتي لأني في الأخير، ما أنا إلا غير الغير. فالفردانية والغيريّة ركيزتا تحرير الذات. فلا حرّية بدون تحريرهما من قبضة الجماعة ولا هويّة بدون إثبات حرّياتهما. وفي الحقيقة أنا الفرد وأنا الغير في ذات الأوان.

وددت أن أوضّح هنا وفي هذا الإطار، خطرا بات يهددنا وهو المتولد عن تصورات هؤلاء الذين يرفضون الفرديّة والغيرية في الآن وأوضّح كذلك النتائج الوخيمة الناجمة عن فكرة إقصاء الفرد من حيث هو هو أو من حيث هو الآخر سواء كان هذا الآخر داخل الوطن أو خارجة.

وقناعتي أنّ في عملية التفاهم بين المواقف والاتجاهات، سياسية كانت أو مذهبيّة، تتم تنمية وعي تاريخي مشترك بين الجميع لتبادل الآراء حول الجوانب الايجابية والسلبية الخاصة بالعلاقات المشتركة. وبما أن الوعي التاريخي يجعل تصوّر ما هو مشترك يمتد إلى المشاكل الراهنة فإن وجوده سوف يعتبر عاملا مهما يساعد على تجاوز الخلافات من خلال التوازن بين التجانس والاختلاف. فإذا ما أردنا أن ننمي وعيا تاريخيا مشتركا فإنه يكون من الضروري لكل طرف أن يستعد لمناقشة أوضاعه بنفسه ونقدها قبل كلّ شيء وأن يتحلى بالشجاعة لمجابهة نفسه قبل نقد الآخر.

فالسبيل إلى ذلك يكون أساسا في الانفتاح على الغيرية أي في أن يدرك كل منا أن نظرته للعالم مختلفة عن نظرة الآخر وأن هذا الاختلاف ليس عيبا أو نقصا أبدا. وما وقعت تجربته على أنه «غيرية» في الحوار بين المواقف والثقافات والأديان يتشكل في العلاقات التي تربط بين أفراد ينتمون إلى ثقافات مختلفة وإلى مذاهب مختلفة وكذلك فإن ما هو» خاص»(الفرد) وما هو» آخر» لا يوجد في حدّ ذاته و»الخاص» و»الآخر» ليس لهما كيان في المطلق وإنما هما وجهان لنفس العملة يتكونان خلال اللقاء الذي يربط بين أفراد ينتمون إلى اتجاهات مختلفة أو إلى ثقافات متعدّدة. فالغيرية يعيشها الفرد في سياق ما،أي في إطار تاريخي وثقافي معيّن. ومثل هذه التجربة ليست ممكنة إلا من خلال الانفتاح على الآخر ووجود رغبة في معرفته وذلك بربطه بأفق تفاهم تاريخي وثقافي خاص وبالتالي بتحسين نوعية هذا الحوار. فإن الاعتراف بحق المتحاورين في الاختلاف الواحد عن الآخر وفي التعبير عن التنوع الفكري أو الثقافي أمر فلسفي ولكن جدواه يكون أقوى إذا أصبح أمرا سياسيا. فالحق في التنوع هو حق من حقوق الإنسان الذي يستطيع الدخول به في نقاش مع الآخرين دون عراك ودون عنف.

وحتى يعيش الفرد ضمن منظومة التنوع وفي فضاء ديمقراطي فمن الضروري أن يتهيأ لفكر متغاير البنية وذلك يعني أن يكون المرء مستعدا للتفكير انطلاقا من الآخر وأن يقبل إقحام الغيرية في طريقة تفكيره الخاصة وطريقة إحساسه وسلوكه. وبإمكاننا في حوار الثقافات أن نعالج مسائل تخص تعدد الثقافات وفي الآن أن ننمّي آفاق كونية ثقافية من شأنها أن تحسن العلاقات التي تربط الأفراد بعضهم ببعض كما تربط البلدان المختلفة من أجل سلم ممكنة. ذلك ما نجح الغرب نسبيا في إرسائه داخل حدوده بأن طور فلسفة الغيرية وجعلها مبدأ التعايش داخله ولكنّه حاول أيضا وفي الآن نفسه تطوير فلسفة إقصائيّة عنصرية واستعمارية عندما يكون الآخر خارج أسواره.

في واقع الأمر عملية الإقصاء في المجتمع والسياسة تتمثل في عدم الاعتراف بالآخر من حيث هو آخر له نفس الحقوق في أن يختلف عنك ويناضل بطرق قانونية من أجل أفكاره حتى وإن كان هذا النضال متوجها ضد قناعاتك ونمط تفكيرك. كما تتمثّل في عدم إعطاء مواقفه وآرائه حق قدرها وحشره في قائمة الشرّير (الكافر، الخائن، العميل ...) تمهيدا لتصفيته معنويا وأحيانا جسديا. وكلّنا يعرف أنّه قد تمت قبل الثورة ممارسة الإقصاء بأشكال مختلفة في تونس فتم إقصاء الحركات اليسارية والقومية بالسجن والتعذيب والإبعاد والتكتم والمنع ثم تلا ذلك إقصاء الحركات الإسلامية بنفس الوسائل ووصل الأمر حد محاربة المجتمع المدني.

وفي رأيي يكون النضال ضد ثقافة الإقصاء ببلورة مفهوم التسامح المبني على فلسفة الغيرية، فالتسامح المؤسس على قيم الانفتاح والخلق واستشراف المستقبل والاختلاف هو الذي يضمن طريقنا في بناء الديمقراطية وتأسيس العيش معا في كنف الكرامة مما يجعل علاقة الفرد بالآخر علاقة تكامليّة غير منفصلة.

فالتسامح هو الثقافة التي تمكّن، في نفس الوقت، من احترام الاختلافات الفكرية والعقائدية للأفراد، كما تمكّن من التأكيد على الصبغة الكونية لكل ثقافة تساميّة وتسامحية مهما كان حجمها لتصبح خيرا من الخيرات المشتركة للإنسانية برمتها بما أنها تمنع الإقصاء وتعترف بالتنوع المذهبي والفكري والثقافي محليا وكونيا.

ولابد أن نلاحظ هنا أن التنوع الثقافي لا يشمل المجتمعات المتعددة والتحولات الأنثروبولوجية للمجتمعات المعاصرة فقط، تلك المجتمعات التي تقبل أكثر فأكثر حضور ثقافات متعددة وتجمعات كثيرة وبالتالي تنوعا ملحوظا لأنماط الحياة. بل يشمل الآن أيضا مجتمعات موسومة بالواحديّة الثقافية واللغويّة والدينيّة والإثنيّة نظرا لسرعة تنقل البشر والسلع والمعلومات والأفكار والمذاهب والإيديولوجيات. فالمكوّنات الفكرية الشمولية التوحيدية قد تصبح تراجعية ارتدادية تعيق التطور والتحديث إذا بنت نسقيّة توحيدها على الإقصاء واستبعاد الأفراد والمجموعات ونبذ الاختلاف.

ولأجل ذلك حاول بعض المفكرين والفلاسفة تعميق التجربة الكندية المعروفة التي تربط بين الاندماجية والاختلافية. وهي تجربة مهمّة وجذّابة يجد فيه الفرد متعة العيش معا في كنف الاحترام اعتمادا على قوانين صارمة تحفظ الحقوق وتزع الناس بعضهم عن بعض.

ولكنّ النقاش حول هذه التجربة قد أخذ بعدا آخر حيث تبيّن أنّ الديمقراطيّة الناتجة عن هذه الغيرية قد تصبح خاضعة لمآرب أصحاب المال والأعمال فتحاول تجاوز الاختلاف سياسيا، بحيث قد يجبر أصحاب القرار الناس بواسطة كل الوسائل التكنولوجية المتاحة على الانضواء في حقل إيديولوجي معين وعلى الموافقة سواء كانت ضعيفة أو ذات شأن على مشروع وحيد وشكل من الوحدة الثقافية والإيديولوجية. وهو ما نلاحظه الآن في سائر البلدان الديمقراطيّة وقد سمّيته في بعض أعمالي بالدكتاتوريّة الخفيّة.

حق الاختلاف دون المساس بالمصلحة الجماعية الوطنية يبقى الضامن الحقيقي لبناء ديمقراطية إيجابية وغير إقصائية.

الحائز على جائزة «فايزر» البريطانية البروفيسور علي البقلوطي لـ«الشارع الثقافي»:

العلم لغة مشتركة والنجاح بداية طريق

هدفي الأساسي تقديم إسهامات ملموسة في مجال الرياضيات لا مراكمة الجوائز

حاورته : سلوى بن رحومة

هو بروفيسور في علم الرياضيات اصيل ولاية صفاقس وخريج المدارس العمومية التونسية باحث ومؤلف في هذا المجال نشر بحوثه العديدة في مجلات محكمة عالمية .لبى دعوة عديد العواصم العربية والاوروبية والاسيوية بين جامعات وملتقيات كالسعودية اليابان الكويت وفرنسا الى جانب مشاركاته داخل الجمهورية التونسية. البروفيسور علي البقلوطي بمسيرة طويلة من العمل والاجتهاد مثل وطنه والعالم العربي وانتماءنا الافريقي خير تمثيل .التقينا به وكان لنا معه هذا الحوار .

أولا تهانينا الحارة على ما نلته من شرف جائزة فايزر من الاكاديمية البريطانية أوت 2024 ولقب افضل باحث في الرياضيات من قبل الاتحاد الافريقي للرياضيات من 2022 الى 2026 ووسام الاستحقاق في يوم العلم من السيد رئيس الجمهورية بعنوان سنة 2024. هل انت راض عن هذه التتويجات التي تتالت بعد سنوات من العمل والبذل ؟

بالطبع، هذه التتويجات هي مصدر فخر واعتزاز لي. إن نيل جائزة فايزر من الأكاديمية البريطانية، ولقب أفضل باحث في الرياضيات من قبل الاتحاد الإفريقي للرياضيات، وكذلك وسام الاستحقاق من رئيس الجمهورية، يعكس سنوات من الجهد والتفاني في خدمة العلم. هذه الجوائز ليست فقط تقديرًا شخصيًا، بل هي أيضًا شهادة على أهمية العمل الجماعي والتعاون العلمي الذي أسهم في تحقيق هذه الإنجازات. وأنا على يقين بأن هذه الجوائز ستحفزني لمواصلة العمل بنفس الشغف والإصرار لتحقيق المزيد من النجاحات في المستقبل.

البروفيسور علي البقلوطي لا يضع وقته في خدمة التعليم الجامعي وبحوثه فقط وانما يساهم في النشاطات الجمعياتية في نفس اختصاصه. هل تحاول المساهمة في انشاء جيل من الباحثين او محبي علم الرياضيات؟

نعم، أؤمن بشدة بأن من واجبنا كمجتمع أكاديمي أن نساهم في بناء الجيل القادم من الباحثين ومحبي علم الرياضيات. العمل في التدريس والبحث العلمي هو جزء أساسي من دوري، ولكنني أرى أن المساهمة في الأنشطة الجمعياتية والتواصل مع المجتمع العلمي الأوسع لا تقل أهمية. من خلال هذه الأنشطة، أسعى إلى إلهام الطلاب والشباب وإبراز أهمية الرياضيات في حياتهم اليومية وتشجيعهم على اتباع مسارات مهنية في هذا المجال. إن تمكين الجيل الجديد من الباحثين هو استثمار في المستقبل، وأتطلع دائمًا إلى توفير الدعم والإرشاد اللازمين لتحقيق ذلك.

منذ 1994 حتى سنة 2024 وأنت تنشر أبحاثك في مجلات مختصة ومرموقة حول العالم دون انقطاع تقريبا مع تكثيف للنشر بأكثر من بحث في بعض السنوات هل كنت تراكم لهذا الاستحقاق من الجوائز ؟

منذ 1994 وحتى عام 2024، كان هدفي الأساسي هو تقديم إسهامات ملموسة في مجال الرياضيات من خلال نشر أبحاث علمية ذات جودة عالية في مجلات مختصة ومرموقة عالميًا. لم يكن هدفي الأساسي هو التراكم من أجل الجوائز، بل كان التركيز دائمًا على تطوير المعرفة العلمية ومشاركة النتائج مع المجتمع الأكاديمي. الجوائز والتكريمات التي تلقيتها هي نتيجة طبيعية لهذا الالتزام المستمر والشغف بالبحث، لكنها لم تكن الدافع الأساسي. إنما تأتي هذه الجوائز كاعتراف بالجهود المبذولة وتأكيد على أهمية العمل الجاد والمثابرة في تحقيق الأهداف العلمية.

دعيت لأكثر من بلد وفي أكثر من قارة كأستاذ زائر او كمحاضر وفي هذا احتكاك بمن هم في نفس اختصاصك ورتبتك العلمية وبتلاميذ في نفس عمر واختصاص تلاميذك. هل هناك فوارق يفرضها المنشأ مثلا؟

عندما أتيحت لي الفرصة للعمل كأستاذ زائر أو محاضر في مختلف البلدان والقارات، كانت التجربة غنية ومثمرة. على الرغم من وجود بعض الفوارق التي قد تفرضها الخلفية الثقافية أو النظام التعليمي في كل بلد، إلا أنني وجدت أن الشغف بالعلم والبحث هو القاسم المشترك بين الجميع. بالطبع، يمكن أن يؤثر المنشأ على بعض الجوانب مثل طريقة التفكير أو أساليب التعلم، ولكن في النهاية، العلم هو لغة مشتركة تتجاوز الحدود. ما يهم حقًا هو الفضول العلمي والرغبة في التعلم، وهذا ما وجدته مشتركًا بين زملائي وتلاميذي في كل مكان. الفوارق موجودة ولكنها ليست عائقًا بل تزيد من غنى التجربة التعليمية والبحثية

الأكيد ان جهدك وإيمانك بنفسك دفعاك لبذل كل المجهودات لترتقي الى ما وصلت إليه. هل هناك أسباب أخرى دفعتك للتميز في هذه المادة بالذات والتي تعتبر من الذكاءات المحدودة الى حد ما في بلادنا خاصة وأنك من جيل لم تسهل له الحياة بالاطلاع الواسع عبر النات او بالتدرب في نوادي الذكاءات المتعددة الان؟

إلى جانب الجهد والإيمان بالنفس، هناك عوامل أخرى دفعتني للتميز في الرياضيات وهو الشغف العميق الذي حملته للرياضيات منذ الصغر بالإضافة إلى ذلك، كان لدي دافع قوي لتجاوز التحديات التي واجهتها كوني من جيل لم تكن الحياة فيه توفر نفس الإمكانات الموجودة اليوم، مثل الوصول الواسع للمعلومات عبر الإنترنت أو التدريب في نوادي الذكاءات المتعددة. هذه التحديات دفعتني إلى الاعتماد على قدراتي الشخصية، والبحث عن المعرفة بطرق تقليدية لكن فعالة، مثل القراءة المستمرة والتفاعل مع أساتذة متميزين.

هل لمن حصل على كل هذه السيرة الذاتية الموفقة والمتميزة أن يطمح للمزيد؟

بالطبع، حتى بعد تحقيق سيرة ذاتية متميزة ومليئة بالإنجازات، يبقى الطموح للمزيد أمرًا طبيعيًا وضروريًا. النجاح الذي تحقق ليس نهاية الطريق، بل هو بداية جديدة لمرحلة أخرى من التحديات والفرص الطموح للمزيد ينبع من الرغبة في الاستمرار في التعلم والنمو، والاستفادة من الخبرات السابقة لتحقيق إنجازات أكبر. هناك دائمًا مجالات جديدة لاستكشافها، وأفكار مبتكرة يمكن تطويرها، ومساهمات إضافية يمكن تقديمها للمجتمع العلمي والمجتمع ككل

كل إنجاز أحققه يعزز إيماني بأن هناك المزيد لتحقيقه، سواء كان ذلك من خلال أبحاث جديدة، أو مبادرات تعليمية، أو حتى بتوجيه ودعم الجيل القادم من الباحثين. الطموح لا يتوقف، بل يتجدد مع كل خطوة للأمام.

فلسفة

لماذا نقرأ آلان باديو

«يجب ألا نمارس الفلسفة إلا بشكل قصائد»
بيير ماشري إلى ٥، م

بقلم : محمود هدايت

ثمّة أسئلةٍ لا تكتفي بالإجابة، بل هي منشغلةٌ بتوفير سقفٍ قلقٍ نقفُ تحته لنُديمَ وابلَ المخاوفِ من مواجهةِ السؤالِ نفسِه، ويأتي سؤالُنا عن سببِ قراءتِنا لباديو في مقدمةِ هذا النوعِ من الأسئلةِ، لكنّي وبقليلٍ من التواطؤِ أقولُ : إننا نقرأُ لآلان باديو ؛ لأننا بحاجةٍ لفهمِ العالمِ برؤيةٍ فاحصةٍ وراصدةٍ لمحنةِ الوجودِ الإنساني، رؤيةٌ تخلطُ النظريةَ بالشعريِ في استبصارٍ فلسفيٍّ لا يُخفي معارضتَه للمبتذلِ السياسيّ والفكريّ، ولا يهادنُ في طرحِ رؤياه حتى في قراءته لأثرِ الفلاسفة الكبار مثل: دُلوز الذي أولاه باديو اهتمامًا خاصًا، وعناية فلسفية بالغة فتح بها مغاليق النص الدُلوزي بقراءة خبيرة ومعمقة، تندرج تحت مفهوم « الوفاء في عدم الوفاء» المحبةُ الإشكالية التي اتخذها «جاك دريدا » مسلكاً في احتفائه بالأصدقاء.

إنَّ حركة باديو تجاه دُلوز أشبه بتجوال بين أخاديد حادَّة، ما جعل من كتابته تتخذ طابعًا سجاليًا مرَّة، واستكمالاً لما بُتر من النص على يد دلوز نفسه مراتٍ أُخرَ، فنجده يتفلسف بدافع توضيح الأثر ومحوه في آن واحد؛ لأنَّه يرى في دلوز أخطبوطَ مفاهيم ليس من اليسير الدخول معه في فلسفة من دون تَواطؤ، لهذا تجد المناورة والمراوغة حاضرتين في ما يذهب إليه باديو، ولاسيما أنّه لا يخفي معارضته لمنتوجات المعمل الدُلوزي، ومردُّ ذلك إلى أنَّه يرى أنَّ دُلوز قد بالغ في تذويت النظرية، الأمر الذي جعله ذا نظرية غائمة، إذ يتحرك في الافتراضي والمحجوب، والمقصي والمخصي في آن، فليس الحدث الدلوزي لحظ عين النفس، بل مسار رياضة التفكير؛ وليس هو ذرة ذهنية، بل كثرة مفتوحة، وليس حركة خطيّة(نور مسلَّط على الشيء) بل بناء مركَّب»(1) بمعنى أنَّه يتفلسف بلا مستندات قارَّة، وتوليده للمفاهيم أقرب إلى الشعرية المفكرة منها إلى الفلسفة المفخمة، كأنَّها ممارسة بوب آرت.

ينحو باديو في فلسفته منحى الانفتاح على المستحيل بوصفه الإمكان الوجودي الذي يتوجب على الإنسان الدخول في حوار مفتوح معه، والعيش حذوه بما يمكّن الذات من تحقيق حضورها الإنساني، ويتحقق الحضور من وجهة نظر باديو في النظر للفلسفة بعين الاحتياج الوجودي الماثل في الفن والسياسة والرياضيات، لأنَّه يبحث عن فلسفة متدرعة بمباهج الحياة، أي أنَّه يذهب صوب تحرير القول الفلسفي من سلطة اللوغوس بالمجار في تنشيطه للفنون داخل معمله الفكري، في الواقع، إنَّ هذه الاشتغالات هي ملامح فلسفة ما بعد الحداثة، غير أنَّ ذلك لم يمنعه من اخفاء تقديره للفلسفات السالفة.

في هذا الأفق استطاع آلان باديو أن يأتي بفلسفة حيّة، تتحرّك بمرح وأريحية فارقة، جعلت من تناوله لضروب الإبداع كالسينما، والشعر، والمسرح، رهانه الفلسفي الذي ينطلق منه باتجاه « الفلسفة الحية» أي اجترح تفلسفًا مضادًا قادرًا على استفزاز العقل بالحواس، وتجلّى ذلك في جمعه الرياضيات والشعر في رؤية واحدة، وفي ضوء هذا فهو يرى أنَّ لا حياة للفلسفة إلا في مغادرتها لتراتبية اللوغوس، والدخول في شراكة فلسفية مع الحواس، فمن هذه الرؤى جاء إصراره على فلسفة غير أكاديمية، لأن هذه الأخيرة غير معنية بتطوير الفلسفة، إذ هي تعمل على إفتار التفلسف في تقديسها الأعمى للأسلاف، والعمل جاهدة على عدم توفر إمكانية مجاوزتهم، وبعبارة أخرى: هي فلسفة تضامنية، مهمتها الوحيدة التعليق الاحتفائي على ما وصل من نصوص، وببساطة هي فلسفة مراوحة، في حين ينصب مشروع باديو على الجري الدائم بين الآداب والفنون لأجل التوصّل الى مستند فكري وجمالي، لا يتوانى في أن يحفّز الفلسفة على توسيع مساحة صداقتها مع العالم، الأمر الذي جعله على تواصل حميم مع فنانين وشعراء، توطدت صلته بهم إعجاباً فلسفياً دافعه الرئيس هو التعرف على الكون عن قرب. زيادة على ذلك لم يفصل باديو بين التراث والمعاصرة، بل على العكس من ذلك، اذ وفر ما راكمه من سياحته الفلسفية في متون الأسلاف لفهم ما يعاني إنسان الراهن، وهذا دليل كاف على حيوية فلسفته، وملامستها للمأزق

آلان باديو

الكوني، وأقربها لذلك ما كتبه عن كوفيد 19.

وعلى الرغم من جذورها الماركسية، أخذت فلسفة باديو على عاتقها مسؤولية التفتيش عن النصوص الإبداعية الفارقة، الضالعة في التجريب والخروج على السائد الثقافي، تلك النصوص المعارضة للتوجهات الحزبية التي أدت بالنهاية إلى وضع نظريات ماركس ولينين في متحف التاريخ، وصار يُنظر إليها بعين التراث لا ببصيرة الراهن. ما دعا باديو إلى تبني ماركسية أكثر انفتاحاً على العالم، تقوم نظريتها على تحرير الإنسان والخروج به من القفص البروليتاري إلى فضاء الإنسان الكوزموبوليتاني المتعدد، وبان ذلك في ذهابه نحو المحسوس من (فن وأدب) في تماسه و القضايا المصيرية، وتناوله الطارئ السياسي والوبائي بالشعري ؛ ذلك لأنَّ المأزق بالنسبة إليه أنطولوجي الأصل، وهذا يضعنا أمام مسلّمة سعى باديو إلى ترسيخ دعائمها في رؤيته للفلسفة، اذ يرى أنَّ الفلسفة هي ما ينبغي أن نلتقي بها لا أن ندرسها مثل التخصصات الأخرى، الأمر الذي يعني أنَ باديو يتعامل مع الفلسفة كحياة فكر ؛ لأنَّه يرى أن « الفلسفة الأكاديمية لا تصلح أبداً لأي شيء»(2) وهذا يعني أنه يصطف إلى جانب غريزة المحسوس العقلي، وليس العقل الصرف كما جاء في مؤلفات الأسلاف، لكنه مع ذلك لم يتنكر لأساتذته، وأجلى مثال على ذلك ما سطرَّه في كتاب(مقبرة عظماء صغيرة جوالة) الذي يمكن عدّه سيرة فكرية لباديو، يُعرّف فيه بمناهله الفكرية في احتفاء قل نظيره في عالم الإبداع الفلسفي. فضلا عن أنه لا يتردد في إبداء تحفظه حول الكثير من أفكار هؤلاء الأساتذة ومناهجهم، فالحديث عن أقطاب الفلسفة الحديثة بالنسبة لباديو تعميقٌ لأهمية الفلسفة نفسها في حياة الإنسان، وتمكين الفرادة من أن تأخذ دورها في ترميم الذات، فزمن بلا فلاسفة أشبه بجسد بلا قلب ينبض. لكن أيّ فلسفة هذه التي نطالب بحضورها، مما لاشك فيه، هي ذلك النوع من الفلسفة المعني والمنشغل بالأعماق المحسوسة.

لا تنقطع الفلسفة عن مناورة الواقع واستدراجه إلى طاولة المكاشفة؛ لرصد تمزقاته العابثة بالبيانات الوجودية للحياة ؛ لهذا كثيرا ما تبالغ الفلسفة في التماس مع الشعر الذي يمكن تسميته بالواعز الأنطولوجي

جيل دُلوز

المُنشط والمُحفّز لكل مشروع فلسفي يسعى إلى اكتناه العالم بالمحسوسات، وعلى الرغم من أن العولمة آخذة في التمدد إلى حدّ غير معلوم، لا يتوانى باديو عن التعامل معها بأدوات روحانية ككتابته عن الشعراء والفنانين ممن يحملون قيماً عليا كرامبو، وما لارميه، وأوسيب مندلشتام. ربما يسعى باديو ههنا إلى إعادة صياغة سؤال هيدغر» لماذا الشعر في زمن العولمة؟» وما الذي سيؤسّسه الشعراء في زمن أصبحت الفوضى مادته الثقافية الأولى، فهل يستطيع الشعر إصلاح ما خُرِّب، أو على الأقل مواجهة هيمنة الشاشة على العقول والأجساد؟ ثم ما الصيانة التي سيقدمها الشعر لعالم متهالك، وإنسان غارق طوال الوقت في بحر التكنلوجيا اللانهائي «الإنترنت»، هكذا يطالع باديو كتاب الراهن الإنساني، إذ الفلسفة هي مراجعة روحانية للوجود، ويدعم ذلك قوله» أن الفلسفة في اليونان ولدت تحت شرط الرياضيات ولكن في لغة الشعر»(2) معنى ذلك أن الوجود الحقّ بحاجة إلى تواصل غير مشروط بين العقل والمحسوس، كأنَّما يريد أن يقول أن في تحقق هذا اللقاء الثنائي وحده يمكننا أن نتحدث عن فلسفة معاصرة.

1.آلان باديو، دلوز وصخب الكينونة.

2.آلان باديو ـ على لسان آلن باديو.

أمراض المثقفين

حسونة المصباحي

في نهايات القرن الماضي، أصدر البريطاني بول جونسون كتابا حمل عنوان:"أمراض المشاهير"من الأدباء والمفكرين والشعراء.جميع هؤلاء لعبوا أدوارا هامة وكبيرة في تطوّر الثقافة الإنسانيّة. ومن خلال كتاباتهم، ومواقفهم، كانوا من المدافعين المتحمسين عن التقدم، وعن الحريّة، وعن العدالة، وعن القيم النبيلة، وعن الأخوّة بين الشعوب، وبين الأمم. مع ذلك لم تخلُ حياتهم من الفضائح، ومن المساوئ، ومن النرجسية، ومن الحماقات!

أوّل من أصابته السهام هو الفيلسوف والكاتب جان جاك روسّو.فقد اتهمه بول جونسون بالأنانيّة المفرطة وبالإحساس بالتفوّق على الآخرين، معتمدا في اتهامه على جملة لروسو يقول فيها:"كيف يمكن أن يكون بؤسك وبؤسي سواء بسواء. إنّ بؤسي لا مثيل له، ولم يسمع أحد بمثله منذ بدء الخليقة". ويعتقد بول جونسون أن روسو كان "يحمل ضغائن كثيرة، وكان مخادعا في استمراره بحملها". وهو ما لاحظه كثيرون. من ذلك مثلا أن صديقا سابقا له كتب يقول منددا بسلوكه السيء تجاه أقرب الناس اليه: "كيف نصدّق أن صديق البشريّة (يعني روسو) لم يعد صديقا لأحد، أو أنه نادرا ما يكون كذلك؟". وقد ردّ عليه روسو قائلا:"أنا صديق البشريّة، والناس موجودون في كلّ مكان. وأنا لست في حاجة إلى أن أذهب بعيدا". ويقدم لنا بول جونسون جان جاك روسو وكأنه شخص لا يمكن ان يُصادق، ولا يمكن أن يتمتع بثقة أحد. فهو مريض بجنون العظمة. وهو يريد أن تكون حياته من بدايتها إلى نهايتها "دَعَة وتطفّلا". كما أنه كان "كثير الشجار، وبعنف شديد كان يتعامل مع كلّ الذين كانوا على صلة به تقريبا، خاصّة الأصدقاء منهم". ولم يكن من الممكن استعراض الخصومات المتكرّرة والمؤلمة التي كان يفتعلها لأنه كان "مريضا عقليّا".

ويسخر بول جونسون من كارل ماركس قائلا إنه كان "جاهلا طوال حياته بعالم المال والصناعة"، وبإنّ جميع معارفه في هذا المجال، والتي قدمها للناس كما لو أنها من ابتكاره الخاص، استقاها في الحقيقة من خاله الذي كان رجل أعمال يعيش في هولندا، ومن صديقه انجلز الذي كان عارفا بخفايا عالم المال والصناعة. وقد كتب بول جونسون يقول:"إنّ كتاب كارل ماركس"رأس المال"، ذلك النّصب التذكاري الذي تمحورت حوله حياته كباحث، لا يجب النظر اليه كبحث علميّ عن طبيعة العمليّة الإقتصاديّة التي حاول ان يصفها، وإنما كتدريب في الفلسفة الأخلاقيّة (...). إنه موعظة ضخمة، وغير متماسكة في معظمها، وهجوم على العمليّة الصناعيّة، ومبدأ الملكيّة من قبل رجل يكنّ لهما كراهيّة شديدة، مُتوهّمة، ولا مبرّر لها". ويواصل بول جونسون كلامه قائلا :"والذي يخرج به من قراءة"رأس المال" هو فشل كارل ماركس الذريع في فهم الرأسماليّة. فشل تحديدا لأنه لم يكن علميّا إذ أنه لم يستطع أن يتقصّى الحقائق بنفسه، أو أن يستخدم الحقائق التي تقصّاها الآخرون بموضوعيّة. ومن البداية إلى النهاية، كان عمله كلّه، وليس "رأس المال" فقط، يعكس إهمالا للحقيقة ولامبالاة تصل أحيانا إلى درجة الإحتقار. وهذا هو السبب الرئيسي في عجز الماركسيّة كنظام عن تحقيق النتائج التي تدعيها. ووصفها ب"العلميّة" يعتبر أمرا منافيا للعقل". ولم يكتف بول جونسون بانتقاد أفكار كارل ماركس الواردة في مجمل كتبه النظريّة، بل قدمه كشخص "متعجرف، وراشح بالإزدراء". وكان صوته الحادّ الرنّان"متناسقا تمام التناسق مع الأحكام العنيفة التي كان يصدرها، ويوزعها على البشر والأشياء من دون توقّف". وكان من عاداته ان يقول لكلّ من يعاديه، ويناهض أفكاره:"سوف أمحوك من الوجود!". وإمعانا في الحطّ من قيمته، كتب بول جونسون عن كارل ماركس يقول:"لم يكن له وقت محدّد للنوم، أو لليقظة. كان يسهر عادة طوال الليل،ثم يرقد بكامل ثيابه على الأريكة،ويظلّ نائما حتى المساء.ولم يكن يزعجه دخول أو خروج الدنيا كلّها عليه وهو نائم.لا توجد قطعة أثاث واحدة سليمة، أو نظيفة، كلّ شيء مكسور، ممزق، رثّ. طبقات من الغبار تغطي كلّ شيء، والفوضى تعمّ المكان. في وسط الصالون توجد طاولة كبيرة من طراز قديم عليها مفرش من البلاستيك، فوقه مخطوطات وكتب، وجرائد، وسكاكين، ولمبات،ومحبرة، وكؤوس، وغلايين تبغ ورماد.إنّ صاحب أيّ محلّ ليخجل من بيع تلكم الأشياء الغريبة".

ولم ينج النرويجي انريك إبسن، كاتب المسرحيات الشهيرة، والذي أمضى حياته في تطوير وصقل أدواته الفنيّة بهدف الوصول إلى "السموّ الفنيّ"كما هو حال شكسبير، وغوته، من التجريح والإنتقاد. ويقول جونسون إنه-أي ابسن-نشأ "ضئيل الجسم، قبيحا. وكانت هناك اشاعة تقول إنه طفل غير شرعيّ لرجل مجهول الهويّة. وعندما كبر، وأصبح مشهورا، ظلّ إبسن عاجزا عن أن يكون أنيقا. وكان يقضي ساعة كاملة كلّ صباح محاولا ارتداء ملابسه. غير أن جميع محاولاته للتأنق منيت بفشل ذريع". وكان يبدو لمعظم الناس "مثل العاملين على ظهور السفن". وكان له وجه أسلافه "الأحمر الغريب خاصة بعد ان يشرب". ويشير جونسون إلى أن إبسن لم يكن يشرب أثناء الكتابة، غير أنه كان يفعل ذلك في الجلسات والسهرات العامة إذ أن الشراب كان يخلّصه من حيائه ويطلق لسانه. لكنه كان أحيانا يبالغ في الشراب. عندئذ تصيبه نوبات غضب حادّة فيأخذ في التهجم على الآخرين، وشتمهم. وهذا ما فعله مع شابّ اسكندنافي في روما. وكان هذا الشاب رسّاما مريضا بالسلّ. وقد هاجمه إبسن وهو سكران قائلا:"أنت لا تستحقّ ان تسير على قدميك...أنت جدير بأن تزحف على أربع!". وعن علاقة إبسن بزوجته، كتب جونسون يقول:"كان إبسن دائما فظّا وغليظ القلب مع زوجته .إلاّ أن هذه الأخيرة كانت تعرف كيف تحمي نفسها من نوبات غضبه. يثور فتضحك في وجهه بكلّ بساطة، وهي واثقة من جبنه، ومن خوفه من العنف. وفي الواقع، كانت تلعب على أوتار مخاوفه، وتمشط الصحف بحثا عن الأخبار المرعبة، وعن الكوارث اليوميّة لكي تنقلها اليه.ولم يكونا زوجين يمكن رؤيتهما وهما في انسجام ووفاق".ولم يسلم تولستوي من التهجمات القاسية هو أيضا.فقد أشار بول جونسون إلى أن صاحب كتاب "الحرب والسلم" كان مدمنا على لعب القمار كما هو حال دستويفسكي. ومرات عديدة سافر إلى اوروبا من أجل هذا الغرض. وفي ضيْعات والده كان يطارد بنات الأقنان، ويأخذهنّ إلى سريره كلّ ليلة. لذا سيكتب في ما بعد قائلا:"أتذكر الليالي التي قضيتها هناك. أتذكر جمال وشباب "دنيا شاه". أتذكر جسدها القويّ المشوق". بل أن تولستوي كان يحبّ أن يضاجع النساء المتزوجات. وعن امرأة متزوجة تدعى اكسينا"،كتب في يومياته عام 1858 يقول:"اليوم في الغابة الكبيرة القديمة...أنا أحمق...وحش...جسدها البرونزيّ وعيناها.أحبّ كما لم أحبّ من قبل.لا أفكّر في أيّ شيء آخر".وفي ما بعد سوف يندم تولستوي على مغامراته الجنسيّة، وسيكتب قائلا:"الآن سأضع لنفسي القاعدة التالية: سوف أعتبر صحبة النساء شرّا اجتماعيّا لابدّ منه محاولا الإبتعاد عنه قدر الإمكان". ويشير بول جونسون إلى أن الشهور الأخيرة من حياة تولستوي كانت "مؤلمة" خاصة بالنسبة لعشاق أدبه. فالرجل الذي بدا من خلال أعماله مدافعا عن القيم الإنسانيّة النبيلة، انقلب على نفسه و"باتت حياته موسومة بالغيرة، وبالضغينة، وبالمراوغة والخداع، والمزاج السيء، والهستيريا الخسّة".

ويؤكّد بول جونسون أن همنغواي كان يميل إلى الكذب متعمّدا ذلك غالب الأحيان. وفي قصّة له بعنوان:"بيت الجندي" كتب يقول:"من الطبيعيّ أن أفضل الكتاب هم من الكذّابين، وجزء مهمّ من حرفتهم هو أن يكذبوا، وأن يختلقوا الأكاذيب...إنهم كثيرا ما يكذبون من دون وعي، ثم بعد ذلك يتذكرون كذبهم بندم شديد".ويقول جونسون إن حيلة همنغواي التي انتهت بانتحاره ببندقيّة صيد في الثاني من شهر جويلية 1961 كانت "درسا يجب على المثقفين أن يأخذوه بعين الإعتبار...وهذا الدرس هو أن الفن وحده ليس كافيا!".

وواصفا إياه ب"صاحب القلب الجليدي"، يقدم بول جونسون الشاعر والكاتب المسرحي برتولد برخت على الصورة التالية:"كان (أي برخت) يحبّ أن يثير بأعماله ضجّة، ويكشف عن فضائح. كان يريد أن تثير مسرحيّاته الهمس، وصيحات الإستنكار من جانب الجمهور، والتصفيق الحادّ من الجانب الآخر. لم يكن يهتمّ بالنقد المسرحيّ القائم على التحليل. كان يكره المثقفين التقليديين، خاصّة ذلك النوع الأكاديمي والرومانسي.اخترع برخت في الواقع مثقفا من نوع جديد كما فعل روسو، وبايرون في زمانيهما. ونموذج برخت الجديد رفيع الثقافة، والذي كان هو نفسه نموذجا له، كان فظّا،غليظ القلب، شكّاكا. وقد أراد أن يضع على المسرح الجوّ الخشن والعنيف الذي تتميّز به الساحة الرياضيّة. ومثل بايرون، كان يستمتع بصحبة الملاكمين المحترفين". ويرى جونسون أن فلسفة برخت التي تعتمد على مقولته الشهيرة:"لا تنس أن الفنّ خداع، وأن الحياة نفسها خدعة" تفضح "أنانيّة عنيدة". وهو يضيف قائلا:"كان برخت يتابع أهدافه الأنانيّة بقسوة منظّمة،وبدم بارد إلى درجة نادرة". ويستعرض بول جونسون علاقات برخت مع النساء مثبتا أنه كان يستغلّ مواهبهنّ لصالحه، بل أنه "جعلهنّ جميعا في خدمة أغراضه". وبالنسبة له،كانت النساء كلهنّ "دجاجات في مزرعة الديك هو الوحيد فيها".

وعن سارتر كتب بول جونسون يقول:"كان (أي سارتر)مفتونا بالعنف، فيه يلعب بقدميه، خلف سحابة مربكة من البلاغة اللغويّة.كان مثلا يقول:"عندما يواجه الشباب الشرطة فإن واجبنا ليس فقط أن نظهر أنّ الشرطة هي العنيفة، بل علينا أن ننضمّ إلى الشباب في عنفهم المضاد". وهو يقول أيضا:"إذا لم يشارك المثقف في العمل المباشر (أي العنف) نيابة عن السّود، فإنه يعتبر مسؤولا عن قتلهم تماما كما لو كان يضغط على زناد رجال الشرطة الذين يقتلونهم". ويتهجّم جونسون على فلسفة سارتر الوجوديّة معتبرا اياها "جنونا يستمتع به الناس".

والواضح من هذا الكتاب المثير للجدل أن بول جونسون أراد بطرق ذكيّة، وبأساليب بارعة أن "يحطم" الأساطير، وان ينزع كل الأقنعة التي يمكن أن تتيح للقراء"تقديس" رموز الثقافة والفكر الإنساني. وقد يكون أفلح في ذلك إلى حدّ ما، غير أنه لن ينتقص من قيمة ومن رمزية جميع الذين هاجمهم، وفضح عيوبهم،وأمراضهم. وسيظل هؤلاء يحتلون في الأدب وفي الفكر الإنساني تلك المكانة الرفيعة التي ما أظنّ أن أحدا يمتلك القدرة على سلبها منهم!

لمسة وفاء لمحمد الباردي في ذكرى وفاته

رضا بن صالح

في الحادي و الثلاثين من شهر أوت لسنة 2017 غيّب الموت ـــ وهو علينا حق ـــ الأكاديمي و المبدع محمد بن رجب الباردي هذا الرجل الذي ظهر فملأ الدنيا ـــ دنيا الرواية ـــ و شغل الناس.و لكن الموت سحب المسمى و ترك الاسم.ومن منّا لا يعرف محمد الباردي؟ قد نعرفه أستاذا جامعيا درّس في الجامعات التونسية من شمالها (كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية) إلى جنوبها (كلية الآداب بصفاقس) و درّس مدة قليلة خارج تونس(أسابيع في سلطنة عمان).كان محمد الباردي من بين الأساتذة الجامعيين الاستثنائيين.من درّسه الباردي يدرك أنّ الرجل كان يفتح أمام الطلبة آفاقا جديدة و يطرق دروبا بكرا لم يألفها الدارس و لم يعتدها الطالب,أذكر أنه كان يحيل على آباء السرديات(جينات ،غريماس، غولدمان، لوكاتش،باختين،كريستيفا راباتال،إيغيلتون...)دون أن يتقيّد بها أو يقدسها بل ربما كان يوردها ليغض الطرف عنها.كان الرجل مفتونا بالنصوص الإبداعية يختبرها بمتعة العارف و يخبر عنها خبر العارف المستمتع .كان منهجه توليفا بين المتعة و المعرفة والحداثة التي لازمته في درسه(قدم دروسا عن روايات إلياس خوري عندما كانت قلة من الباحثين و القراء تسمع بهذا الاسم و أقل منها من أتيح له أن يقرأ روايات الكاتب اللبناني. ولازمته الحداثة في وقوده وبحوثه ولنتذكر أنّه أنجز أطروحة دكتوراه في الأدب المقارن و نشرت تحت عنوان «الروية العربية و الحداثة» و صدر له كتاب نقدي تحت عنوان « التحولات السردية :الحداثة و ما بعدها «.

و عرفنا الباردي كاتبا سرديا لا يستقر على حال و لا يقر له قرار. لكأنه يبحث عن المعنى المفقود في هذا العالم ذاك المعنى الذي قامت عليه رواية الكرنفال ثم سيرته الروائية .بدأ الباردي مسيرته الإبداعية بكتابة الأقصوصة» و اصدر مجموعة» مدينة العم جابر» التي نشرت منجمة في مجلات تونسية كالفكر و قصص..ثم عدل عن الأقصوصة إلى الرواية باعتبارها الجنس المعبّر عن مجتمعات الحداثة و لقدرتها على تقييد ما يختلج في الذات و تدوين ما ترنو إليه.و في الرواية عدل من وجهة إلى جهات .فكان واقعيا كلاسيكيا ـــ دون أن تعني العبارة تهجينا أو تهوينا ـــ في رواياته الأولى ككل الكتّاب العرب.في هذه المرحلة كتب ثلاثية»مدينة الشموس الدافئة// الملاح و السفينة// «قمح افريقا» ثم عدل عن الواقعية إلى الرواية الجديدة أو التجريبية فكتب»على نار هادئة ،حوش خريف، الكرنفال».و في المرحلتين كان روائيا صاحب رسالة ملتزما بقضايا المجتمع متمثلا مفهوم غرامشي للمثقف العضوي فدافع عن حق الطبقات المهمشة في الثرورة الوطنية و أدان بطريقة سردية أنظمة الحكم. أمّا في المرحلة الثانية فقد تحوّل إلى نقد الحداثة القائمة على الرأسمالية التي أوجدت مجتمعات الاستهلاك والتفاهة واللامعنى .لذلك بدت روايات المرحلة الثانية مطاردة للمعنى المفقود في مجتمعات رأس المال.

و عرفنا الباردي ناشطا في منظمات المجتمع المدني من الثمانينات فقد نشّط نوادي السينما في البدايات ثم كانت إدارته لمهرجان قابس الذي جعل مدينة المدينة قطبا ثقافيا عربيا. فزارها الكبار مفكرين شأن محمود أمين العالم و محمد عابد الجابري وكبير سحرة تونس توفيق بكار رحمه الله و محمود طرشونة...و فتح الباردي دروب قابس أو مدينة الشموس الدافئة أمام الكتّاب..وصارت قابس قبلة حجّ إليها عشاق الرواية و الحداثة و فيها حضر جمال الغيطاني و حاضرو جاء نبيل سليمان محملا بشهاداته في الرواية و النقد ،وحلّ بها صنع الله ابراهيم مؤلف اللجنة و اداوارد الخراط قبل أن تلتحق بالجماعة نوال السعداوي تبحث عن حرية المرأة ،و لن يغيب عنهم الكبير السوري حنا مينة ذاك الذي فتن الجميع برواياته» الياطر/ الثلج يأتي من النافذة/ حكاية بحّار/ نهاية رجل شجاع...».و بعد المهرجان أنشأ الباردي جمعية « مركز الرواية العربية» التي كانت بوابة تونس أمام أقلام المبدعين العرب من المغرب و المشرق ومن المهجر و كانت جمعية ثقافية ملتزمة بمعايير النقد الأكاديمي إيمانا من الرجل بأنّ تطوير المجتمع يقتضي انفتاح الفكر الجامعي أمام المختصين و غير المختصين. و من الطريف الذي يؤكد مكان الباردي و قيمته أنّ المبدعين يُعرفون ببلدانهم و أوطانهم ماعدا الباردي الذي كان هوية مدينة قابس التي عرفت لدى الكتّاب العرب «بمدينة الباردي».

و تقديرا لجهود الرجل و مكانته التي لا تُجادل رأى النادي الثقافي أبو القاسم الشابي (نادي القصة) أن يصدر كتابا يشتغل بأعمال الباردي الروائية و القصصية و رأى كذلك أن يخص المرحوم بملف عن بعض أعماله سيصدر في العدد القادم من مجلة قصص .

رحم الله الباردي

عن النادي الثقافي أبو القاسم الشابي

قراءة في كتاب

تأمّلات في المضامين الفلسفية لكتاب الدكتور رفيق بوخريص «الحياة والديناميكا الحراريّة» أو «واقع الطاقة المتعدّدة الأشكال وأقنعتها»

تعريب الدكتور عبد المجيد الشرفي

عز الدين العامري

ما الجدوى من الانشغال بالأسئلة الكوسمولوجيّة؟ وما الغاية القصوى من الفلسفة والعلم؟ ولماذا ترتهن رحلة اكتشاف الحقيقة بقيم التواضع العلمي؟ وكيف تتجلى العلاقة الحميمة بين أشكال المعرفة والفلسفة؟ ولماذا يعتبر علم الأعصاب مواصلة جزئيّة لفلسفة الأمس، وواسطة عقلانيّة للوعي بحقيقة الوجود؟وهل يمكن اختزال أبرز عوائق التقدّم العلمي والفكر الحر؟

يطرح الدكتور رفيق بوخريص هذه الأسئلة العويصة التي تحتمل الكثير من الأجوبة والعديد من التأويلات في كتابه «الحياة والديناميكا الحراريّة أو واقع الطاقة المتعدّدة الأشكال وأقنعتها» الصادر باللغة الفرنسيّة –La vie et la thermodynamique ou la réalité et les masques protéiformes de l'énergie.– ضمن منشورات المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون «بيت الحكمة» سنة 2022،ثمّ نشر المجمع نسخته المعرّبة في السنة الموالية.

ويتنزّل الكتاب في نظر معرّبه الدكتور عبد المجيد الشرفي في سياق المؤلّفات التي تتخطى مضامينها المختصين لأنّ «المعتني بالقضايا المعرفيّة التي يواجهها في راهنه يتحتّم عليه الاهتمام بالنظرياتالمتعلّقة بالقوانين التي يسير عليها الكون وبنشأته ومصيره ومنزلة الإنسان فيه»1

فالتخصّص الذي أملته الثورات العلميّة المتتاليّة آليّة أساسيّة من آليات النجاعة المعرفيّة وفقا للكثير من المقاربات الإبستيمولوجيّة. لكن منطق الاختصاص لا يبرّر لأيّ مهتمّ بالشأن المعرفي الجهل بما يحدث في المجالات الأخرى، وفي المناهج العلميّة المتجدّدة باستمرار، لأنّ الإنتاج الفكري التائق إلى الحدّ الأدنى من الموضوعيّة ملزم بمواكبة هذه التحوّلات، وبالاطلاع على المستجدات المعرفيّةالكونيّة، من أجل توظيف الإرث الفكري الإنساني في مسيرة فهم ما يحدث ومراجعة ما يجب مراجعته. فحقيقة اليوم قد تكون مخالفة لحقيقة الماضي، وليست بالضرورة مطابقة لاكتشافات المستقبل.ومن الحكمة وضع جميع المعارف موضع تساؤل، لأنّ تاريخها كما يعرّفه الفيلسوف الفرنسي غاستون باشلاردGaston Bachelard المهتم بتكوين العقل العلمي وبالعقلانيّة التطبيقيّة هو «تاريخ تصحيح الأخطاء» عبر القطيعة الإبستيمولوجيّة الاتصاليّة، بمعنى التصحيح المتواصل الذي يمليه منطقالتطوّر التدريجي.

فكلّما تطوّرت العلوم الرياضيّة مثلا تأثّرت جميع المعارف المستخدمة لمسلّمات ومعادلات علم الرياضيات. وحينما يجدّد علم الفيزياء نفسه ترغم الحقول المعرفيّة المرتبطة بالمفاهيم الفيزيائيّة على إعادة النظر في حقائقها. وكذلك الشأن بالنسبة إلى العلوم الإنسانيّة، فعندما تتطوّر مقاربات علم النفس يؤثّر ذلك في الأطروحات السوسيولوجيّة والأنثروبولجيّة وحفريات المؤرخين، وحينما يكتشف أيّ علم من علوم الإنسان حقائق جديدة تجبر العلوم الأخرى المهتمّة بالنسيج الإنساني على تجديد نفسها. بالمعنى الوجيز لا يمكن لأيّ جنس معرفي أن يكون ضفّة معزولة عمّا يحدث حولها.

رفيق بوخريص

وفي هذا الإطار يؤكّد الدكتور رفيق بوخريص على الارتباط الوثيق بين جميع الانتاجات الفكريّة، من أجل الدربة على فهم معنى الحياة ومنزلة الإنسان في الكوسموس (cosmos). فالبحوث الفيزيائيّة في نظره تمثّل بوّابة لاقتحام ضفّة معنى الحياة، واكتشاف أسرار التجربة الوجوديّة. لنستشف ممّا تقدّم كيف تشكّل كلّ إجابة فيزيائية أو تساؤل فيزيائيّ قضيّة فلسفيّة تقتضي التأمّل الأنطولوجي والكوسمولوجي، بمعنى تتجدّد الأسئلة الوجوديّة حينما تتجدّد اكتشافات ونتائج البحوث العلميّة.ومن الطبيعي أن تملي هذه المستجدات المعرفية تحوّلات في طبيعة تأمّلاتنا الأنطولوجية، وفي تجاربنا الوجوديّة اليومية، وفي فهمنا لنسيج معيشنا، وفي طبيعة استيعابنا للكوسموس. وعليه نكون ملزمين على دوام بإعادة النظر في الكثير من الحقائق والمفاهيم. ولن يسلّم بخلاف ما تقدّم إلاّ الفكر الجامد، والمنطق المتحجّر بسبب نزعته الوثوقيّة (esprit dogmatique)، وأوهامه المكبّلة لإرادة البحث ولروح التساؤل. وهنا تحديدا تتجلى مسافة التباعد بين الوعي العلمي المفتوح، الذي يفكّر، ثمّ يفكّر في مدى وجاهة فكره باطراد، واضعا جميع قناعاته، وكافّة قيمه، وكلّ مفاهيمه محلّ تساؤل وفقا للحسّ الإشكاليّ، بما في ذلك ما يصنّفه البعض ضمن البديهيات، والوعي الأسطوري المغلق الذي يفكّر مرة واحدة وللأبد، بل هو لا يفكّر مسلّما نفسه بكلّ طاعة ووداعة لمن يفكّر له، لأنّ كسله الذهني والسيكولوجي يعادي عناء التفكير، ويخجل من اقتسام لحظة التأمّل مع سادته وأوصيائه، فلن يجرؤ على استعادة أحكامهم،وقيمهم، وشعاراتهم، ومفاهيمهم، وأطروحاتهم، ومقدّساتهم للحساب الخاص، ولو سعيا إلى مجرّد إبداء الرأي، أو طرح الأسئلة حول ما يحدث حوله، وإن كان في علاقة بوجوده الحميمي جدّا لأنّ صنّاع قراره ومصيره تكفّلوا بذلك، وهو في غاية التنعّم بهذا المعيش الوجودي الملغي لكيانه.

كذا هو الاغتراب (l'aliénation)، الذي يفكّك أسبابه وطبيعته ونتائجه الدكتور رفيق بوخريص في مؤلّفه عبر التمييز بين «الحياة البيولوجيّة» المماثلة للحياة الحيوانيّة «وسرّ الحياة»، موظّفا الكثير من المرجعيات الفلسفيّة المهتمّة بمنزلة فهم قضايا الوجود ومعنى الحياة وأسرار الكون. فالغاية القصوى بالنسبة إليه طرح الأسئلة والتوق إلى الفهم، إذ يقول في هذا الصدد: «والغاية الكبرى للفلسفة وللعلم هي الفهم، والفهم خصوصا. وهدفهما البعيد هو محاولة اختراق الطبيعة والقوانين الفيزيائيّة لكون غير واع في الظاهر، والقوانين البيولوجيّة التي يخضع لها الحيّ. وتكمل تلك الغايات مقاربة في نظريّة المعرفة وامتدادها إلى إمكانيّة (أو عدم إمكانيّة) الوصول إلى معرفة ما يحيط بنا»2

1 - : تعريب الدكتور عبد المجيد الشرفيص9 من الكتاب

2 ص 15من الكتاب

فلن يدرك المرء جوهر منزلته الوجوديّة في نظره إلاّ عبر جهود الفهم، معتمدا في هذا المجال تأريخا معرفيّا مفاده سعي جل الفلاسفة والعلماء إلى إثارة الأسئلة اللامتناهيّة منذ الحضارات القديمة. بل إنّ الأساطير القديمة كانت مفعمة بهوس المعرفة المتمثّل في ضروب الأسئلة والدهشة والشك، وهذا ما يختزله لوكراس Lucrèce في قوله: «ذاك الرعب وتلك الظلمات التي للنفس، ينبغي تبديدها. لا الشمس ولا ضوء النهار قادران على اختراقها، بل يقدر على ذلك البصر وتفسير الطبيعة. ومبدؤها هو ذا، وسيكون لنا بمثابة التصدير. لا شيء يولد من لا شيء ... ما إن نرى أن لا شيء ينشأ من لا شيء حتى ندرك موضوع بحثنا إدراكا أفضل»3

فمن البديهي جدّا أن يؤكّد هذا القول نزوع الفلاسفة والعلماء منذ الحضارات القديمة نحو التفسير السببي للظواهر والقضايا المطروحة. أليست عبارة «لا شيء ينشأ من لا شيء» داحضة للتفسير الخرافي والفهم السطحي، والتأويلات الميتافيزيقيّة لظواهر قابلة للتفسير السببي! فهذه المقولة تعبّر عنها الأطروحات الفلسفيّة والمقاربات العلمية بمبدأ السببيّة أو العليّة، الذي بواسطته يمكن تفسير الظواهر إن كانت طبيعيّة، أو اجتماعيّة، أو سياسيّة. وفي هذا السياق يعرّف الفيلسوف الإغريقي أرسطو العلم على أنّه معرفة الأسباب، وكذلك الشأن بالنسبة إلى بعض الفلسفات الوسيطة مثل الرشديّة (نسبة إلى الفيلسوف ابن رشد) التي تعتبر مبدأ العليّة شرطا أساسيّا لفهم وتفسير الظواهر للقطع مع التفكير المتهافت، مستخدمة أساليب «الاستدلال العلي» و«الاستنتاج العلي» والحجاج العلي».

بالمعنى الوجيز إنّها النزعة التفسيرية المميّزة لخطاب الفلاسفة وتحليل العلماء، تلك التي يدعو إليها الدكتور رفيق بوخريص في كتاب غنيّ «بمادة غزيرة للتفكير والتأمّل والتدبّر»4 كما يقول المعرّب في خاتمة تقديمه. ويمثّل هذا الفضول المعرفي وفقا للكاتب قاسما مشتركا بين التأمّلات الفلسفيّة والبحوث العلميّة لأنّ «الغاية الكبرى للفلسفة وللعلم هي الفهم، والفهم خصوصا. وهدفهما البعيد هو محاولة اختراق الطبيعة والقوانين الفيزيائيّة لكون غير واع في الظاهر، والقوانين البيولوجيّة التي يخضع لها الكائن الحيّ. وتكمل تلك الغايات مقاربة في نظريّة المعرفة وامتدادها إلى إمكانية (أو عدم إمكانية) الوصول إلى معرفة حقيقة ما يحيط بنا»5 فالمطلوب من الوعي الإنساني «اختراق الطبيعة» بدل خشيتها، ومعرفة «القوانين البيولوجيّة» للتحكّم فيها، والإلمام بما «يحيط به» لتحقيق سيادته ألم يؤكّد ديكارت Descartes منذ القرن السابع عشر على أنّ «الإنسان سيّد للطبيعة ومالك لها» عبر العلم وسيادة الفكر العقلاني!لذلك جعل الفلاسفة والعلماء من «معضلة البشر» إشكاليّتهم المركزيّة في مشاريعهم المعرفيّة منذ الحضارات القديمة، بل إنّ عديد الأساطير القديمة كانت هوسا معرفيا، وفي هذا المجال يذكر رفيق بوخريص أسطورة بروميثيوس Prométhée التي تمثّل حسب مقاربته ثورة ضد الآلهة من أجل المطلب المعرفي. والذي يقتضي في نظره تسلّح الذات العارفة بقيم التواضع العلمي، فماهي أبرز مظاهر هذه الإيتيقا (éthique) المعرفيّة؟

يتضمّن الكتاب أجوبة عميقة ودقيقة تبرز الرهانات المعرفية للتواضع، إذ يقول الكاتب في هذا الصدد: «يجب أن نتحلى في محاولاتنا للفهم بكثير من التواضع حتى نتخلّص من حمل المركزية الإنسانية البالغ الثقل، وألاّ نعتبر البشر موضوع الكون المركزيّ. فقد حقّق الذكاء البيولوجي لدى الحيّ إنجازات فذّة عديدة لسنا قادرين بعد على فهمها. ويوصينا كثير من الباحثين بأن لا نكون مغرورين «6 فالتواضع وفقا لأطروحته ليس مطلبا أخلاقيا، بقدر ما هو قيمة معرفيّة قصوى، تحتّمها رحلة اكتشاف العالم، وتمليها مسيرة اقتحام حقيقة الذات. وممّا يؤكّد إيمانه القطعي بالتواضع العلمي عدم استخدامه في هذا السياق عبارة تفسير العالم، إذ استخدم مصطلح «محاولات الفهم» لأنّه حفيد الفلاسفة والعلماء المؤمنين بالمنزلة المعرفية لدربة الفهم، والمشدّدين على أنّ «الأسئلة أهمّ من الأجوبة» حسب عبارة الفيلسوف والطبيب النفسي الألماني كارل ياسبرس.Karl Jaspers فمن الطبيعي أن تكون عبارة محاولة الفهم أكثر صوابا في رحاب المعرفة باعتبارها مسلّمةً بالنسبية، لذلك يميل لوغوس) (logos الفلاسفة إلى استعمالها بانتظام، على خلاف المدّعين امتلاك اليقين المتمسكين بهواجس تفسيرية موهمة بإدراك الحقيقة المطلقة. وأدّت هذه النزعة التفسيرية على نحو قطعي إلى ظهور تيارات آمنت «بمركزية الذات العارفة» وهو ما ترفضه عديد المدارس الفكريّة والدراسات التفكيكيّة والنقديّة، مزعزعة هذا التورّم المعرفي.

ويتنزّل كتاب بوخريص في هذا التوجّه التنسيبي (la relativité)، إذ تدعو مضامينه إلى ضرورة التعامل بحذر مع معارفنا كي نواصل مسيرة مطاردة الحقيقة تجنّبا لفخاخ الفكر اليقيني الذي تكرّسه تقاليد الحسم القطعي في القضايا المطروحة.

وكم هي كثيرة النتائج، والمسلّمات، والنظريات، والمناهج التي تتجدّد يوميا! وكم هي شاسعة المسافة بين العقول النائمة في كهوف المطلق، والعقول اليقظة بفضل قلق أسئلتها! وللتأكيد على سذاجة المهووسين بالمنطق القطعي انطلق الدكتور رفيق بوخريص من تحوّلات نوعية في الكثير من الأجناس العلمية، مبيّنا كيف تثق الإنسانية في نظريات ومسلّمات ثمّ يتخطّاها العلم اللاحق أو يعدّلها، وفي الحدّ الأدنى يثريها بمفاهيم أكثر نجاعة. فمركزية الأرض مثلا «تعيّن انتظار القرنين السادس عشر والسابع عشر لكي يزيل كوبرنيك Copernic (1473-1543) الأرض عن عرشها باعتبارها مركز الكون ويعطيها وضعها الحقيقي الهامشي جدا. وأكمل كيبلر Kepler (1571-1630)وغاليلي Galilée (1564-1642) تحقيق الثورة الكوبرنيكية بصفة نهائية»7 فإن كانت نتائج العلوم محلّ نقاش كيف تدّعي الحقول المعرفية الأخرى وجاهتها المطلقة؟ وإن كانت مسيرة البحوث المعرفية مفتوحة بانتظام، لماذا نصادر من أنفسنا حقّنا في ممارسة فضولنا المعرفي؟ ألم يدعنا آينشتاين Einstein إلى أن نظلّ فضوليين أمام أسرار العالم! وتجسّدت هذه الدعوة بوضوح في قوله « لا ينبغي أن تشيخ مهما كانت مدّة حياتك. لا تنفكّ على أن تسلك سلوك الأطفال الفضوليين أمام السرّ الكبير الذي ولدنا في رحمه»8 فالشغف الأساسي للذات البشرية كامن في سعيه الدائم إلى طرح الأسئلة وتجديد النظر في المعادلات والحقائق لأنّ «المعرفة محدودة، والخيال يحضن العالم»9 على حدّ عبارته. ومن الطبيعيّ جدا ألاّ تعني محدودية المعرفة القصور، بل تترجم نسبية كافّة الحقائق في ظلّ مواطن الإبهام وتعدّد الأبعاد لجلّ القضايا المطروحة. فكلّما حسمت معارفنا قضايانا، انبرت إشكالات جديدة، ومتى يفيض العقل العلمي بجديد اكتشافاته، تطفو أسئلة كانت مخفية. وفي هذا الإطار يقول الكاتب «كنّا منذ قرن نجهل تقريبا كلّ شيء عن الفضاء وعن الكون. ونعرف الآن ... أنّ كلّ شيء حركة، ومجرّتنا تتحرّك في الفضاء بسرعة 600 كلم في الثانية، وشمسنا في حركة داخل المجرّة بسرعة متوسّطة بأكثر قليلا من 200 كلم في الثانية. وتدور الأرض حول الشمس بسرعة متوسّطة ب30 كلم في الثانية وتدور حول نفسها بسرعة أقل بقليل من 500 متر في الثانية»10 مؤكّدا عبر هذه الاكتشافات التصحيح المستمر للقوانين العلميّة، فما كانت تفسّره العقول الكلاسيكية بتأويلات ميتافيزيقية، أخضعته مخابر العلم لإرادتها المتجدّدة عبر التراكم. وعلى الرغم من القطيعة التي أحدثها العلم الحديث مع العلوم الكلاسيكيّة، إلاّ أنّ المتأمّل في تاريخ البحث العلمي يدرك استحالة الإقرار ببلوغ الحقيقة القطعية. وفي هذا الصدد ينطلق المؤلّف من حقول علمية مختلفة تؤكّد قاعدة التجاوز، وتجاوز المتجاوز، ففي مجال الفيزياء مثلا يشير إلى أنّ «أوّل تغيير أدخله أينشتاين هو تغيير النسبيّة الخاصّة التي تتعلّق بحركة الأجرام ذات السرعة المتّجهة (التي تقترب من سرعة الضوء) التي لا تنطبق عليها قوانين الميكانيكا النيوتنيّة»11 وما أكّده أينشتاين، طوّره العلم اللاحق، ممّا يؤكّد قاعدة تجدّد الحقيقة، وإن كنّا في مجال ما يسمى بالعلوم التجريبية والصحيحة التي أضحت احتماليّة في الكثير من مضامينها.

وعليه يكون التواضع بالمعنى العلمي حتميّة أملاها مفهوم النسبيّة وثورةالاحتماليّة (la probabilité)، إذ أصبح الحقل المعرفي حقيقة في انتظار من ينفيها أو يطوّرها، وفي الحدّ الأدنى تكون معرفة أولية في انتظار ما تمليه اكتشافات علمائها وما تحتّمه مستجدات الحقول المعرفية الأخرى. لذلك يقول فيلسوف العقلانية العلمية كارل بوبرKarl Popper «لا وجود لكتاب يمكن الفراغ منه. وبينما نشقى في كتابته فإنّنا نتعلّم ما فيه الكفاية لكي نجده غير ناضج في الوقت ذاته الذي نستعدّ فيه لتركه»12 مزعزعا بذلك عرش اليقين،لأنّه خبر جيّدا الطبيعة المفتوحة للعقلانية العلمية، تلك التي تراهن على تاريخيّةالفعل المعرفي بوصفه متحوّلا وفقا لتحوّلات سياقاتها الموضوعية.

باختزال شديد، تؤكّد جلّ الدراسات الإبستيمولوجية على الارتباط الوثيق بين المنطق الفلسفي وجميع الانتاجات الفكريّة. فالمعرفيّ مجدّد لنفسه عبر الحس الإشكالي الفلسفي وهو ما يتمسّك به المؤلّف في كافّة فصول الكتاب، شعاراته في ذلك «الفلسفة هي الرغبة في معرفة الأشياء» و«الشغف المعرفي» وتعطّش البشر للفهم» وسؤال «لماذا نحن هنا ومن أين أتينا» و«بداية الفلسفة هي علم الطبيعة...هي العلم ذاته» إنّها شعارات فلسفية بامتياز،باعتبارها حائرة ومثيرة لقلق فلسفي، من رحمه يولد الفضول المعرفي.بالمعنى الوجيز لا يمكن في اعتقاده أن تواصل سفن المعرفة رحلاتها الاستكشافيّة إن لم تكن شراعها فلسفيّة. فعلم الأعصاب وفقا لمقاربته «مواصلة جزئيّة لفلسفة الأمس»وهو كما يقول: «الغصن العلمي الذي يسمح بتجميع رصد العلم وحدس الفلسفة، دون أن يكون حبيس الأشكال الآلية للعلم، والضياع اللاعقلاني أحيانا للفلسفة»13. وهو حسب مقاربته واسطة عقلانية وفعّالة لفهم العالم وظّفت أسئلة الفلاسفة وحيرة تساؤلاتها من أجل وضع الظواهر فوق طاولة التشريح العلمي.صفوة القول تعدّ مغامرة الفلاسفة المتمثّلة في طرح الأسئلة وفقا للكاتب حاضنة أساسية لتطور البحوث العلمية لأنّ الفكر المستبد والمتحجّر رافض بطبعه لهذه الطاولة التشريحية على امتداد الفترات التاريخية المتتالية. ومن أبرز تلك الأفكار المستبدّة المؤسّسات التي نصّبت نفسها ممثّلة للدين، موظّفة المقدّس لحسابها الخاص، ولحلفائها من السياسيين، ولمن تنسجم مصالحهم مع تلك السلط الدينية، وفي هذا المجال يذكّر الكاتب بعديد الانتهاكات التي استهدفت الفلاسفة والعلماء باسم الدين منذ العصور القديمة. ويقول في هذا المجال: «وقد صاحبت التقدّم العلمي على الدوام (منذ العصور القديمة) معارضة عنيفة من قبل رجال الدين ومن كل الأديان»14، مذكّرا بالكثير من الجرائم التي ارتكبتها فئات ناطقة باسم المقدّس على غرار «تعليق عالم الرياضيات الإيطالي جيور دانو برينو Giordano Bruno عاريا ورأسه إلى الأسفل ثمّ حرقه على المحرقة»15. وكذلك الشأن بالنسبة إلى عديد الفلاسفة والعلماء من سياقات تاريخية وثقافية مختلفة. وكان الهدف من هذه الجرائم والانتهاكاتالقضاء على حريّة التفكير الحرّ وجرأة البحوث العلمية، ودفع هذا التنكيل بالعلماء والمفكرين عبر السجون والتعذيب والخنق وقطع الرؤوس إلى تنكّر بعضهم لآرائهم وهروب البعض الآخر.

ومن الطبيعي جدّا أن تتحالف كل القوى المعادية للفكر الحر ضدّ تأمّلات الفلاسفة ومخابر العلوم. وفي المقابل يشكّل لوغوس (logos)الحكماء والعلماء تحالفا مضادّا لأنّ القاسم المشترك بين الخطاب الفلسفي والمنطق العلمي يتمثّل أساسا في قيم التفكير الحر، فكلّما طرحت الفلسفة أسئلة جديدة اتسعت آفاق البحث العلمي، وحينما تتطوّر المناهج العلميّة تنبثق تيارات فلسفيّة جديدة.

وعليه تكون علاقة الفلسفة بالعلم حميمة كما وصفها الأكاديمي رفيق بوخريص إلى حدّ صعوبة تشخيص مواطن التمييز بينهما، وتسلّم جلّ الدّراسات الإبستيمولوجيّة المعاصرة بهذا الارتباط العضوي لأنّ المنطق الفلسفي علميّ في جوهره، والمبحث العلمي فلسفيّ في عمقه بوصفه تساؤليّا بالضرورة.

---

3 ص 16 من الكتاب
4 ص 12 من الكتاب
5 ص15 من الكتاب
6 ص18 من الكتاب
7 ص 19 من الكتاب
8 ص 29من الكتاب
9 نفس الصفحة
10 نفس الصفحة
11 ص 31 من الكتاب
12 ص 317 من الكتاب
13 ص 17 من الكتاب
14 ص19 من الكتاب
15 نفس الصفحة

«6/29آخر الشهود» لربيع خروف :

مطارق على رأس اليقين والحقيقة

نبيل قدّيش

يطأ الكاتب الجزائري ربيع خروف في أولى أعماله الروائيّة «29/6 آخر الشهود» أرض المحرّمات، ويقتحم حقلاً ملغّما في الرواية الجزائريّة. أرض لم يتجرّأ على المشي فيها سوى قلائل أمثال «رشيد بوجدرة» و«مرزاق بقطاش»، ومرّ عليها مرور الكرام، في إشارات خاطفة، لم ترتقِ إلى عملٍ أدبيّ قائم بذاته،كلّ من «واسيني الأعرج» و«الطاهر وطّار» و«أحلام مستغانمي» و«سعيد خطيبي» مؤخّراً:

إنّها ثيمة الاغتيال السياسيّ في الرواية الجزائريّة.

1 - آخر الشهود أوّل الرواة

منذ العتبة الأولى للنصّ، العنوان، يضع ربيع خروف نصب عينيه تاريخاً محدّداً يذكره الجزائريّون عن بكرة أبيهم، كحدث مفصليّ، كنقطة ارتكازفي تاريخ جمعيّ لم تعد الجزائر بعده كما كانت أبداً. يشير بلا مواربة إلى حادثة اغتيال الرئيس السابق محمّد بوضياف ذات يوم إثنين من شهر جوان 1992 بدار الثقافة بمدينة عنّابة الساحليّة وهو يلقي خطاباً جماهيريّاً أمام أنصاره.

وإن بات مطلق الرصاص معروفاً لدى الجميع، وهو ضابط الأمن الرئاسيّ الخائن بومعرافي فإنّ الجهة المحرّضة لم تُعرف إلى اليوم رغم أنّ الشكوك حامت وما زالتحول حزب الجبهة الإسلاميّة للإنقاذ التي سبق وأن حرّضت على الرجل.

ومنذ السطور الأولى أيضاً يقرُّ الكاتب على لسان الرّاوي سليمان بن عبد الكريم، الصحافيّ الشابّ الذي يجتذبه الموضوع ويقرّر التحقيق في حادثة الاغتيال بخطورة ما هو مقدمٌ عليه، فيقول:

«ها أنا أضع قدماً أولى في منطقةٍ خطيرةٍ، أكتبُ هذه الوريقات، وأنا غير متأكّدٍ من الشكل الذي تتّخذه هذه التجربة الجديدة»

إنّه آخر الشهود على ما بات يُعرف بحادثة اغتيال بوضيافوأوّل الرواة في رواية ستتناسل شخصياتها، أمكنتها، أزمنتها، أحداثها وروّاتها أيضاً..

2 - « يا طيارة نلعبوك جيب بابا من المرّوك»

تعوّدنا على أن لكلّ رواية حكمتها وسرّها، تميمتها وتعويذتها التي تعلق في ذهن قرّائها مثل وشمٍ بالنار الباردة. وإن كنّا نذكر «البارحة ماتت أمّي» تلك الجملة الافتتاحيّة الصادمة لغريب

ألبير كامو، أو «إنّ جميع الأمور الشرّيرة تبدأُ من البراءة» من رواية عيد متنقّل لإرنستهامنغواي أو «أنا لستُ الحجر الذي يُلقَى في الماء وإنّما البذرة التي تُبذرُ في الحقل» من رواية «عرس الزين» للطيب صالح، فإنّ ما سيبقى بعد قراءة هذه العمل سيكون حتماً: «يا طيارة نلعبوك جيب بابا ملمرّوك». وهي لا تعدو أن تكون سوى افتتاحيّة أغنية شعبيّة مجهولة المصدر اعتاد الأطفال الجزائريون إطلاقها في وجه كلّ طائرة يتطلّعون إليها وهي تحلّقُ في سماء بلدهم.

ولمن لا يفهم اللهجة الجزائريّة فإنّ هذه الجملة الأيقونة ستعني الآتي:

«ايتها الطائرة الملعونة عودي بأبي من المغرب»

جملة لها دلالاتها العميقة في المخيال الجمعيّ الجزائري، وقد وظّفها الكاتب بحرفيّةٍ عالية على لسان «بلقاسم قيموز» أحد شخصيّات الرواية وهو المصوّر التلفزي الذي رصدت كاميرته وقائع حادثة الاغتيال. وبلقاسم غيموز هذا لم يبتدعها إنّما ردّدها كما فعل من قبله الملايين. وليس صدفة أن تكون الطائرة التي عادت بالمناضل في صفوف جبهة التحرير الجزائرية محمّد بوضياف من منفاه بالمغرب ليلقى حتفه في وطنه، هي الطائرة نفسها التي تعوّد أبناء المختطفين الجزائريّين في المغرب انتظارها في كلّ مرّة علّها تعود بأهلهم إلى أرض الوطن.

هكذا إذن يكون العود على البدء، من منفى إلى آخر يشبه، ومن عذابات وموتٍ مؤجّل خارج حدود الوطن إلى سجن الوطن الأمّ وموته المحتوم. إنّها المفارقة التي يضعنا أمامها الكاتب، وهي أنّ حضن الوطن الأمّ يمكن أن يكون أقسى من حضن الغربة والمنفى، لنطرح السؤال المحرّم والأهمّ:

أي حضن أقسى على المرء؟ حضن العدوّ؟ أم حضن الوطن؟

3 - بوضياف: حصان طروادة الرواية

نكتشف تباعاً ونحن نغوص في المتن الروائيّ أنّ بوضياف لم يكن هدف السارد ولا غايته. هناك ما هو أسمى من الأشخاص وإن كان بوضياف نفسه. إنّه الوطن الذي يجمعُ الكلّ وينصهر في بوتقته الأفراد، كلّ الأفراد. ولن يبطئ القارئ في اكتشاف أنّ الكاتب جعل من بوضياف وحادثة اغتياله مطيّةً، ذريعةً، حصان طروادة يلج من خلاله إلى الرحى الكبيرة، إلى الحضن الأكبر: الجزائر.

وإن كان بوضياف شخصيّة مهمّة وحادثة اغتياله منعطف خطير ومفصليّ في التاريخ الجزائريّ، فإنّ الجزائر كانت هي الغاية والمُنى كما يقولون، لم تغب ولو لحظة عن ذهن الكاتب وروحه. كان الساردُ مسكون بها، مهووس بتفاصيلها من خلال مدينة عنّابة، أماكنها، تاريخها، زواياها، ساحاتها، متاجرها وحاناتها، أسواقها وناسها، مثقفوها، مجرموها، صحافيوها ومومساتها. ولعلّ ما يشي بذلك التمشّى السرديّ الذي انتهجه الكاتب هو ذلك الاقتباس المفعم بالقتامة والسوداويّة الذي افتتح به الرواية على لسان مواطنه الكاتب الكبير رشيد بوجدرة:

«هذا الوليد آه الجزائر، هذا الوليد الذي لا يزال فيالمهد.... بل لا يزال جنينا، نطفة في أحشاء التاريخ، يكتمل نموّه، يولد ويرضع ويحبو ويسقط مرات ومرات... ثم ينهض على قدميه، يمشي على الجدران، يقف معتدلا يسقط وينهض ويُجرح من جبهته، ويسيل الدم من أنفه وتتورم شفتاه حتى تشتد عضلاته.... إذّاك يثب يجري وسيظلّ بالمنطق زمنا طويلا... من يدري أيّ العذابات يلحقه أثناء مرحلة المراهقة..»

4 - من المعطف وإليه...

إنّها لعبة الأقدار التي تحيك خيوطها المصادفة، وينسج أحداثها الحدسُ. معطف أسود طويل، يخمّنُ الراوي أنّه يعود لشخصٍ مديد القامة، يعثر عليه في محلّ للملابس القديمة، يشتريه دوناً عن غيره، يعلّقه في خزانته، وينسى أمره لأشهر. فجأة

قراءة في كتاب

يتذكّره، يقلّب في جيوبه فيعثر داخله على لقية ثمينة، كنزٌ لا يقدّرُ بثمنٍ. إنّه دفترٌ أزرق اللّون، مغلّف بكيس بلاستيكيّ محكم الإغلاق، كما يقول عنه الرّاوي ويتعجّب لنجاته من التلف. دُوّنت على صفحاته ملاحظات بقلم رصاص، أسماء، أرقام هواتف، أمكنة تتعلّق بحادثة الاغتيال، ويبدو أن صاحبه قد وثّق لآخر الشهود على حادثة اغتيال بوضياف.

هكذا تبدأ الحكاية، وعلى ذلك النحو يبدأُ السارد في تعقّب لغزه بنفسٍ بوليسيّ هتشكوكيّ فتنهمر الأسئلة تباعاً:

من يكون ذلك الصحافيّ الاستقصائيّ؟ ولماذا أخفى الدفتر كمن يخفي أداة جريمة؟ ومن كلّ هؤلاء الذين وردت أسماؤهم فيه؟ وهل ستفصح كلّ تلك المعلومات عن قاتل بوضياف الحقيقيّ؟؟؟

مثّل المعطف دواليب الآلة التي اشتغلت على مدار الرواية تحفر عن الحقيقة محاولة العثور على الإجابة للسؤال المركزي: من قتل بوضياف؟ غير أنّ دورانها كان عبثيّا ومن غير فائدة تُرجى، فنجد المعطف في النهاية كما هو حاله منذ البداية معلّقاً على مشذب الحيرة والانتظار ويقول السارد معترفاً:

«لا زلت محتفظاًبالمعطف في زاوية ما بالبيت، رحتُ أجتنّب ذكره أو تكرار قصّته أمام معارفي أو حتّى الاقتراب منه، يُخّيل لي أنّه شبح اختارني بدراية المجرّب لمكر الكلمات الغاوية، أمّا الموت فقد خبرناه طويلاً حتّى صار لا يُخيفنا بذاك القدر، بوضياف مات، أُغتيل العديد من المرّات، الخوف من الآتي في عمر هذا الوطن المُغتال بسنين الخوف»

لم يكن المعطف سوى جسرٍ مرّ عليه الكاتب إلى الضفّة الأخرى من الحيرة، ليسأل أخيراً:

مات الرئيس فأين هو هذا الوطن!

-4 لافتة المركز التي تخفيمدينة الهامش.

يقول الكاتب على لسان راويه:

«في مدينتي يُغتال الرؤساء، تغتال الرموز الوطنيّة..

هاكم ورقة بيضاء، اكتبوا فيها كلّ الذي شئتم عن مدينتي،

فاجرة، عاهرة، ساقطة، قذرة، بلا ذوق، محرّضة على الانتحار....»

ويبدو للوهلة الأولى أنّ مركز ثقل السرد يتعلّق بمدينة كبيرة ورئيس اغتيل في قلبها، صراع بين الكبار، لا مكان للصغار فيه أبداً. هكذا توهمنا الرواية لكنّ سرعان ما سنتكشف أنّ الأمر يتعلّق بصراعات هامشيّة، أبطالها أناس عاديّون، مهمشون في الأغلب، يشكلون ثنائيات تتصارعُ في القاع الذي تحكمه المادّة والجنس والخمر والهوس بالسلطة. ولعلّ أبرز تلك الثنائيّات كانلاعبوها كلثوم بن ناصر التي يضعها القدر مباشرة أمام القاتل بومعرافي في شقتها بالطابق الرابع في عمارة بعنّابة، السارد وصديق طفولته عزيز، بلقاسم غيموز كاميرامان التلفزيون الجزائري الذي وجد نفسه يصوّر القاتل بومعرافي وهي يطلق رصاصات الغدر على جسد بوضياف، نادية المومس فتاة الليل التي تشاء الأقدار أن تمنح جسدها للقاتل نفسه ليلة قبل العمليّة، عزيز مرّة أخرى وكريمة التي تجمعها به قصّة حبّ في مدينة لا تعترف بالحبّ، هادي السنوسي سائق القطار المتقاعد من شركة سكك الحديد والذي يعيش وحيدا مع سجائره الرخيصة بنكهة «الإفريز»، والوردي» المذيع البسيط في إذاعة محليّة المهووس بالجنس والذي يطارد بنات الهوى ويتعقّب لذاته من مكان إلى آخر، حتّى أنّه أستأجر غرفتين تطلاّن على ماخور إرضاءً لنزواته واختياراً دقيقا يساعده في مشروع كتابة رواية كلّ أبطالها بنات ليلٍ.

إنّها شخصيات مسحوقة، مطحونة، نكرة تعيش في الهامش تنطلق منه وتعود إليه.

«هل قلتُ لكم إنّ عنّابة مدينة منذورة للمافيا»هكذا يصرّح السارد أخيراً دون مواربة.

5 - بهلوانيّة السرد.

يتنقّل السارد برشاقة بين الأمكنة والأزمنة، ويستدعي الماضي والحاضر ويقفز إلى المستقبل بخفّة، ويجرّ الشخصيّات على حبل رفيع من التشويق والمخاتلة متى عنّ له ذلك. ومن عنابة وقسنطينة وسوق أهراس والبليدة وصولا إلى الحدود التونسيّة، يطير بنا الكاتب إلى باريس وتولون وموناكو، ونيس التي تشبه عنّابة إلى حدٍّ كبيرٍ في مزاجها وجنونها

ومن سليمان عبد الكريم إلى فرنسوان بيلار الصحافيّ الفرنسي بدوره الذي يحقّق في مقتل الأمير عليّ شكّال على يد الشابّ محمّد بن صدّوق في ملعب كولمبس بباريس في نهائيّ كأس فرنسا سنة 1957.

ومن نادية المومس المحليّة إلى فايزة المومس المحترفة والتي تعشق ممارسة الجنس مع الأجانب. والتي يقول عنها الكاتب:

«يا إلهي الشابّة جرّبت الجنس مع كلّ هذه الجنسيّات، فرجها تأشيرة لفضاء أرحب من فضاء شينغن، فرج متعدّد الجنسيات، كآبار بترولنا التي مرّت عليها كلّ الأجناس البشريّة»

إنّنا إزاء عمل جريء ومهمّ في السرد الجزائريّ، ورغم بعض الهينات في بنائه السرديّ، وأخطاء الرقن فيه والتي نغتفرها لكونه العمل الروائي البكر، يُحسب لكاتبه تناوله لهذه الثيمة الدقيقة والحسّاسة بأسلوب مشوّق اعتمد فيه على البوح، وبلغة بسيطة وانسيابيّة تجعل القارئ يلتهم النصّ دفعة واحدة.

وربيع خروف كاتب جزائريّ مقيم في المهجر، فرنسا تحديداً ولد بمدينة عنّابة الجزائريّة، اشتغل بالصحافة المكتوبة والمسموعة، اختصّ في الإعلام والتنشيط الثقافيّ والأدبيّ، وتمثّل رواية 06/29 آخر الشهود باكورة أعماله الروائيّة» صدرت في طبعة جزائريّة عن دار سكارليت للنشر والتوزيع.

صورة تتحدّث

يا حسرة على الفول المالطي والثوم الاحمر المشهورة به "ماطر" والقارص الساحلي والقفة الأصلية ,,,وكنستروات لقصب كانو يغلفوهم ويستعملوهم في "هزان فرش العروسة" (عادة توشك على الاندثار)

وعلى اليمين من فوق نشاهد قلال صغار يشريوهم يش يحط فيهم "القطران" ويعلقوهم بجنب او فوق الشبابك والبيبان بش يهربو الوزغة وما يخليوهاش تدخل للدار.

عن تونس زمان

قراءة في المجموعة القصصية «حكايات غرقى» للقاص منير صالح الجابري

صباح بن حسونة

حكايات غرقى هي مجموعة قصصيّة أتت في 103 صفحات و تحتوي على 12أقصوصة يتراوح طولها بين 9 و 3 صفحات..

هي أول كتابات منير الجابري في القصّة و ليست آخرها..

نشر بعدها مجموعتين لليافعين «معزوفة لأصابع الماء» 2020 و «حكايات» .. 2021

ومنير صالح الجابري قصّة في حدّ ذاته و حكاية ،وهو درس في العزيمة و الإصرار و يمتلك تجربة تثير الانتباه.. أصيل برقو من ولاية سليانة، عصامي التكوين، يحبّ القراءة، يعمل في مصبّ للفضلات أين وجد كتبا كثيرة أهملها أصحابها جمعها و صار يقضي الليالي في القراءة فنمّى موهبته و أنتج هذا الشغف إصداراته الثلاث.. نشير أيضا إلى أنّ له صفحة على وسائل التواصل الاجتماعي تحت عنوان «أقاصيص منير الجابري» و فيها أكثر من خمسين قصّة لم تنشر بعد في إصدار ورقي..

تبدو كتابات منير الجابري غارقة في واقعه ملتصقة به ،بالقرية و حكاياتها، بأحلامها التي وئدت قبل اكتمالها و بأحلامه التي حلّقت رغم بؤس الواقع و انكساراته..

تجربة مميزة سنكتشف في هذه المجموعة تجلياتها وأبعادها.

حكايات غرقى

الغلاف

الغلاف : منقسم إلى نصفين و إلى لونين النصف الأعلى أسود (ليل، ظلام، حداد..) و الأسفل أزرق (البحر و ما يرمز إليه من حرية و امتداد و خطر أيضا) تخرج منه أيادي تبدو و كأنها أيادي غرقى يطلبون النجدة و هذا يحيلنا مباشرة إلى العنوان : حكايات غرقى الذي كتب باللون الأصفر و تماهت معه واحدة من الأيادي المرفوعة أسفل الغلاف..

ثلاثة ألوان تتفاعل في هذا الغلاف و تحيلنا إلى واقع منير الجابري و حكاياته التي ولدت من الظلمة و غرقت في بحر الإنتظارات و إن بقيت مشعّة متوهّجة متعلّقة بالحياة و هذا حقّها و حقّ كلّ تلك الأيادي التي تطالب بالعيش و بالكرامة..

الحكايات

12 حكاية أو 12 قصّة تدور أحداث إحدى عشر قصّة منها في القرية و إن شذّت عن هذه القاعدة القصّة الأولى الموسومة ب»خيوط» ..هذه القصّة لا تنتمي إلى منير الجابري و لا إلى عالم أقاصيصه ،عكس البقيّة. أتت شخصياتها بأسماء غير عربية(بابلو / مارتين/) و تغرق في عالم الثراء و مكائد الأغنياء و رجال الأعمال...)

كل قصص الجابري تدور في فلك القرية :قرية تتوسّط الجبل أين « اضمحل العشب و اندثر المرعى أمام قساوة الطقس و انحباس الأمطار» قرية تعيش على انتظار المطر ليهبها الخصب و الحياة و حينما يأتي بعد طول جفاف ،يأتي معه المستثمرون الأجانب ينهبون خيراتها و يجوعون فلاحينها و يجبرونهم على بيع ممتلكاتهم و العمل كأجراء ..(قصة النائب الأعرج)..

منير صالح الجابري

قرية بهيّة تمتلك جمالا أخّاذا و حظا سيئا تتموقع خارج جغرافيا هذي البلاد هي و سكانها الذين يغرقون في الهموم و الحيرة و الفقر المدقع..

قرية يعيش أهاليها على الوهم و حلم الثراء السريع فيبحثون عن الكنوز و يلعبون الرهان الرياضي و يصابون بالاكتئاب المزمن لعجزهم عن إيجاد الحلول..(قصة الوهم / رماد تذروه الرياح..)

أما شخصيات حكايا منير الجابري الأخرى فتغرق، كفريتهم ،في الفقر و التهميش، لا تلبس البدلات الأنيقة و لا تدخّن السّيجار، لا تجلس في المقاهي الفاخرة و لا تسكن فللا و لا قصورا..

وهذه نبذة عن شخصيات حكايات غرقى:

- دليلة راعية الخرفان اليتيمة التي لم تذهب إلى المدرسة « لأن المسافة طويلة جدّا بينها و بين القرية « و التي تحبل من علاقة غير شرعية و تهرب من أهلها..

-كمال البطّال الحالم بالثراء و المدمن على الرهانات الرياضيّة وهو يعرف أنّه يلاحق السّراب و يقول « نحن نجد فيها ملاذا ينسينا ما نعيشه من ضجر و قسوة و انسداد للأفق»»

-وردة السمراء الجميلة الحالمة بمشاريع « تحوّل كثبان الرّمال القاحلة إلى أراض خصبة « و التي ترفض بيع أرضها إلى المستثمر الأجنبي فتجد نفسها في السجن بعد أن كاد لها..

- قرقاوي الشاب الفقير المشوّه الذي يعيش مع جدّته و «يحسّ البرد في أعماق قلبه «، كان يهوى الموسيقى و صنع لنفسه نايا و لكنه لم يفرح به إذ وقع زجه بالسجن و تخلوا عنه.. رغم سجنه بقي يحلم هو و صديقه ماسح الأحذية بتكوين فرقة موسيقيّة بعد الخروج من سجنهما..

- بختة التي تعيل زوجا معاقا و ابنة مريضة تذهب إلى الجبل كل صباح و تحمل معها رضيعها ..تضعه تحت الشجرة إلى أن تكمل عملها في اقتطاع الحلفاء و تقول :» هذا قدره لا بد أن يتعوّد على شظف العيش حتى يتعلّم كيف يقتلع خبزه اليومي بيديه»

- بشير الباحث عن عمل و عن حياة أفضل يقرئ الصّحف علّه يفوز بعمل في الخليج و لكنه يكتشف تحيّل هذه الإعلانات التي ترسل بهم إلى أتون الحرب مقابل رواتب شهرية..

- زيد العامل في حضيرة للبناء يصنع لنفسه مظلة من كيس الاسمنت الفارغ يقيه قسوة الشمس و يمضي مساءاته الفارغة تحت شجرة على حافة الوادي يقارع قارورة خمر تنسيه فقره و تلك الفتاة الشقراء الغنية التي درست معه و التي تأججه حقده الطبقي كلما رآها.

- حمّة الفنان الشعبي الذي يغني للحب و لا حق له فيه « كيف له ان يغني كي يسعد الآخرين بينما قلبه يقطر حزنا»

- الطاهر عامل المناجم الذي « ولد على مهد الشقاء» و الذي يقتل لأنّه قرر التمرّد على قوانين الموت و الاستغلال..

عندما اطّلعت على عنوان المجموعة و رأيت صورة غلافها، صرت أبحث عن الأقصوصة التي تتحدّث عن ال»حرقة» و الهجرة السرية و الغرق و لكنني لم أجد زوارقا و لا بحرا بل وجدت غرقى في بحر الحياة يطلبون النجدة و لا من مجيب..

فشخصيات منير الجابري ليست إلا صورة لواقع رديء تضجّ به قرى الشمال الغربي و كل قرى تونس المهمشة ..شظف عيش و تهميش و فقر و أوهام أحسن القاصّ تصويرها و كسا شخصيّات أقاصيصه حياتا حقيقيّة حتى يخيّل إلى القارئ أنه يعرفهم جيدا و يسكنون أحياءنا و قرانا و يجولون في شوارعها..

خاتمة

منير صالح الجابري قاص يحفر في عمق الوطن و يشدو بأوجاعه.. هو صوت المهمشين ممن غرقوا في الإحباط و يعيشون على حافة الانتظار، انتظار ما لا يأتي..

حكايات غرقى لمنير الجابري مجموعة جديرة بالاهتمام فعدا عن مواضيعها التي لم تطرق من قبل بهذه الطريقة و لا بهذا الكم من الشخصيات، نلاحظ قدرة على القص مميزة و سلاسة في السرد تشدّك إلى النص فلا تتركه حتى تنهيه و في حلقك غصة و في صدرك آلام كل الشخصيات التي قرأت عنها و عايشتها في هذه المجموعة..

«متوحّش هذا العالم !!!» لريم العيساوي

صرخة تبحث عن صداها..

سونيا عبد اللطيف

«متوحّش هذا العالم !!!»، لا ندري، كم شخص صرخ وأعلن عن هذا التّوحّش، هل هي صرخة وجع، أم * صرخة إنذار، أم صرخة يأس..؟ وما سبب هذا الصّراخ؟ كأنّي بهذه الصّرخة تصدر من عمق الأعماق، كأنّها انفجار، انفجار أحاسيس مكبوتة، انفجار من هول ما كبتَت النّفس من مظالم وما عاينت من جرائم، انفجار وجع تراكم وتكدّس لعقود طويلة... ألهذا الحدّ صار العالم متوحّشا؟ أم هو منذ البدء متوحش، إلاّ أنّ حبّ الإنسان للحياة وأمله في شروق غد أفضل، جعله يغضّ الطّرف عن أشياء عديدة، متناسيا السّلبيّات، سعيا لتحقيق شيء من الإيجابيات...

«متوحّش هذا العالم !!!»، هكذا أطلقت الأديبة ريم عيساوي صرختها المدويّة، كضربة مدفع، كقنبلة ذريّة، * في لفظة واحدة، وزفرة واحدة، لا نقاط، ولا فواصل بين المفردات، ولا حاجة لتكرار الصّراخ، الفعل قد أدّى معناه، وبلغ صداه، من المدى إلى المدى، دويّ الصّرخة خرق كلّ الأجواء وعبر كلّ الحدود، فلا جغرافيا تحدّه ولا حواجز توقفه هي صرخة عبرت القارات، تجاوزت المحيطات لتصل الشرق بالغرب، والشمال بالجنوب،...

«متوحّش هذا العالم!!!» *

ريم العيساوي

صرخة بثلاثة نقاط

صرخة واحدة تنهيها الكاتبة بثلاثة نقاط تعجّب وربّما استنكار واستغراب لما يحدث في عالم الإنسانية.. هذا هو عنوان الرّواية الذي اختارته الأستاذة ريم العيساوي بعد أن كانت اختارت عنوانا آخر لها في البداية وهو «عندما تستيقظ الذاكرة»، لكنّها تقول إنها عدلت عن ذلك العنوان بسبب اقتحام بعض الذّكريات وبعض الأحداث على عالم الرواية، وأكدت ذلك بتاريخ محدد هو عشرين ديسمبر 2020.. ص 10..

هكذا غيّرت الكاتبة فجأة فكرة عنوان روايتها منذ الشّروع في الكتابة، لأنّها تكتب بوعي، وباقتناع، ولغاية، جميعنا نعلم أن أصعب شيء في المنجزات الأدبية هو التّوفيق في اختيار العنوان المناسب للأثر..، فالعنوان هو العتبة الهامّة والمهمّة للمنجز الأدبي، ليكون جاذبا، مشوّقا، مغريا للقارئ كيْ يقبل على اقتناء الكتاب وقراءته، لذلك أغلب الكتاب يتركون عملية اختيار عنوان عملهم آخر مرحلة، وتأتي بعده صورة غلاف الكتاب، فهي العتبة الثانية التي يجب أن يوفّق في اختيارها المؤلف لتكون مرآة عاكسة وصدى لمحتوى الكتاب ومضمونه...

ومع ذلك أعتبر أن الكاتبة قد وفقت في اختيار العنوان واللوحة من خلال تلك الكائنات البهلوانية المتوحّشة كأنّها أشباح مخيفة لمخلوقات عجيبة، غريبة، برؤوس جماجم ومخالب حادّة ومعقّفة، وحيوانات ضارّة وخطيرة وسامّة بلون الدّماء السّائلة، أحمر يغمر المكان، سواد يغشي الفضاء، هو الليل وهو الظّلام، وهي الوحوش الضّارة التي تتحرك في الحلكة الدامسة.

بخيالها الشّاسع وقوّة ذاكرتها التي استرجعتها بعد فقدان دام شهرين، لا تكتب الكاتبة تخريفا ولا هراء ولا قصّة من قصص ألف ليلة وليلة.. وإن كانت تعرّضت في فصل من روايتها لسرد قصّة لفجر زاد وما فعله بها تجّار الإرهاب ونهايتها البائسة على يد أخيها، الذي يكتشف حقيقتها عندما رجع لليلة الثانية لينتقم منها ويسألها سبب تمنّعها عنه وصدّه بقوّة، وليقضي ليلة ماجنة معها...

الكاتبة لا تهذي، هي تستعرض ملحمة في العناء والعذاب من سيرتها الذّاتية، وقد اختارت بطلة * روايتها سوسن، لتسرد على لسانها قصّتها المليئة بالمرار والوجع، ولم تبتئس ولم تكتئبْ ولم تستسلم للمآسي، كانت تشحذ عزيمتها بالصّبر، تحصّن نفسها بالإيمان والقرآن وهذا نجده في كلّ فصول رواياتها وهذا يدلّ على تشبّثها بدينها، وعلى تكوينها الاجتماعي، من خلال إيمانها أن آيات الله علاج وشفاء، لذلك نجدها كل مرّة تلوذ من عالمها المتوحّش إلى عالم التّحصين بالقرآن،

فالكتابة عالمها المثاليّ، مستقبلها الوردي، بممارستها تتخلّص من كوابيسها، إذ تسكب أوجاعها فتسيل مآسيها فوق الورق، ودموعها تجفّ مع الحبر، فتتخلص من همومها وتمضي في الحياة، حاملة آمالها أحلامها ومحبرتها وأقلامها لتسجّل ذكريات لم تمح من ذاكرتها لها تاريخها وحفرت على جدار قلبها، وتحاول التّخلّص منها بتدوينها في ثوب حكاية، حكاية يتلقّاها القارئ بشغف فتتداخل في ذهنه الشّكوك حول ماهية ما يقرأ هل هو حقيقة أم خيالا.. ولعلم الجميع، لو قمنا لسرد الحقيقة بصدق وشفافيّة ستكون أبشع من الخيال مهما اجتهدنا في رسمه، وإذا وفّقنا في تصوير تفاصيل الحياة بدقّة، نكون قد أبدعنا ونجحنا في تحويل الحقيقة إلى خيال، وكتبنا عملا أدبيّا مميّزا وناجحا.

تفاصيل الرواية

لا أريد تكرار ما قيل في قراءات سابقة للرواية، لكنّي سأقف عند بعض التّفاصيل شدّتني في الرّواية، * وشدّت انتباهي، حسب اجتهادي، الكاتبة جعلت روايتها لولبيّة، نهايتها تنفتح على بدايتها والعكس بالعكس، حين كانت بصدد سرد الأحداث، لم تلتزم بقاعدة، ولا بترتيبها في الزّمن، فهي تدخل القارئ إلى عالمها وتخرجه منه كما تشاء، ومتى تشاء، جاعلة خيوط اللّعبة في معصمها، تستطرد الذّكريات، تعود إلى صندوقها الأسود لتطلع منه ما تريد من أحداث رهيبة، وحكايات عجيبة، كانت تعرّضت لها في ماضيها القريب والبعيد، رابطة الماضي بالحاضر بكل براعة، فهي تسرد ما تريد، وتتوقّف متى تريد، أحيانا لا تكمل الحكاية كأنها تريد تشويق القارئ وترغمه على متابعتها بجعله يواصل القراءة ليصل إلى نهاية سرد حكاية تناولتها، وربما تريد تشريكه في حدث الكتابة فيساهم في رسم نهاية القصة بأسلوبه وخياله وبما لديه من ثقافة ومعلومات، وبما يشهده ويعيشه في الواقع لأنّ ما ترويه هي من صميم الوجع والواقعي هي مشاهد تكرّر عبر التاريخ، في كل حقبة من الزّمن،.. في ذات الوقت وبهكذا سرد، هي تنقطع عن مواصلة الحديث عن حادثة ترويها تتعلّق ببطلة روايتها سوسن، بالعودة إلى عالمها الواقعي، من خلال تلك الرّسائل التي تصلها من صديقتها الإعلاميّة سلمى الموصلي عبر المسنجر، فتربط حالات التّوحش التي عايشتها بحالات التّوحش التي تحدث في سجن أبي غريب ببغداد أثناء حرب الخليج وبعده، من عمليات

اغتصاب استفزازية وحيوانيّة لا يمكن وصفها إلا بالتّوحّش لأنها خالية من الرّحمة ومن الإنسانية تمارس على نساء وفتيات وصبايا قاصرات حتى الأطفال لم يسلموا من أيادي الجنود الأمريكيين والبريطانيين وحتى العراقيين أنفسهم، بسبب رغبة جامحة في الانتقام من الإسلاميين خصوصا المتديّنين والسّنيّين... جرائم مسكوت عنها في حق الإنسانية من قبل الدّول المهيمنة والمحتكرة لكل شيء اقتصادا وسياسة وتكنولوجيا، وتربية وعلما، والتي تمتلك مفاتيح حقوق الإنسان والسّلام الوهميّة المسكوبة على الورق، مجرد شعارات واهية، لعبة سياسية قذرة، تواطأت فيها أطراف عديدة، بمشاركة أيادي أبالسة عربيّة، لسحق الهويّة العربيّة وضربها عرض الحائط للاستحواذ على ثروات العراق، ونفطه، وفسفاطه باسم السلام والحريّة والديمقراطيّة وبحجّة مساندة الدّول المظلومة، المنكوبة، وكأنها وصيّ عليها... بتعلّة أن بعض حكّام العرب ظالمون وطغاة يجب سحقهم وإزالتهم بإبعادهم عن الحكم بشتّى السّبل.. ثم حالة الصّمت الرّهيب لوسائل الإعلام خوفا من تهديدات هذه السّلط السّياسيّة الحاكمة، إلى جانب خوف العائلات العراقيّة آنذاك، والتي مازالت تعيش في طقوسها وفي أجواء العشيرة والقبائل، إذ كانوا يتستّرون على مثل هذه الجرائم خشية العار والفضيحة التي أصابتهم وأصابت نساءهم، فبدل من رفع قضيّة في الشّأن وتقديم شكوى ضدّ هؤلاء المجرمين، يلوذون إلى الصّمت ويفرّون من بيوتهم فيئدون بناتهم المغتصبات ويتخلّصون منهنّ بطرق فظيعة وأكثر توحّشا، بالقتل والذّبح والرّمي بجثثهنّ تحت الأنقاض وفي الوهاد أو دفنهنّ في سكون الليل وهنّ مهزومات، مظلومات، بائسات، ضعيفات، ذليلات...

هكذا كانت الكاتبة ريم العيساوي في سردها لأحداث روايتها، مراوحة بين سيرتها الذاتية، وما تراءى لها في الماضي، وما يحدث معها في الحاضر، وهي التي كلّما هربت من مأساة تقع في مأساة أبشع من الأولى، إلى الحديث عن سيرة جماعية، بوصف تلك الأعمال الإجرامية المتوحّشة من قبل الدّول الدكتاتوريّة باسم الدّفاع عن الإنسانيّة ونشر السّلام وفضّ النّزاعات بين الدّول الجيران فتقتل البراءة وتفتك بالبشر، وتنتقم بكره وحقد دفين من العرب، بتلك الاغتصابات العدوانيّة لنساء وبنات في عقر ديارهنّ وفي مدنهنّ وبلدانهنّ وأمام أعين عائلاتهنّ مثل الأب والأخ والزّوج والجار و.. و..، بطرق غير إنسانية لإذلالهم وتنكيس رؤوسهم ولجبرهم على عدم المقاومة، ولا الدّفاع عن شرفهم، ولمدّ عنقهم لحبل المشنقة طائعين، صاغرين، وبمذلّة شنيعة..إنّها لعبة الكاتبة، في جرّها لنا وراءها عند سردها لرواياتها بأسلوبها السّلس الشّيّق وبلغة شاعريّة ممتعة، بتقنيات وأسلوب كتابة الرّواية الحديثة، إذ جمعت كلّ الأجناس الأدبيّة فيها، شعرا، قصة، رواية، ملصقات، أشعارا، إعلانات، الانفتاح على عالم الرّقمنة والتّكنولوجيا، الماسنجر، المنصّات الافتراضيّة في اللّقاءات الأدبية، وسائل الإعلان والاتّصال والإعلام والأخبار، والتّصوير من خلال تلك الكاميرا الرّاصدة للأحداث والاهتمام بالتّفاصيل الصّغيرة قبل الكبيرة، لشدّ القارئ، وكسب شفقته، وثقته ليكون في صفّها،.. لقد تحدّثت بصدق وصراحة، من دون إساءة للّغة أو استعمال لغة إباحيّة تضمّنت عبارات أيروكيّة... بل كانت توصل المعنى بذكاء، تذكر أرقاما وإحصائيّات توهم بالحقيقة بل هي الحقيقة، رواية قابلت الذّاتي بالجمعي، الاجتماعي بالاقتصادي والسّياسي، الضّعيف بالقويّ، البسيط بالمتكبّر والمتعالي، المواطن العادي بالسّياسي، رواية سير ذاتي في ثوب سير جماعي بامتياز، وما يؤكد أن الرّواية أخذت كلّ هذه الأساليب وجمعت بين الواقع والخيال حتى أنّ القارئ يخالها واقعا وأحدثت فيه رجّة وارتجاجا في عقله وتجبره على أن يعود للتّاريخ للنّبش فيه والتثبّت في المعطيات والمعلومات المتسرّبة عبر الماسنجر عن طريق سلمى الموصلي أثناء حرب العراق، للكشف عن الحقائق التي ربما كانت مخفية عنه لأنّ الإعلام كان مرغما على التّعتيم، بقصد وبسبب الأوامر التي يتلقّاها...

تقول في ص 31: «وكشف التّقرير الأوروبي عن وجود تقرير حكومي أمريكي صدر عن فرع قوات مشاة البحرية المارينز في وزارة الدفاع الأمريكيّة يفيد حدوث عمليّات تعذيب بشعة في الفترة ما بين أكتوبر وديسمبر 2003 ويشير إلى مدى ما تعرّض له بعض الضّباط والشّهود من ضغوط لعدم تسريب أنباء التّعذيب».. وتُكثر من هذه المعلومات والتّسريبات الصّحفيّة التي تصلها من صديقتها الإعلامية سلمى الموصلي تقول إنّها كانت تراسلها باستمرار تاركة لها هذه المعلومات الخطيرة لتساعدها في كتاباتها ولتذكّي بها روايتها

في ذات الوقت، هي فرصة لتبثّ وتنشر هذه الحقائق المؤلمة المسكوت عنها وعن سبق الإصرار فهل يمكن القول أنّ الأديبة تكتب يوميات لأن ما تقدّمه للقارئ مؤرّخ بالتّوقيت واليوم والشّهر والسّنة وبالمكان، وبالحدث والأرقام والإحصائيّات،.غير أن الكاتبة ريم لم تكتبها في زمنها، لأنّها كانت تعيش موجة من التّغرّب والصّراعات، والضّغوطات اليوميّة والمتتالية... والرّكض في متاهات الحياة، مع التشبّث بالذّات، لأجل تحقيق نجاحات لتنتصر على الظّلم والقهر واليتم والقسوة والتّجبّر التي عانت منها

كثيرا منذ طفولتها...وصولا إلى هجرتها في الخليج وعملها بدبي، بالإمارات، فهي اليوم اختارت أن تسرد أحداثا أليمة خزّنتها في الذاكرة وكانت تعتقد أنها نسيتها ودفنتها، لكنّها ظلّت تراودها وتلاحقها... في يقظتها وفي حلمها ومنامها وتتراءى لها الكوابيس المؤرقة.... هي كوابيس مسجونة منذ عقود لحكايات عايشتها،...

ثم تعود بها الذّاكرة وهي تستفيق من غيبوبتها لذكرياتها مع والدها الذي رحل عنها وهي طفلة، لكنّه ظلّ النّور الذي تتمسّك به في كل ظلمة، تقول ص 28 مقطع من قصيدة لها بعنوان «برنس والدي»:

لمن تعزف أناملي أناشيد الحياة؟
والبرنس نام واستراح من الرّحيل..
ها قد غزتني ثلوج العمر
ولفّني صمت الصّدى
وتقيّحت فيّ القروح..
وحدائقي قد أقفرت ونأت عنها الطّيور.
فلمن أغنّي والسّماء كئيبة أفلت عنها النّجوم؟
يا أبتي...!

هكذا هي رواية « متوحّش هذا العالم!!! « التي تعمّدت الكاتبة أن تسمعنا صرختها فيها، تطلعنا على * وجعها، ومعاناتها وتخبرنا عن صبرها على المكائد، من خلال القاموس اللّغوي الذي توّجته وتوخّته بدءا بالعنوان جعلت الخبر يسبق المبدأ، لأنّ التّوحّش كان الأعظم والأطغى ومازال هذا العالم منبوذ بلعنة وسخط الآلهة....

تبدو لي الرّواية دائريّة... فقد كانت البداية باستيقاظها من غيبوبة دامت شهرين..

لتكون الخاتمة.. أيضا دخولها في غيبوبة أفاقتها منها أميمة ابنة أخيها وهي تسلّمها النّسخة الأولى من روايتها...

تقول ريم العيساوي في مفتتح الرّواية بعد الميثاق والانعكاس الذي جعلته تصديرا لفصول روايتها.. وعددها أربعة، في ص 10-9:

«لاذت سوسن إلى مكتبتها محاولة مصافحة أوراقها البيضاء وإيقاظها من سبات دام شهرين، قلمها في شوق شديد إلى الرّحيل عبر الفضاء الصّامت ليحرّك الأيّام السّالفة قلمها في شوق إلى دفء أصابعها حتى يترجم مداد روحها».

وشرعت تكتب الفصل الأول من روايتها : « عندما تستيقظ الذّاكرة «

وفي نهاية الرّواية التي أراها تنفتح على البداية أو تعلن عن مواصلة الجزء الثّاني منها، بسبب ذلك الهطول من الذّكريات المسجونة في ذاكرتها، والتي تطلع للنّور إثر كلّ حادثة تبلغها فتصاب بالدّهشة ما يجعلها تدخل في غيبوبة، غيبوبة نشوة الكتابة والإبحار مع الشّخوص والأبطال الذين تصنعهم الكاتبة...

تقول في آخر الرّواية ص 194

«عدت إلى بيتي مهدودة من صدمة المفاجأة وهجرني النّوم واستبدّ بي السّهاد فاستغثت بقلمي ليسعفني « «!!!على كتابة الفصل الثاني من روايتي « متوحّش هذا العالم

«تأمّلت ملفّ رسائل سلمى أحسست بدوار عجيب واعتراني الغثيان ودخلت في غيبوبة أفاقتني منها أميمة تسلّمني النّسخة الأولى من روايتي...»

بهذه الاستشهادات أختم قراءتي التي أرجو أن أكون قد وفّقت في التقاط صورة بانورامية عن رواية * الأديبة ريم عيساوي، وإن كانت قد أفاقت من غيبوبتها في مطلع الرّواية على صوت أختها والأسرة من حولها متعاطفة مع حالتها... وهي في حيرة من أمرها هل هي لحظات اليقظة أم لحظات السّبات، فهي لحظات متداخلة لا تعرف هل هي من حاضرها أم من ماضيها... فإنّها تفيق على صوت أميمة ابنة أخيها في آخر الرواية.

وهذا قد اشتغلت عليه الكاتبة بذكاء وخبرة من خلال تلك المراوحة بين الماضي وأحزانه، والحاضر بهمومه وحرصها على ابتكار عجينة من الأحداث تجمع بين اليوميّ والسّير الذاتي.. لفضح ذلك التّوحّش الذي يمارسه الإنسان على أخيه الإنسان... وما يحدث من غرائب وفظائع على كوكب الأرض التي ثقل كاهلها بجرائم وحشية لامتناهية يعجز العقل عن ذكرها...

تراث غير مادي

مصحف الرقّ الأزرق القيرواني تراث عالمي منهوب

نجيب زروق

صفحة من مصحف الرق الأزرق تم بيعها في مزاد علني في بريطانيا

صفحات من مصحف الرق الأزرق معروضة بمتحف رقادة للفنون والحضارة العربيّة الإسلاميّة بالقيروان

تتميّز المدرسة القيروانيّة بأصالة تُرَاثها الإسلامي المتنوّع والثري وقد إكتست العناية بالمصحف الشريف أهميّة بالغة، ونجد على رأس هذه النماذج الفنيّة الرّائعة والرّاقية مُصحف الرقّ الأزرق حيث يعود تاريخه إلي النصف الثاني من القرن الرّابع هجري / العاشر ميلادي.

وصف مصحف الرقّ الأزرق

وصف هذا المصحف في سجل المخطوطات لمكتبة الجامع الأعظم بالقيروان يعود تاريخه إلى سنة 693 هـ / 1292 ــ 1293 م بأنّه مصحف مكوّن من سبع مجلدات من الحجم الكبير مكتوب بالذهب بخط كوفي غير منقط على رق أزرق مائل إلى السواد وكتبت فيه أسماء السور وعدد آياتها والأحزاب بالفضة وهو مجلد بتجليد مختوم يغلف دفتين من الخشب المبطن بالحرير(1) .

صيانة مصحف الرق الأزرق

تتواصل العناية المستمرة بمصحف الرق الأزرق وغيره من المخطوطات القيروانيّة في مخبر صيانة الرقوق والمخطوطات التابع لمتحف رقادة.

المكتبة القيروانيّة

أصبحت القيروان في العهد الأغلبي مركز حضاري وهو عهد تبلورت فيه العلوم والفنون بإفريقيّة، وانتشرت الحركة العلميّة والفكريّة في قيروان بني الأغلب وقد نتج عن ذلك أن تأسست مكتبات عريقة منها مكتبة بيت الحكمة بمدينة رقادة(2) قام بتأسيسها الأمير الأغلبي إبراهيم الثاني سنة : 264 هـ وتعتبر كأول مكتبة أميريّة بإفريقيّة للعلوم الإنسانيّة احتوت على مصنفات حكماء وعلماء المشارقة والقيروان وفلاسفة اليونان بما حوته من كتب فلسفة وطب وهندسة وعلم فلك ويذكر أن مكتبة بيت الحكمة استولى عليها الفاطميون بعد إستحواذهم على حكم إفريقيّة ونقل جزء هام منها الخليفة المعز لدين الله الفاطمي حين غادر القيروان متوجها إلى القاهرة وكان الوزير اليهودي يعقوب بن كلس أحد المسؤولين عن هذه العمليّة(3)

صفحة من مصحف الرق الأزرق مستطيلة العرض: 31 سم الطول 41 سم خمسة عشر سطرا الفترة الفاطمية

وفي نفس تلك الفترة تأسست مكتبة الجامع الأعظم في أواسط القرن الثالث هـ بعد أن أنهى بنو الأغلب بناء الجامع وتوسيعه وقد بدأ أمرها بما قدمته الأسر من مصاحف وبما حبّسه العلماء عليها من كتب ولعلّ أقدم وثيقة مؤرخة عنها هي نص التحبيس الذي كتبه بخطها فضل مولاة أبي أيّوب أحمد بن محمّد سنة: 295 هـ، وقد إحتوت المكتبة على أمهات كتب المذهب المالكي كالمدونة والمختلطة (4) ويبدو أنّ صنهاجة التي خلفت الحكم الفاطمي كانت أكثر الاسر الحاكمة اهتمامًا بشؤون العلم، ساعدها عليه ماحققته من استقرار ورخاء فساهمت في العناية بمكتبة الجامع عناية مباشرة بما أوقفته من الأسفار والمصاحف الجيّدة (من ذلك مصحف أم العلو أم المعز بن باديس حبسته في جمادي

تراث غير مادي

الآخرة سنة : 428 هـ، ومصحف فاطمة حاضنة باديس حبسته في رمضان سنة : 410 هـ ومصحف أم ملال عمّة المعز ومصحف المعز بن باديس نفسه وعليه التحبيس بخطه) ونجد من بين تلك الكتب والمخطوطات مصحف الرق الأزرق، وفي أواسط القرن الخامس هجري انهارت حضارة القيروان بسبب زحفة الأعراب فتعرضت المكتبة للنهب والضياع وحفظ ماسلم منها في بيت صغير داخل مقصورة المعز الصنهاجي...

البعد الجمالي والفنّي لمصحف الرقّ الأزرق

تأنّقت المدرسة القيروانيّة في صبغ الرّقوق وصقْلها، ولم يصلْنا من هذه الأنماط الملوّنة غير قطعة من مصحف كبير على رقّ أزرق مذهّب بالغ الجمال والرّوعة(5) ويعتبر المصحف الأرزق من أجمل المصنّفات الفنيّة عبر التّاريخ وهو يعكس مدى تطوّر الفن التشكيلي بإفريقيّة ويعطي صورة لمستوى الذوق الرّفيع في حسن إختيار اللّونين الأزرق النّيلي(6)، وقد شكّلا اللونان الأزرق والأصفر المذهب تناغما وإنسجاما كبيرين أصبغا عليه مسحة من الجمال تعكس معها من دون شك تفنن الخطاط القيرواني وتفرده في صياغة وتركيب الألوان، كما أعطته الحُرُوف المذهّبة بُعْدًا رُوحَانيًّا، فهي ترمز إلى النّور الإلاهي وقد أضْفت عليه إجلالاً ومهابة جعلت من هذا المصحف مثالاً فريدًا من نوعه في العالم ويقال أن لون علم الإتحاد الأوروبي وهو مكون من خلفيّة زرقاء عليها 12 نجمة صفراء مستوحى من ألوان الرق الأزرق .

صفحة من مصحف الرق الأزرق على ملك متحف اللوفر أبو ضبي طول ×عرض: 48.7–39.3 سم 38.2–28.5 سم

صفحة من مصحف الرق الأزرق تباع في مزاد علني وأخرى في متحف عربي

لاشك أن القيمة الجمالية والتاريخية التي يحضى بها مصحف الرق الأزرق جعلته عرضة للسرقة في كثير من الأحيان فقد تسربت أجزاء عديدة منه في شكل صفحات وتم بيعها في مزادات علنيّة، حسب ما أشار إليه موقع الكتروني(7) بتاريخ : 25 أفريل 2017 تمّ الإعلان عن فتح مزاد علني لبيع ورقة من المصحف الأزرق هذا ما جاء فيه : مثل صفحة من «المصحف الأزرق» النادر بالخط الكوفي جوهرة التاج في مزاد تنظمه دار كريستيز في بريطانيا الخميس المقبل لأعمال فنية من العالمين الإسلامي والهندي، وتشمل الصفحة التي ستعرضها كريستيز في المزاد جزءاً من سورة آل عمران، ثالث سور القرآن الكريم مكتوبة بالذهب على رق مطلي باللون الأزرق، وقالت كريستيز في بيان نشرت «رويترز» مقتطفات منه إن الصفحة التي ستعرض في المزاد مأخوذة من أحد المصحفين الوحيدين المعروفين على مستوى العالم والمكتوبين على ورق أزرق بخط كوفي مذهب وأضافت أن القيمة التقديرية للرقعة تتراوح بين 100 ألف و150 ألف جنيه إسترليني (بين 128 ألفا و192 ألف دولار تقريبا، صفحة ثانية من مصحف الرق الأزرق تسربت بطريقة أو أخرى إلى متحف اللوفر بأبو ضبي(8) .

أخيرا وليس اخرا لم يسلم المصحف الأزرق من النهب والسرقة كغيره من تلك الكنوز التي تحتكم عليها مدينة القيروان والمتمثلة في المخطوطات والقطع الآثارية حيث لم يبقى من المصحف سوى بضع صفحات من سبع مجلدات ضخمة ويبدو أن أطراف عديدة ساهمت في الإستيلاء على تراث القيروان ونهبه بدء من المستعمر الفرنسي وصولا إلى المنظومة الفاسدة التي مثلتها الأسرة الحاكمة في العهد السابق يضاف إلى ذلك العشريّة السوداء، ولا شك أن بقايا أجزاء المصحف لاتزال متواجدة هنا وهناك تتناقلها أيادي مافيا التراث لتباع خلسة في مزادات سرّيّة في أوروبا أو بلدان عربيّة معروضة لأصحاب الأموال ومقتني الآثار والأكيد أن الأيام القادمة ستكشف لنا المزيد من المستور، وليس لنا إلا القول أن المحافظة على التّراث كقيمة إنسانيّة تبقى مسؤولية مشتركة يدعمها وعي المجتمع من ناحية والأطراف المسؤولة من ناحية ثانية وهي المعنيّة بالتدخل إن لزم الأمر لمنع حدوث هذه التجاوزات وإسترجاع تراثنا المنهوب .

المصادر والمراجع :

1) مصحف الرق الأزرق ص : 325 د. مراد الرماح موسوعة القيروان وزارة الثقافة والمحافظة على التراث إشراف منيرة شابوتو الرمادي محمّد اليعلاوي راضي دغفوس نشر وتوزيع الدار العربية للكتاب تونس ديسمبر 2009.

2) قال البكري في كتابه المسالك والممالك : رقّادة وهي من القيروان(تقع على بعد حوالي 9 كم جنوب القيروان) على أربعة أميال وسورها أربعة وعشرون ألف ذراع، وأكثرها بساتين وليس بإفريقيّة أعدل هواء ولا أرقّ نسيما ولا أطيب تربة من مدينة رقّادة، ويذكر أنّ من دخلها لم يزل ضاحكا مستبشرا من غير سبب لقد ذكر المؤرّخون أخبارًا كثيرة في شأن تسمية هذه المدينة وأطرف ما ذكره عنها البكري قال : أنّ أحد بني الأغلب أرق وشرد عنه النّوم أيّاما فعالجه إسحاق طبيبهم الخاص فلم ينم فأمره بالخروج والمشي فلمّا وصل إلى موضع رقّادة نام فسميّت رقّادة من يومئذ رقادة واتخذت دارا ومسكنا وموضع فرحة للملوك راجع المسالك والممالك للبكري ص : 200 ج : 2 (تحقيق د. جمال طلبة دار الكتب العلميّة بيروت ـ لبنان 2003) .

3) الدولة الصنهاجيّة ص : 385 ج : 2 .

4) المكتبة الأثريّة بالقيروان عرض دليل بقلم البهلي النيّال ص : 5 تونس 1963 .

5) سجل قديم مكتبة جامع عقبة بن نافع بالقيروان ص : إبراهيم شبّوح 345، مجلّة معهد المخطوطات العربيّة ج :2 سنة : 1956

6) وهي مادة متأتية بطريق التجارة مع الهند أو مصر والتي تطورت بداية من القرن العاشر ميلادي أما الكتابة المذهبة فقد تم تثبيتها بواسطة أبيض البيض مصحف الرق الأزرق ص : 325 د. مراد الرماح موسوعة

7)البيع-بالمزاد-العلنى-صفحة-من-المصحف-الأزرق-المكان-والزمان https://www.masrawy.com/islameyat/others

8 https://collection.louvreabudhabi.ae/ar/object/page-of-the-blue-quran-100006376)

ترجمان الأسرار الشّاعر الصّوفي الإيراني حافظ الشّيرازي

صلاح بوزيّان، باحث في الحضارة الإسلامية

1/ بوّابة مقول القول

لاشكّ أنّ الإنسان يبحث عن مسارب الانعتاق من قيود الحياة، ويتوق إلى الطّهارة الرّوحية وهدم سدود الشّواغل ووأد الحسرة و اتّقاء اللّوم و الخلاص من خداع السلطاويين، ومن أشكال الانعتاق قراءة الأشعار و تفحّص الدّواوين و البحث في مضامينها و الارتواء من فيضها، و لقد خلدت أشعار عربية و بلغت مراقي الإبداع، كما أدركت أشعار فارسية الخلود لأنّها لامست الإنسانية وأثارت الصّفاء في علاقة الإنسان بالدّنيا وبالمجتمع و بالله، من ذلك دواوين الشّاعر الإيراني شمس الدّين محمد حافظ شيرازي (725- 792هـ/ 1390-1389م)، لُقّب بالحافظ لأنّه حفظ القرآن الكريم بقراءاته الأربع عشرة، و تذكر المصادر أنّه سنّي أشعري ذي ميول صوفية. كتب أشعارا عربية أبرز فيها امتلاكه ناصية اللغة العربية وأخرى فارسية، و تُرجم ديوانه إلى لغات عديدة ممّا جعل منظّمة اليونسيكو تعتبره من كنوز الأدب الخالدة.

2/ الشّاعر الخبّاز حافظ الشيرازي .. الشِعر يُذهب الجوع والعطش

أشهر شعراء الفُرس افتتن به كلّ من الأمريكي الكاتب رالف إيمرسون (1803 - 1882م) و الشاعرالألماني يوهان غوته (1832-1749م)، تبدو قصائده موغلة في قضايا الإنسان الرّوحية والأخلاقية و الجمالية، ممّا ساهم في انتشار أعماله و نقلها إلى لغات عالمية مختلفة، لأنّ الإنسان في أيّ نقطة على سطح الأرض يحتاج إلى لحظات انعتاق من أسر الحياة و ضوابط القوانين المجتمعية المجحفة و التّحرر من الالتزامات التعاقدية في الحياة والعمل، فالمجتمعات المعاصرة تحوّلت إلى مجتمعات صناعية بامتياز و استهلاكية مفزعة، وكلّ التّغيرات التي طرأت على المجتمعات في العالم نتيجة جشع نُخب سياسية مضطربة متناحرة و تنافس قوّة إقليميّة وعالمية على الهيمنة العسكرية و الاقتصادية والصناعية، كلّ هذه الحروب دفعت الإنسان إلى البحث مبكّرا عن مصادر فنيّة تلهمه و ترشده و تشحنه و تنسيه مرارة الواقع وبأس تكنولوجيات الحياة، قصائد شعر لها طابع صوفي، تغذّي الرّوح و تشحذ العقل، محطّات فنيّة يستلهم منها ضروب الانعتاق، لا شكّ أن ضروب البؤس الإنساني في العالم مشترك بين الشّعوب والأمم ولو توسّعت الرقعة الجغرافية، الفقر، اليأس، الحزن، الحبّ، التّشرّد، الحروب، الجوع.. كلّها منغّصات تلاحق الإنسان، صنعها الإنسان المهيمن/ الحاكم في المجموعة بمقتضى سلطة المال أو الدّستور الّذي ابتدعه بما يضمن مصالحه أو مصالح فئة قليلة ترنو إلى البرجوازية و حوز رأس المال. كان حافظ شيرازي صديق الفقراء والمعدمين و اليتامى والأرامل صوت الغلابى و المقهورين في وطنه و في أوطان العالم، ممّا ارتقى به إلى العالمية الخلاّقة.

3/ المعجبون بحافظ الشّيرازي .. مواقف ودراسات

وأثنى رالف إيمرسون على الشّيرازي فقال: « كتب حافظ شعرا يحدّث به الشّعراء»، لقد كان شعره مُلهما لشعراء من مختلف الحضارات و الشّعوب، بما تضمّنته قصائده من قيم وفضائل و تجريد صوفي وقال غوته أكبر المعجبين به : « ليس كمثل حافظ أحد «. وهو يشير إلى فرادة هذه التجربة الشعرية التي جمعت الغزل و الفلسفة و التّصوف و العشق.

وإن كان تاريخه يعود إلى القرن الثّامن الهجري إلاّ أنّه تحدّث عن مجمل شواغل الإنسان و آلامه و تعمّق في الوصف و الدّلالة و الاشتقاق، وهي مصائب تتكرّر كما يتكرّر أبا جهل في كلّ زمان و المسيح الكذّاب و السّراق و المرتزقة و السّماسرة و خزندار ومصطفى بن إسماعيل و خونة كُثر أضرّوا الأمّة و شعوب كثيرة. تاريخ البشريّة زاخر بالفضاعات و الحروب و الظّلم و الإهمال و الوهم، وأشدّ الأعداء للأفراد و الشّعوب هو الوهم و الخراف و الشعوذة و الاستبداد. ويدلّ هذا التّوسع الشعري على سعة الرؤية الفلسفية التي ينطلق منها الشيرازي، فهو يتكلّم بنفس شديدة الإيمان و التّوثق بالله، وروح منعتقة متحرّرة من قيود الواقع و هو يعيش في الوقع، فهو قائد شعري ثوريّ يحرّض على التّمرد على البشاعة والشّر و العداء و التفكّك و يدافع عن السّمو و الرفعة و معانقة السّماء و التّرقي العقلي و المعراج الرّوحي، وكأنّه يقول لا حدود للإبداع المهمّ صدق المعنى وعمق الدّلالة، ولكنّنا لا ننسى أنّ الرّجل عاش مأساة وإن بدت ملامحها واضحة أحيانا و مكتومة أحيانا أخرى فهي مأساة حقيقيّة، و لا غرابة في ذلك فالأدب مأساة، ونستحضر تعريف محمود المسعدي:» الأدب مأساة أو لا يكون «. و تتميّز تجربة الشيرازي بالموهبة الإبداعية والمأساة الوجوديّة القادحة، فهو سعيد ممتلئ سعادة وحبّا، ينطق بنفس مؤمنة ورعة زاهدة في الدّنيا و روح معانقة للصّفاء و الطّهارة الرّبانية، إلاّ أنّه قارع الانحرافات الكبرى عن جوهر الإنسانية، و خاطب الفضائل : الجمال الرّوحي، الحقّ والعدالة والإنصاف والشّورى و حبّ الله، والحبّ و التّعايش. ممّا يبيح لنا القول بفشل تجارب شعرية أو روائية نراها كالفقّاعات تخرج إلى النّشر على حين غفلة، تعجّ نصوصها بالأخطاء وتفتقد الموهبة و المأساة القادحة. إنّ سرّ انتشار شعر الشيرازي و شهرته العالمية يكمن في حضور هذا الثّالوث (الصّدق، المأساة، الموهبة)في كلّ كلمة كتبها أو قصيدة في ديوانه، وإنّ قصائد باللّسان العربي دلالة على امتلاكه اللّغة العربية، كتابة و فهما لقواعدها و ضوابطها، وهذا ما يحتاج إليه اليوم تُجّار الإبداع الأدبي (الرّواية، الشعر) في تونس وبلدان أخرى. استمرّت شهرة الشّيرازي شاعر القرن الثّامن الهجري إلى هذا العصر و يقصد قبره آلاف الزّوار كلّ يوم لقراءة فاتحة الكتاب. كلّ ذلك وفاء للشيرازي و احترام لفنّه الرّاقي و فكره الخلاّق كيف لا و قد تعلّقت به مُهج شعراء كبار في العالم، فهذا آرثر كونان دويل انشدّ إليه و تعلّق بشعره، فاقتبس شعره على لسان أشهر شخصياته(شيرلوك هولمز)، وأحبّه الشّاعر الإسباني الشّهير فريديريكو غارسيا لوركا و يلفت انتباه قارئ شعر لوركا حضور روح الشّيرازي الشعرية فيها. وأعْجِبَ به الفنّان الألماني الموسيقار جهودان براهمس، فوظّف قطعا من قصائده في منجزاته الموسيقية، ممّا ساهم في نجاح عروضه، وإقبال جماهير واسعة على عروضه و تسجيلاته. إنّ شعر الشيرازي يذكّرك بمولاي جلال الدين الرّومي، يقول:

« يرفعني وجه الجبل إلى أعلى من الجبل ذاته
ملأتني غمزة في أغنية بالبهجة
و عرفت لحنا من ترانيم الفردوس
وسط الغابة، التي تتركني أمشي بين أذرعها العارية «

تضيء أشعار الشيرازي النّور في روح القارئ، و تشجّعه على المسامحة و الإعراض عن الجاهلين والظّالمين، و تنّمي صنع أفعال الخير الطّيبة التي تنفع الصّديق و تهدي العدو وتضعه وجها لوجه مع قبحه علّه يتطهّر من تزمّته و انبتاته الاجتماعي ويخلّى عن عنته. إنّه يساهم في إيقاظ الأمل في الحياة رغم قتامة استبداد الإنسان، إذ ما فائدة سلامة الصّدر مع العزوف عن المشورة ؟ يقول:» ليست الحياة بهذا السّوء، في الواقع الحياة مدهشة». ويقول:»وستشفي قلبك من مائة خوف وداء». إنّ الّذي أفسد الحياة هو الإنسان، والإنسان هو الّذي حسّن الحياة و لقد جاء النّبي محمّد مصلحا ملهما مفكّرا ناشرا ألوية السّلام و التّعايش و الإصلاح، إصلاح حال الإنسان مؤكّدا على أهمّية تصحيح الإنسان لصلته بالله و بالمجتمع، و لقد مارس النّبي محمّد التّعايش فكان رحيما بأصحابه يشاورهم، وكان و يسمع كلام النّاقدين و يصبر على المتحاملين، يأخذهم بالرّأفة والأناة و الحلم، و كان منفتحا على أصحابه يشاور كلّ ذي خبرة في مجاله، فشاور سلمان الفارسي ساعة حفر الخندق وأدلى سلمان برأيه و كان الخندق ضمانة من ضمانات انتصار المسلمين، من من هذه المرجعية النّبوية استلهم الشيرازي أشعاره. إنّه فيلسوف ماهر يحضّ القارئ على تحرير إرادته من القيود. وفي إحدى المرّات سأله طالب علم عن الصّفة الأساسية في قصائده فقال:

« ترفع قصائدي ركني الفمّ
فمّ الرّوح وفمّ القلب
و تؤثّر في جميع فتحات ممارسة الحبّ»

بهذه الأسطر الشعرية يعرّف الشيرازي شعره و يحدّد مداراته. وإذا ما حاولنا أن نتأمّل أبرز الدّراسات التي اهتمّت بهذا الشّاعر الفيلسوف وجدنا الباحث المصري عبد الوهّاب عزّام أوّل من اهتمّ بشعر الشيرازي فنقل شعره الغزلي إلى اللّغة العربية، و سخّر الباحث المصري إبراهيم أمين الشورابي حياته و جهده العلمي لدراسة فكر الشيرازي وشعره وشخصيته فألّف كتابا موسوما ب(حافظ الشيرازي: شاعر الغناء و الغزل في إيران). وقدّم طه حسين لترجمة ديوان الشيرازي بكلمات مفعمة بالانفتاح الفكري والإعجاب الشّديد، قال: « إنّ إظهار هذا الديوان في لغتنا العربية، يضيف إلى ثروتنا الأدبية ما يستطيع أن يضاف إليها من روائع الآداب الأجنبية»، فاعتبر شعره من قبيل المعجزة التي تعجز الألسن عن وصفها والإتيان بمثلها و لذلك لُقِّبَ بلسان الغيب و ترجمان الأسرار. و بعد أن قرأ أحمد زكي أبو شادي ترجمة الشاعر الأنجليزي كرانريخ، ترجم خمس وستين رباعية من رباعيات الشيرازي معبّرا عن شغفه به، و نشرها في مجلّة المقتطف. كما قدّم عبدالرّحمان بدوي دراسة فلسفية لشعر الشيرازي. وخاتمة القول أنّ المعين الأساسي لشعر حافظ الشيرازي هو القرآن الكريم، ألهمه معان ووسّع أفق خياله ممّا ولّد الدّلالات، كما كانت السيرة النّبوية معينا ثانيا وهُما الخّطان المتوازيان في حياة وشعر شيرازي، و تتمثّل تجليات سيرة النبي في قصائده في النّقاء الرّوحي و المحبّة و الزّهد و المعراج و العفو و الصّدق و الحرّية و الجهر بالحقّ.

تصديق العهـــد القديـــم من عدمه

الناصر التومي - كاتب

التوراة اليهودية (1)

كتب موريس بوكاي

ـ التوراة هي مجموعة من الأسفار المختلفة من حيث طول كل منها وهي مختلفة أيضا في نوعية موضوع وأسلوب كل منها، ولقد كتبت هذه الأسفار في لغات متعددة على مدار فترة زمنية تزيد عن تسعمائة سنه بالاعتماد على تراث شعبي شفوي، وكثير من الأسفار تم تصويبها أو إكمالها اتساقا مع الوقائع والأحداث أو المتطلبات الخاصة على فترات متباعدة في الزمان في كثير من الأحيان.(انتهى كلام بوكاي)

ثمة اتفاق على أن الكتاب المقدس (التوراة) بوضعه الحالي لم يكتب كله مرة واحدة أو في عصر واحد، ولكن على العكس تم كتابته على عصور مختلفه شملت كتابته بلغات مختلفه ونصوص مختلفه ومتضاربه فيما بينها ومنها مالم يكن بهدف التعبد وكان مجرد تأريخ للماضي والأحداث التي مر بها كتبة التوراة، وقد شمل التعديل في الكتابات تعديلا جذريا بالإضافة والحذف واعادة الصوغ بمطلق الحرية وبدون أي قيود على حد هوى الكاتب نفسه.

التوراة السامرية (2)

احتفظ السامريون بالتوراة العبرانية الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديمومعظم الأدراج السامرية التي تشتمل الأسفار الخمسة كلهاأو جزءاًمنهالا ترجع إلى ماقبل القرن العاشر الميلادي مع أنه توجد نسخة تدعي أن الأجزاء القديمة منها كتبت في عام 656 ميلاديا. ولدى جماعة من السامريين في نابلس نسخة خطية يقولون أنها نسخت عام 13 بعد فتح كنعان، إلا أن جمهور العلماء يقولون إن الخط الذي كتبت به هذه النسخة يرجع إلى القرن الثالث عشر الميلادي. وهذه الأدراج مكتوبة بالخط السامري الذي يشبه الخط الموجود على النقود التي وصلتنا من عصر المكابين. وكان العبراني يكتب بهذا الخط قبل البدء في استخدام الحروف المربعة المستعملة في الوقت الحاضر.

يختلف النص السامري عن النص العبري فيما يقرب من ستة آلاف موضع وتعزى معظم هذه الاختلافات إلى أخطاء في النقل وقعت من النساخ وقت الكتابة أو إلى أخطاء متعمدة قاموا بها عن قصد وإصرار، ويتفق نص التوراة السامرية مع الترجمة السبعينية في ألف وتسعمائة موضع من هذه المواضع مما يدل على أن مترجمي السبعينية استخدموا نسخة عبرية تتفق مع النسخة السامرية إلا أن هذه الاختلافات ليست ذات بال، وربما ترجع التوراة السامرية إلى العصر الذي طرد فيه منسى حفيد ألياشيب رئيس الكهنة وصهر سنبلط من أورشليم – والتجأ إلى السامريين, فبنى هيكلاً على جبل جرزيم لينافس هيكل أورشليم, وإذا كانت قانونية الأسفار الخمسة قد تقررت حوالي عام 400 ق.م. فلا تكون التوراة السامرية في هذه الحالة قد تأثرت بالتوراة التي كانت في حوزة اليهود بعد ذلك التاريخ، ويظهر أن الشقاق بين اليهود والسامريين وقع قبل تقرير قانونية الأنبياء.

تأثير الديانة الفارسية على العهد القديم

وجد اليهود المنفيون في بابل معتقدا توحيديا في الديانة الفارسية فأثرت في معتقدهم: وقد صرح «إشعيا « أحد أنبيائهم أن كسرى محررهم وأنه يهوذا الذيدهن بالطيب.

جاء في كتاب الحياة الدينية في المجتمع الأوغاريتي في الألف الثاني قبل الميلاد أن التوراة هي المصدر الرئيس للميثولوجيا التاريخية الكنعانية.

يجزم المؤرخين والعلماء أن الأسفار الخمسة الأولى والتي منها سفر التكوين كتبت عام 656 ميلاديا، والتي بمقارنتها بالتوراة السومرية يتضح أن هذه الأجزاء كلها أو بعضها لا ترجع إلى القرن ما قبل العاشر الميلادي، وأظهروا أن الخط في كلتا التوراتين اليهودية والسامرية مختلفين من ناحية الخط والمعاني في ما يقرب من ستة آلاف موضع، ويقول بعض المؤرخين أن هذه الأسفار الخمسة الأولى قد تم إقرارها في القرن الرابع قبل الميلاد، ومن هنا نتحقق أن العهد القديم قد تأثر بتحويرات على مدى تاريخ اليهود بالمغالاة المفرط عند الحديث عن غزواتهم وحروبهم، واتهام أنبيائهم بأشنع النعوت التي لا تتماشى وعصمتهم الإلهية، وكذلك الشأن مع أبناء الأنبياء الذين اتهموهم بكل ما هو مشين، ودليلنا أن قرآننا قد برأ بيوت الأنبياء من اليهود من كل دنس، وقد فعلوا ذلك لتمرير ما سيقترفونه في مستقبل الأيام من مشين الأعمال وتبريره، حيث لا تستنكر الأجيال الجديدة فظاعة ما يقترفونه من أشنع الأفعال من سفك للدماء دون حق، وزواج المحارم، والربا،بعد أن قام بها أنبياؤهم، واضافوا أنهم أفرغوا العهد القديم من العقاب الإلهي في الآخرة بعد الموت ليتمكنوا من فعل أي شيء دون حساب أو عقاب.

اتهام كتاب العهد القديم باقتباس قصص من أساطير الشعوب

يتهم كتاّب (العهد القديم) بأنهم قاموا باقتباس قصص من الأساطير القديمة مثل قصة آدم وحواء وخروجهما من الجنة من أجل خطيئة الأكل من ثمار الشجرة المحظورة (سفر التكوين) التي يرون أنها مقتبسة من قصة «باندورا» الإغريقية التي أطلقت الخطايا والأمراض والآلام على العالم بتطفلها ورفعها غطاء القمقم الذي حذر»زيوس» من فتحه.

جاء في مقال بعنوان ـ جذور اقتباسات الأديان التوحيدية للحكيم البابلي ـ أن اليهود اقتبسوا من الحضارات السالفة لهم أقاصيصهم وأساطيرهم وضموها للعهد القديم(3):

ـكِتاب العهد القديم « التوراة « كان قد تم اعتباره ولقرون عديدة كتاباً مُقدساً أوحاهُ أو الهمهُ الرب للعبرانيين، ومما ساعد على تصديق الناس بهِ، هو أن الزمن والحروب الطاحنة والخراب والنسيان والتراب غمرت كل الحضارات الرافدية والمصرية والكنعانية القديمة حسب حتمية: أقوام وشعوب سادت ثم بادت!.ولكن فك رموز الكتابة «الهيروغليفية» المصرية وبعدها بزمن قصير رموز الكتابة « المسمارية» ثم الأكدية والبابلية والآشورية والكنعانية والفينيقية، سلط مئات الأضواء الكشافة على زيف التوراة و إدعائها لما ليس لها !!. وفي هذا يقول سيد القمني في كتابهِ ـ قصة الخلق:هناك إشكالية كبرى عن كون اليهود قد جعلوا جماعتهم وأربابهم قطب الدائرة في التوراة، فنسبوا بطولات الملاحم إلى آبائهم الأوائل أحياناً، أو نسبوا أبطال أساطير شعوب أخرى إلى أنفسهم، وادعوا النسب السلالي إليهم أحياناً أخرى، فكانت النتيجة: مزيجاً هجيناً من ثقافات شتى، تعود إلى الراسب الثقافي لمجموعة

---

1) ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

2) عن قاموس الكتاب المقدس(دائرة المعارف الكتابية المسيحية).نشر ألكتروني.

3) موقع الحوار المتمدن (دراسة جذور اقتباسات الأديان التوحيدية ـ الحكيم البابلي)

كبرى من شعوب المنطقة، تلاقحت جميعاً على صفحات الكتاب المقدس، ولعب فيها اليهود دور البطولة المُطلقة .

وانساب الحكيم البابلي بأن جعل كل ما جاء بالعهد القديم والقرآن هو اقتباس من أساطير السومريين والبابليين:

ـ خلق الكون.
ـ خلق الإنسان من طين.
ـ قصة خلق حواء من ضلع آدم.
ـ قصة الخطيئة الأولى(الأكل من الشجرة المحرمة).
ـ قصة الطوفان.

قصة الجنة والعقاب وجهنم

عرض ممدوح مكرم كتابا ـ لوليد المنسي ـ يبين فيه أن الأديان السماوية ما هي إلا اقتباسات من الأديان الوثنية على مدى الأزمان، وما هي إلا تطور لا غير لبلوغ التوحيد:

ـ قليلةٌ هي الدراسات التي تتناول الظاهرة الدينية، وقليلةٌ هي الدراسات الجادة في ثقافتنا العربية؛ لأنَّ الدين لازال يمثلُ محرمًا لا يجوز الحديثُ عنه بشكلٍ علمي، لأنه من منظور اللاهوتيين إنَّ ذلك سيؤدي إلى إهداره وإنزاله من عليائهِ السماوي ـ

ويضيف ممدوح مكرم قائلا:

ـ بين أيدينا دراسةٌ قيمة رغم صغر حجمها وبساطتها.فقد قاربت موضوع الدين بشكل علمي، وبدرجة لا بأس بها من الدقة والموضوعية، إنه كتاب: المسكوت عنه، الجذور الوثنية للأديان التوحيدية لمؤلفه وليد المنسي (لم نستطع التعرف عليه؟) وهي دراسة قصيرة تقع في 142 ورقة من القطع الصغير صادرة عام 2003، من دار عشتروت لخدمات الطباعة، ببيروت- لبنان.

الدراسة تتناول الجذور الوثنية للأديان التوحيدية، وهو عنوان مفارق ويشد انتباه القارىء، ويجعله يسأل ما هي يا تُرى الجذور الوثنية لأديانا التوحيدية التي نؤمن بها وهي على التوالي: اليهودية و المسيحية و الإسلام!

وفكرة الكتاب تتمحور حول البرهنة وإثبات وثنية الأديان التوحيدية، أي يمكنُ أنْ نقولَ أنَّ الأديان الثلاثة هي تطور وتحوير للوثنيات التي كانت قبلها، وذلك ضمن إطار تطور الفكر الديني في منطقة الشرق الأدنى القديم، وربطه الجدلي بتطور مجتمعات الشرق الأدنى عمومًا التي عرفت الزراعة منذ حقبٍ سحيقةٍ في القِدَم، حيث عبادة الأسلاف وتأليه الملوك، وعبادة الطواطم، وتعدد الآلهة وتنوعها، ثم الوصول إلى فكرة إله واحد مهيمن هو رب العالمين، ورب البشرية جميعًا، وهو ما عكسه السياق الإبراهيمي، والذي وصل قمة تطوره نحو التوحيد في الإسلام.

كيف يرى علماء المسلمين ما جاء بكتب أهل الكتاب

قال ابن كثير إن الإسرائيليات على ثلاثة أقسام:

الأول: ما علمنا صحته مما بأيدينا(أي يصدقه القرآن وتؤيده السنة) مما يشهد له بالصدق فذلك صحيح.

الثاني ما علمنا كذبه مما عندنا مما يخالفه.

الثالث: ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل، فلا نؤمن به ولا نكذبه وتجوز حكايته ... وغالب على ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في هذا كثيرا، ويأتي عن المفسرين خلل بسبب ذلك، وهذا القسم هو مما قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا (آمنا بالله وما أنزل إلينا) الآية(رواه البخاري).

هداية الله بسنة الأولين

حث الله في قرآنه الكريم وسنة نبيه إلى اتباع سنن الذين جاؤوا من قبلهم من الرسل والنبيين والمهديين، سنن نزلت من عند الله لم تحرف ولم تغير أو تزور بطول الدهر وقسوة القلوب ووسوسة الشياطين، سنة إبراهيم وبنيه، توراة موسى وزبور داود، وإنجيل عيسى:

ـ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ(النساء الآية 26).

ـ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (43) إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (44) (المائدة).

وقد حاولنا أول هذا الكتاب تبيان تأثر شعوب الحضارات المذكورة بقصص وأحداث الرسالات السماوية سواء ما راج بين الشعوب شفويا، أو نزلت صحفا و دليلنا، مرجعنا الرئيسي بوصفنا مسلمين هو قرآننا الكريم، وتمت الإشارة إليها في آيات عديدة مثل قوله سبحانه: ـ وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى (طه الآية 133)

ـ وقوله سبحانه وتعالى: لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (الحديد الآية 25)ـ وقال أيضا : كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (البقرة 213).

وقال أيضا عز وجل: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ (سورة غافر78).

وفي السنة المطهرة عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: قلت يا رسول الله كم المرسلون قال ثلاثمائة وبضعة عشر، جما غفيرا، وفي رواية أبي أمامة قال أبو ذر : قلت يا رسول الله كم وفاء عدد الأنبياء؟ قال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا والرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جما غفيرا.

فالصحف التي نزلت على الرسول المعلومة بحكم ذكرها في القرآن الحكيم هي:

ـ صحف إبراهيم: في قوله سبحانه وتعالى في سورة الأعلى:قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (14) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (15) بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (16) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (17) إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى (18) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى (19)(الأعلى).

توراة موسى:وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ (هودالآية 110).

ـ زبور داوود: وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا (الإسراء الآية 55).

ـ إنجيل عيسى:وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (الصف الآية 6).

ـ والقرآن الذي نزل على الرسول محمد(صلعم):وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا(الإسراء 82).

ولا شك أن صحفا وكتبا عديدة أنزلها الله على رسله وأنبيائه، لم يحفظها الله كالقرآن لحكمة، وربما جاء فيها من التعاليم والأحداث والقصص والمواعظ شبيهة بالكتب التي تعرفنا عليها، ثم طال على الأقوام الأمد فقست قلوبهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فأهملوها لكن الكهان الرواة والشعراء،والمسرحيين والسحرة اقتبسوا منها حكايات عجيبة وغريبة حول الآلهة، وأنصاف الآلهة، ما قد يقنعون به العامة الجاهلة لمآرب دنيوية بحتة، أفنصدق الكهنة الكذبة الذين اختلقوا ديانات وثنية من عندهم للاسترزاق منها بهتانا ونكذّب الله ورسوله، إن ما وجد مكتوبا من خلال هذه الحضارات بأشكال مختلفة من أساطير أليست هي استبلاه للشعوب وكذب على الله خالق كل شيء، ألا نؤمن نحن الآن جميعا مؤمنين وملحدين أن الديانات الوثنية هي نصب على خلق الله، لماذا إذا نصدقها ونرمي عرض الحائط بالرسالات السماوية المنزلة من عند خالق الكون والشعوب والرسل والكهنة، إن الإثباتات العلمية المتبعة من قبل المؤرخين والعلماء غير المسلمين مبنية على باطل فكيف نصدقها ونكذب ما جاءت به التوراة ولو أنها مرماة بالتحريف، وزكى معظمها قرآننا الكريم لأنهما في الأصل من لدن رب العالمين.

ملتقى الشارقة للسرد:

بحثٌ في تحوّلات القصّة القصيرة الجديدة شكلا وبناءً

صالح سويسي

احتضن مركز الموسيقى العربية والمتوسّطية (النجمة الزهراء) فعاليات ملتقى الشارقة للسرد في دورته العشرين، والذي نظمته دائرة الشارقة للثقافة بالتعاون مع وزارة الشؤون الثقافية تحت شعار «القصّة القصيرة الجديدة: تحولات الشّكل والبناء» وذلك يومي 10 و11 سبتمبر 2024.

انتظمت فعاليات الملتقى، برعاية الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي حاكم الشارقة، وبحضور محمد عبد الله العويس رئيس دائرة الثقافة بالشارقة ومحمد ابراهيم القصير مدير إدارة الشؤون الثقافية بالدائرة وسفيرة دولة الإمارات العربية المتحدة بتونس إيمان احمد السلامي والمدير العام لدار الكتب الوطنية خالد كشير، فضلا عن الشاعرة جميلة الماجري منسّقة الملتقى، ونخبة من الكتّاب والنقّاد والمفكرين والإعلاميين والمهتمين بالشأن الأدبي.

وفي افتتاح الملتقى ثمّن المدير العام لدار الكتب الوطنية خالد كشير في كلمة ألقاها نيابة عن وزيرة الشؤون الثقافية السيدة أمينة الصرارفي، مضامين هذه البادرة الثقافية والأدبية وحِرْصَ المنظّمين على الحفاظ على موعدها الدّوري، وهو ما يعكس إرادة صادقة في إعلاء صوت الكلمة الأدبية في زمن العولمة والرّقمنة والتواصل الافتراضي، مضيفا أنّ هذا اللقاء يكتسي أهمية كبرى كونه يعتني بمجال الإبداع القصصي كتابة ونقدا.

فيما عبّر رئيس دائرة الثقافة بالشارقة محمد عبد الله العويس عن سعادته بـتجدّد العلاقات الأخوية واستمرار التّعاون الثقافي المشترك بين دائرة الثقافة بالشّارقة في دولة الإمارات العربية المتّحدة ووزارة الشؤون الثقافية التونسية، والتي نتج عن هذا التعاون عديد الأنشطة والملتقيات والمهرجانات الثقافية والأدبية المتنوّعة التي شهدتها المدن التونسية من العاصمة تونس إلى مدينة القيروان، وأكّد هذا التعاون أهمية الحوار الثقافي العربي لتعزيز حضور الأديب والكاتب والشاعر والنّاقد العربي في المشهد التّونسي والعربي.

شهد الملتقى مشاركة عدد هام من النقّاد والباحثين الذين قدموا عددا من المداخلات التي تدور كلها حول العنوان الرئيسي والعناوين المتفرعة عنه، وهنا تخيّرنا أن نسلّط الضوء على بعض المداخلات.

أحلام النساء في القصة القصيرة التونسية

في مداخلته «القصة القصيرة الجديدة تحوّلات الشكل والبناء/ أحلام النساء في القصة القصيرة التونسية» اقترح الدكتور محمد القاضي مقاربة نسائية لا نسوية في قراءته لمدوّنة القصة القصيرة التونسية التي كتبتها المرأة، أي أنها لا تنطلق من القول بخصوصية جوهرانية للكتابة النسائية، بل تقرّ بانطواء تلك الكتابة على خصوصية ثقافية قد تكون دراستها وسيلة لمزيد فهم أدبية الأدب بإجمال وموقعه من التحوّلات الاجتماعية والفكرية.

وقال القاضي «يمكننا القول إنّ هذا الموضوع يقف على شفا مسألتين خطيرتين، تتّصل إحداهما بالقصة القصيرة وخصوصياتها من حيث هي جنس أدبيّ محدّد، ومدى اتّساعها لاحتضان الأحلام، وتتّصل الأخرى بالكتابة النسائية ومناحي الخصوصية فيها، اعتمادا على مدوّنة من النصوص القصصية كتبتها نساء ينتمين إلى أجيال مختلفة، واتجاهات متنوّعة، وحساسيات جمالية متعدّدة».

وأضاف «وقد جعلنا مدار البحث على أقطاب ثلاثة نحاور من خلالها تلك النصوص التي ظهرت فيها أحلام النساء لنلمّ بمدارات تلك الأحلام، وإنشائيتها، والوظائف التي تضطلع بها، علّنا نصل من ذلك إلى رصد اللحظات الكبرى في مسار القصة التونسية».

وقد اختار الدكتور محمد القاضي تسع قصص لكاتبات تونسيات هنّ ليلى بن مامي، عروسية النالوتي، نافلة ذهب، فاطمة سليم، رشيدة الشارني، فوزية العلوي، حفيظة القاسمي، آمال مختار وبلقيس خليفة.

فيما اِرتأى الدكتور رياض خليف في مداخلته التي حملت عنوان «تقنيات التجريب في القصة القصيرة من خلال نماذج من أقاصيص عبد الرحمان مجيد الربيعي» أن يخوض في هذا الموضوع اعتمادا على ما توفّر من أعمال الكاتب عبد الرحمان عبد المجيد الربيعي.

حيث قال «لا يمكن حسب رأيي الحديث عن التجريب في القصة العربية وفي السرد العربي عموما دون الخوض في تجربته المتميزة كما وكيفا».

وأضاف «لعل ما أذهب إليه يتأثر بحضور الرجل في المشهد التونسي وإسهاماته ولكن لرصيده الإبداعي دور في هذا الموقف. فالرجل اهتم بالسرد مبدعا وناقدا من خلال مدونته الكبيرة وهو يعدّ من أبرز وجوه التجريب القصصي على المستوى العربي. وقد ترك بصمات خاصة في القصة العراقية تشهد بها أغلب المراجع المهتمة بالقصة العراقية. فهو من أوائل دعاة التجريب في القصة العراقية».

وقال الدكتور خليف «لعلّ مما يدفع إلى الخوض في تجربته طرحه المختلف للتجريب تنظيرا وممارسة. فهو لم يحلق في أرض الغموض واللامعنى والتهويمات بل ظلت قصصه مشدودة إلى المرجع أي إلى الواقع والمعقول أو محتمل الوقوع. فهو» ينتهج الرؤية الواقعية في أقاصيصه المختلفة وقد دلت أقاصيصه على قوة الالتصاق بالواقع وصورة النابضة بالحركة والحياة ويمكن القول إن أغلب أقاصيصه اكتست بالواقعية معالجة تقنية متفردة».

من النشأة إلى النضج

الدكتورة سماح حمدي قسّمت أطوار تطور القصة القصيرة في تونس إلى ثلاثة مراحل أسمتها «قصّة النشأة» حيث يرى الأستاذ رضوان الكوني أن بداياتها تعود إلى 1905 فيما يرى الأستاذ محمد القاضي أنها تعود إلى الثلث الثاني للقرن العشرين ويشترك معه في هذا الرأي الأستاذ محمد الباردي، وهو اختلاف «يؤكد أن القصة فن مستحدث» حسب تعبيرها.

ثم تحدثت عن «قصة البدايات» بين 1905 و1935، وأشارت أن أسباب نشأتها حسب أغلب الدارسين يعود لظهور المطبعة وانتشار الصحف والتأثر بالشرق، لتصل بعد ذلك إلى ما أسمته بـ «اللحظة الدوعاجية» بين 1935 و1949 حيث يؤكد الأستاذ توفيق بكار أن الدوعاجي هم «أبو القصة التونسية بلا منازع» عاش حياة المتشردين وأصيب بالسل وعُرف بأسلوبه الساخر.

وخلصت في نهاية المداخلة إلى « قصة النضج» وهي «مرحلة الوعي بخطورة القصة كفنّ إبداعي يمكن أن يؤثّر وأن يطرح الإشكاليات الجديرة بالدرس والبحث».

وتحدثت حمدي عن اتجاهات القصة التونسية القصيرة بما هي سبيل إلى دعم مطالب الاستقلال في النصف الثاني من القرن العشرين وإلى نهايته، ومن سمات هذه المرحة أيضا «الحوار الخصيب بين القصة وبين النصوص التراثية، فضلا عن انفتاحها على التجريب والتأثر بالقصة الغربية».

وقالت الباحثة أن جائزة علي البلهوان التي أقرتها الدولة شجعت الأدباء على الكتابة.

في مداخلته «غرضيّة الفقر والجوع وتحوّلاتها السّرديّة في القصّة القصيرة التّونسيّة» يفترض الدكتور العادل خضر أن القصة التونسية قد انخرطت في مشروعين، خاضت بهما معركة طويلة من «المعارك العلنيّة للفت الانتباه»، المشروع الأول هو الالتزام بجعل الّذين أُكرهوا على الصّمت أن تكون أصواتهم مسموعة، واعتنى الثّاني بتغيير اقتصاد العبارة والاستحواذ عليها LA PRISE DE LA PAROLE على نحو ينفي كلّ وساطة غير وساطة القصّة الّتي يحاول الأبطال الجدد من «خاملي الذّكر» أن يفهموا بها «حقيقة عالم لا يعرفها أولئك الّذين يعيشون فيه».

وقال «لا ينبغي أن نفهم من اختلاف المشروعين في تنفيذ إستراتيجيات الصّدق أنّهما منفصلان، إن وجدت ملامح المشروع الأوّل عند جماعة من كتّاب القصّة انتفت عندهم بالضّرورة سمات المشروع الثّاني، فاستقراء مدوّنة روّاد القصّة التّونسيّة قد بيّن لنا أنّ المشروعين يمكن أن يوجدا في مجموعة قصصيّة واحدة».

وأضاف خضر «ومهما يكن المشروع الّذي التزم به هذا الكاتب أو ذاك، ظلّت القصّة التّونسيّة في كلّ مراحلها ومختلف أجيالها ملتزمة بقصّ «حياة النّاس الخاملي الذّكر» ولفت الانتباه إلى وجودهم، آية ذلك أنّ جيل الرّوّاد الّذي برزت فيه أسماء محمود بيرم التّونسي، وحسين الجزيري، وزين العابدين السّنوسي، وسعيد أبي بكر، ومصطفى خريّف، ومحمّد البشروش قد ظلّت الكتابة القصصيّة عندهم محكومة بضرب من «الخرافيّ» ومن شروطه أنّه كلّما خرجت القصّة من دائرة المعتاد اكتسبت قوّة الإقناع والغواية، فمجرّد الحديث عن الواقع رغم بؤسه ورداءته وفقره كان له وقع الغرابة الباعثة على القلق والضّحك».

ملتقى الشارقة للسرد شهد أيضا تقديم عدد هام من الشهادات الأدبية لكتّاب تونسيين لكل منهم تجربته الخاصة والتي تتميّز عن غيرها.

المقامة البحرية (1)

بقلم : شفيق بن بشير غربال /صفاقس

حدثنا حمّاد الجوّال قال : أقبل الصيف قائظا يَصْلي الوجوه، كأنّه الرمضاء فيها تتُوه، و فسّر أولو العلم تغيّر المناخ بفعل انحباس الحرارة، و زعم أولو الحلّ والعَقد أنها عقوبة من الله جبّارة، وزاد الجدالَ تأجّجًا نزول ُالأمطار صيفا وامتلاء السّدود، فمن قائل هذا شرٌّ بالعباد مقصود، ومن مفنّد لهذا الزعم بعلم المناخ مردود. وفي خضمّ العيش في طبق « بو ناريْن « بين شمس تقْلي وأرض تشْوي، حشد ربّ البيت الزوجة والعيال في صندوق شاحنته العتيقة، وهي لعمري لبلوغ البحر أرخصُ طريقة، تُعْفيه من متاعب النقل العموميّ في الواقع والحقيقة .

وانطلقت العروس تشقّ عباب الطريق، وقد اختار السائق جاره رفيقا قبل الطريق، هوّنا المسافة بالحديث والرُّبوخ، وكلما جاوزوا مركوبا من أمرهم يدوخ، وتفاءلا بيوم جميل، يعيد الأمل للشخص العليل، الى أن حطّت العروس الرِّحال بشاطئ الشفّار، واسقبلهم بالمدخل مارج من نار، « قف ..لا تدخلوا الا بعشرين دينار «، صُقع ربّ البيت وقال : صُبَّ الزيت .. إن كنت ما تأتيه من انفلاتات الثورة، فأقول لك هذه غورة، فانسحبْ إن كنت تريد السلامة، وانْجُ بنفسك حتى لا تجترّ الندامة، هذا الشاطئ للعموم ندخله بالمجّان، لا فرق في ذلك بين السُّوقة والأعيان، فردّ عليه ذلك العُتُلّ الزنيم : سمّ على نفسك الرّحمان الرّحيم، فلن يستغرق فركك بين إصبعيّ أقلّ من سرعة المكُّوك، فكم جيَّفتُ قبلك من دُيوك. هذا الشاطئ لي ولو كره القانون، فأنا بمخالفته مفتون، وبتحدّي السّلطة مجنون.

نظرت إلى جاري ونظر إليّ محذِّرا، فهو يعرفني في مواقفي متهوِّرا، و همس في أذني : السلامةُ السلامةَ يا أبَ العيال، إما عشرون دينارا أو سوء المآل، فانظر ماذا ترى وتذكّر رعيّتك بالْوَرا. لعنت ساعتها الثورة و غياب السلطة في البلاد، و ما تُلحِق هذه الشِّرذمةُ من ظلم بالعباد ،وأنت واحد منهم يا حمّاد. تَفَلْتُ عن يساري، وتمتمت غُلِب حماري، و أخرجت من جيبي ورقة العشرين وخلّفت في قلبي حسرة، و مددتها للظالم وفي نَفَسِي زفرة، فأذن لنا بالدخول، ولم يبق لي ما أقول. نصبنا خيمتنا بلحافٍ أحدُ دعائمه جنْب المركوب، وآخران خشبتان من شجرة الخرّوب، واستقبلنا البحرَ واغترفنا من نسائمه وانتشينا، وعلى الله توكلنا وعلى النَّبيء صلَّينا.

أذنتُ للزوجة والعيال بدخول البحر مع التوصية بالحذر، وألاّ يتجاوزوا مرمى البصر، ثمّ سحبت من حقيبة ظهري الأربعين ورقة و تحدَّيت جاري في لعبة الشكُبَّة التّونسيّة، وتنافسنا على كيلو ومِيّة (كيلو سكّر ومئة غرام شاي). وشرعنا نلعب و اللعب بيننا سجال، والفوز بالأربعة دوما محال، فجاري لاعب ماهر يحسبها وهي طائرة، و أصابعه في أكل الحيّة والديناري شاطرة، والبرميلة والكارطة فوق عرشه ماطرة، وليس لي إلا الصبر والتعزّي بالغلال وضحكة المغلوب، داعيا الله أن يجعلني عن اللعب أتوب.

ولم نكد ننهي جولتنا من لعب الورق، حتّى انتصب على رؤوسنا ذلك النَّزِق، وطلب منا دينارا نظير السماح لنا باللعب، فصحت به : يا للعجب، أتنهب أموالنا ونخْنَع ؟ فقال : لو كنت في مقهى ألا تدفع ؟ فقلت : بلى، فقال : ادفع عنك الأذى، هذه ساحتي أفعل فيها ما أشاء، ومن لم يعجبه فلْيُرِني القفا.

نقدته الدّينار صاغرا، و أصبحت في خَطْوي متعثّرا. وبينما أنا في حيرة من أمري إذ تناهت صيحات الى سمعي، فإذا بطفليَ البِكر يتخبَّط في الماء بلا حول ولا قوّة فاستصرخت مستنجدا، فسمعت أحدهم يهتف لبّيك مردّدا، و خاض الموج متحدّيا حتّى أخرج بكريَ الغريق وأخرجنا الى اليسر من الضيق، حققت فيه فإذا هو ذاك العدوّ الصديق، ألقاه على قفاه وأسعفه إسعافا أوّليّا، ولم يتركه حتى عاد يتنفس جليّا.

حيّيته على صنيعه وقلت : كم يلزمك ؟ فقال : هذه بلا دنانير، ادع لوالديّ بالغفران الكثير. احترت في أمره وسألته أن ينتَسِب، فقال : أنا إيّاس بن سعدان، من نكبات هذا الزمان، واحد ممن ابتهجوا بنهاية الطاغوت وهتف من أجل الوطن نموت، لكنّني قُمِعْت بالراكبين على الثورة استباحوها فغدت غورة، فلا تلُمْني على فرض الأتاوة فليست مَكْسا ولا جباية، ويوما ما تنصلح الظروف، فستراني عن الأتاوة عزوف. حيّيته على بلاغته وحسن مقاله، ودعوت الله أن يُحسِّن حاله، ثمّ حشوت صندوق الشاحنة بزوجتي وعيالي و سلكنا طريق العودة مزدحم البال.

صورة تتحدّث

يوم المولد النّبوي الشّريف

الاحتفال بالمولد النّبوي الشّريف تونس
مرور موكب الباي
يتهيّء الباي (حاكم تونس) ويتوجّه مصحوبا بوزرائه وحاشيته وأعيان البلد الى المسجد
فيصلّون صلاة الصّبح, ويقوم مفتي المملكة بقص سيرة خير خلق اللّه.

تضامنا مع شعبنا الفلسطيني:

المهرجان الدولي للفنون التشكيلية بالمحرس على الوعد

أكابر شلبي

قريبا تمر سنة تقريبا على أحداث 7 أكتوبر وما فعل الاحتلال الغاشم بأشقائنا الغزاوين من دمار وقتل وسفك دماء وحصار مكبّل بترحيل قصري. وبهذا الحدث اللّاإنساني لا يسع مهرجان المحرس الدولي للفنون التشكيلية في دورته 36 الا أن يتضامن مع شعبنا الفلسطيني وبالتحديد الغزاوي الشقيق رافعا شعار هذه الدورة تحت عنوان «مستمرون بين محرس وغزة». بداية أقول ان المهرجان الدولي للفنون التشكيلية بالمحرس تظاهرة فنية تشكيلية سنوية منفتحة على الثقافة الحوارية بقيادة رئيس المهرجان السيد على بوعلي والفنانة التشكيلية الحريصة ريم عطية بماهية العمود الفقيري للمهرجان وكذلك الدكتورة والفنانة التشكيلية فاطمة الزهراء الحاجي التي اهتمت هذه السنة وككل سنة بورشات الأطفال مع التنسيق بين الشباب كما اذكر ايضا ابن المحرس الكاتب العام للمهرجان محمد ڤربع والسيد زيدان حواس ولا أنسى الفئة الشابة من فتيان وفتيات بوصفهم اعضاء بهيئة التنظيم. كل هذا التناغم بين المسؤولين على المهرجان كان سببا في إنجاح هذه الدورة التي كانت محملة بالرسم الذي جاء على شاكلة ورشات ضمت مجموعة من الفنانين التشكيلين الأجانب واذكر الفنان التشكيلية الأنڤليزي ستيف أولديرشاو والفنانة التشكيلية اليبانية ناوكو كيميرا... والفنانة التشكيلية الفرنسية ڤايوا كارموال وفنان ساحل العاج موسى ايكازا... ومن تونس جاءنا ضيفا الفنان التشكيلي مراد الحرباوي ،عندما تنهل و تهضم عمل الفنان قبل ملاقاته ...مراد الحرباوي لقائي البصري بأعماله كان منذ أكثر من عشرة سنوات حين تعثرت بتجربته صدفة ببعض الصحف وبكتالوڤ اهداني اياه ابي الروحي محمد بوعزيز قائلا تأملي جيدا في تجربة هذه الرجل علها تنفعك يوما ما ومن يومها وانا انظر إليها وكأنني أراها لأول مرة، و اليوم مهرجان المحرس يسعفني حظ لقائه المباشراتي الفعلي لأستمع له وهو يتحدث بكل تواضع وسلاسة متنقلا بنا بين بدياته الممتن فيها لمهرجان المحرس في دوراته الاولى بين 1990 و1991...قائلا ان تلك التجربة مفتاح لما هو عليه اليوم بل اعتراف منه بقيمة التلاقي وخاصة الهامش حيث التقى بثلة من الفنانين اللذين كان لهم دور كبير في عمق تجربته بل هو الباحث المنفتح عن الأكاديمي، ومشاهدة اعمال مراد الحرباوي لا يفقهها الا متحسسها روحا وفكرا بل تتربص بك كي تتأملها في صمت رهيب لتخبرك أن الحقل التشكيلي التونسي بناء مستمر وممارسة يومية لا يعيها الا رسام يعانق ورشته والوانه وتقاليده التي انتهجها كي تكون هاجسه اليومي بل ذهاب إليها بروح المناجاة وكأنها ملجأ يتعرى من خلالها الفنان لكي يكون حرا... لأقول أننا احرار بالفن وبالفنانين التونسين الحاضرين بيننا في هذا اللقاء واذكر بعضا منهم ...محمد بوعزيز، رانية قلصي، كمال بن حمودة، عائشة دبيش، بلال ڤراييني، قصي ڤراشي، زينة برك الله، سعدية برك الله والحفارة سامية الشابي والفنان التشكيلي الوفي للمهرجان السيد علي البرڤاوي الذي لم يتخلف عن اي دورة فهو الحاضر دوما والمساند المشجع وللخط العربي نصيب بحضور الفنان التشكيلي الخلوق عبد الحفيظ التليلي والذي قام برسم جدارية خطية على جدار قاعة عرض المهرجان بالوان علم فسطين بكلمات الشاعر محمود درويش على هذه الارض ما يستحق الحياة. ومن بين الفقرات القارة والهامة للمهرجان المنابر الحوارية بقائدها الأستاذ و الأكاديمي والبروفيسور الدكتور محمد بن حمودة العارف بقيمة المعرفة الشاملة والفلسفة المنفتحة عن التشكيل والصورة الفوتوغرافية والسينما والموسيقى ايضا فهو سيد المنابر بل متحسسها حيث قدم لنا قراءة في تجربة الفنان التشكيلي مراد الحرباوي وايضا قام بتقديم كتاب الدكتور الأستاذ بالمعهد العالي للفنون والحرف بصفاقس والفنان التشكيلي محمد الرقيق. كما كان للفيلم القصير نصيب حيث قدم لنا الاستاذ والسينمائي والكاتب محمد دمق شريطين الأول حول تجربة الفنان التشكيلي التونسي كمال بن عبد الله واذكر ان هذا الشريط كان قد قام بتصويره في أزمة كورونا والتي عادت على بعض الفنانين بالفائدة حيث كان الحجر الصحي لتلك الفترة بناء لأعمال تشكيلية انبثقت من رحم الكورونا كما كان الشريط الثاني من نصيب الأستاذ المحاضر بالمعهد العالي للفنون والحرف بصفاقس الدكتور خليل ڤويعة لأكتشف ان هاذين الشريطين لم يكونا مخصصين للتوثيق بالمفهوم الكلاسيكي وانما فيلمين استعراضيين لسجن الفنان المبدع في ورشته. ولا انسى الشعر والشعراء الأصدقاء القاريين للمهرجان بل مهرجان المحرس هو الوحيد الذي يفتح مجالا للشعر كي يكون جزءا من برنامج التظاهرة فكان الشاعر شمس الدين العوني حاضرا ومشاركا بديوانه الحديث من سيرة البستاني وقصائد أخرى وقد قدم لنا هذا الشاعر والصحفي نور الدين بالطيب ليمتعنا شاعرنا بإلقاء بعض قصائده. ومن أمتع ما شاهدت، تلك الورشات الخاصة بالاطفال التي اشرفت عليها الفنانة التشكيلية فاطمة الزهراء الحاجي، فعندما تدخل الورشة ستعود الى طفولتك الجميلة ولا علّا هؤلاء الأطفال هم سيكنون فنانين المستقبل واذكر منهم يوسف الرقيق وابراهيم الجربي...

ومن تجربتي المعددة في الكثير من اللقاءات والندوات والمهرجانات والتظاهرات الهامش واقصد هنا اللقاء بين الفنانين والأكاديمين والمنظمين خارج اوقات العمل كالجلوس لإحتساء قهوة والتبادل العفوي للأراء والافكار والأذواق في جو من الإشراح والصفاء، ليختتم مهرجان المحرس للفنون التشكيلية بمعرض جماعي يحتوي أعمال ماأنتجه هذا اللقاء للفنانيين المشاركين ومعرض خاص بالأطفال المبدعين وكانت سهرة الإختتام ناجحة إحتوت على عرض موسيقي مع تقديم شهائد للمشاركين وتكريم العديد من الأشخاص الذين لهم علاقة وطيدة بالمهرجان وبتاريخه على غرار الفنان التشكيلي باكر بن فرج ...

قراءة في سينوغرافيا التشكيل وسنفونيّة الصّمود في تنصيبة الفنان التشكيلي مراد صمود

د. الصادق بن تركيّة - باحث اكاديمي في علوم وتقنيات الفنون
أستاذ جامعي بالمعهد العالي للفنون الجميلة بنابل

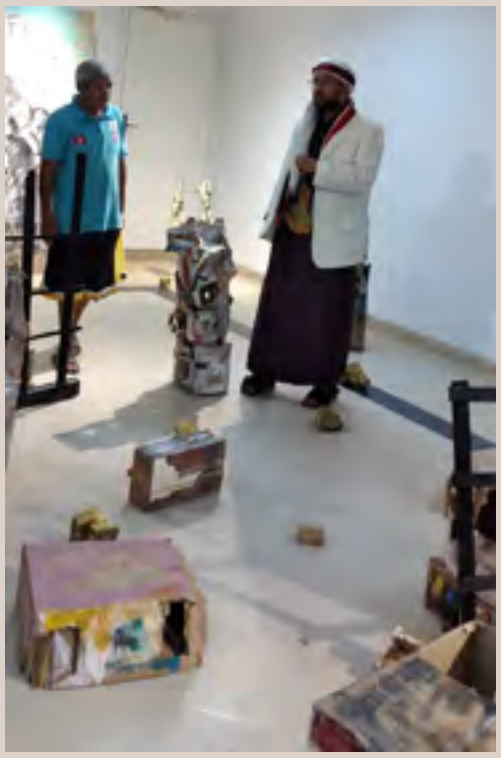

تأثث رواق الفنون بدار الثقافة نور الدين صمّود بقليبية، الاسبوع الاخير من شهر أوت 2024، بحلّة فنّيّة فريدة من نوعها ونمطها، وتحوّل المكان الى فضاء تشكيلي رتّبه الفنان أصيل مدينة قليبية مراد صمّود وعنونه بـــ «غزّة وبعد ...». العمل عبارة عن تنصيبة فنيّة (INSTALLATION ARTISTIQUE) عرضيّة مكوّناتها؛ ثلاثة لوحات فنيّة كبيرة الحجم بتقنية الأكريليك موزعة على جدران القاعة، واشكال نحتية وأحجام كرذونيّة وشظايا صخريّة موظفة ومتناثرة على ارضية القاعة، وعبارات مكتوبة هنا وهناك بين الرماديات الملونة والاضواء.

فنّ الرّاهن .. والرّهان الفنّي

مباشرة، وبدون مقدمات، يطالعنا الفنان التشكيلي مراد صمّود بتنصيبته فنّية معبّرا عن القضيّة الفلسطينيّة، فـــ «العرض» تشكيليّ-مسرحيّ جمع؛ «الشيء» و«الجسد»، «الضوء» و... الصّوت. وتحوّل المكان (أو هكذا أراده صاحب التنصيبة) الى «عُلبة» فنيّة تجمع بين قصديّة التركيب وعفوية الطرح، لتكوّن، بذلك، صورة جماليّة بلغة فنية تواصليّة؛ مفرداتها مشكّلة من النحت وفنّ التصوير. ما قدّمه الفنّان هو عرض فنّي تشكيلي ينضوي ضمن فنّ التنصيب، الذي ظهر في القرن العشرين، واصبح، من خلاله، فهم العمل الفني من داخل فضائه والحركة البصرية على المستوى الأفقي والعمودي بين المادة والحجم ومختلف عناصر التعبير التشكيلي. وقد مكّن الفن الحديث المتفرج من اختراق العمل والتحرك داخله ليصبح جزءً لا يتجزأ منه بل جعله صانع العمل، وهو ما ذهب اليه الفن المفاهيمي بتحويل المتفرج إلى مكان الفنان وهو المفهوم الذي أُشتغل عليه في السبعينيات من القرن الماضي.

الجسد: غياب.. فحضور

وإن شهدت «تنصيبة» صمّود غياب العنصر البشري في مساحة التنصيبة الأرضية فإنّ للجسد حضور من ثلاثة واجهات يمكن استقراءها؛ فمن واجهة اولى، نستشعر حضور الشخوص من خلال الأثر (الدمار)، وندرك ضحايا غزّة حاضرون حسّيّا من خلال رمزية الطرح ومدلولاته. أمّا من واجهة ثانية، فانّ الفنّان عمل على ان تكون شخوصه في لوحاته «الجدارية» مجمّعة ومتكتّلة؛ مبهمة وحائرة، وحائزة على جدار الحدّ وحارسة رقعة الأرض.

ومن واجهة أخرى، فإنّ الجسد حاضر من

خلال المتلقّى الذي قذف به الفنان من الوهلة الاولى، وبدون مقدّمات أو تمهيد، الى مسرح العرض، ليجد نفسه يتحرّك بين ثنايا الذات بين/تحت الانقاض؛ فيصبح المتلقّي -المخترق للتنصيبة والمُقحم في الفضاء- عنصرا من العناصر التشكيليّة،، عنصر ايجابيّ في علاقته بالعمل وبالفضاء وبافكار الفنان. وبالتالي، فانّ عرض مراد صمود يحيلنا الى فن التفاعل من خلال اشراك المشاهد في تجربة حسيّة يصبح جسده نفسه جزءا من العمل؛ بكتلته، بهمساته،، بنفساته،، بنظراته،، بتفاعلاته،، بين الرسومات الجدارية وبين ما بالقاع من كتل على اختلافها،،

سينوغرافيا التشكيل

لقد مثّل عرض «مراد صمود» مادة فنية قابلة للتلقّي والفهم، وبساط رحب يرحل بنا الى الاستقراء والتأويل الذاتي آلياته الترميز والايحاء؛ وقد جمّع الفنان الاحجام واللوحات، والمواد والالوان، والرسوم والاشكال، وعمل على المقابلات المفاهيمية على سبيل المثال؛ الوجه والقفا- الثنائي الابعاد والثلاثي الابعاد .. فاستمدّت الصورة الفنّيّة مقوماتها المشهديّة من ما قدمه الفنان من تركيبات تفاعليّة جعل المتفرّج فيها عنصرا من العمل، وعمّق الاحساس الدرامي حين ضخّ في تنصيبته مرادفات من قبيل؛ الحرب والسلم – الألم والأمل – الشخوص و«الحناضلة» في مراوحة بين الجداري والارضي – ...

وقدّم الفنّان تنصيبته في شكل رسالة الى العالم بطريقة معاصرة، فهو لم يحد عن اسلوبه الفنّي المتعارف عليه بعفويّته وتفاعلاته الحسيّة، إذ أدمجها في توليفة سينوغرافيّة- تشكيليّة مشهديّة بعيدة عن الابتذال رغم المباشرتيّة الشكليّة، وهي جُرأة كبيرة تُحسب له في تجربة مختلفة عن اعماله السابقة، فهي تبقى أثرا فنيّا وتعبيرة بعيدة عن كلاسيكية العرض والمعتاد. فقد وضّب فضاءه ووظّف عناصر تنصيبته بابداع واتقان، وأمّن بذلك وصول رسالته الفنية وضمن تلقّيها.

«غزّة وبعد...» ... «تحيّة وبعد...»

هكذا، على بساطة طرحها، حازت تركيبة صمّود عمقا سينوغرافيّا وبُعدا جماليّا،، تركيبة سهلة القراءة، تفهمها جميع الشرائح العمريّة فلا تتطلب مناجد وقواميس ولا تفاسير، فكان مشكّلها (الفنان) واقعيّا الى ابعد حد وبدون حدود الإبلاغ، معتمدا منهاجا بصريّا تواصليّا سلسًا.

عرض صمّود هو تعبيرة مشهديّة ممسرحة ومشكّلة، قمّة عقدتها في اختراق المتلقّي التنصيبة واقتحام المجال، ربما للمعاينة، للاستحضار، ولعلّه لتقدير مدى طمس الهويّة وفكّ بطاقة الأحقيّة، وهتك للعرض واغتصاب الارض. ويبقى العمل، في الأخير، أثرا حكائيّا،، سقطا من الواقع المرير، وتكون تنصيبة «غزّة وبعد...» وجعٌ، هلعٌ، فزع، ،، ولكن رغم الدّمار، رغم الحصار،، فإنّ غزّة تَحْيَى وتُحَيّيكم .. غزّة تقاوم. وهكذا هوّ الفن، شكل من أشكال المقاومة، ونافذة على المسكوت وتعرٍّ للمخفي وكشف للمتخفّي.

فضاء الإبداع

قصة

جاري التونسي الحرّ الأصيل

محمد صالح مجيّد

لي جار طيّب لست انكر حسن جواره.. موظف في الدولة التونسية لفظته المدرسة بعد سنوات معدودات قضاها في التعليم الثانوي،حام فيها حول البكالوريا دون ان يطالها.انتمى إلى التجمّع كي لا يعيّره خصومه بأنّه معارض!!!...اعتقد ان الانتماء إلى الحزب الحاكم سيمنحه وجاهة وسيبعد عنه أولاد الحرام ..مرّت الأيام دون أن يتحقق حلم الوجاهة أو حلم الحصول على منصب سياسي صغير, وظلّ رقما مهملا في عدّاد الحزب الحاكم الذي سبقه إليه كثيرون لنفس الغاية والسبب. دارت الأيام دورتها.وطحنت من طحنت,وأعلت من أعلت سقط النظام سنة2011لم يحزن ولم يبك رحيل صانع التغيير بل اعتبر ما جرى ثورة على الظلم !!!وبسرعة البرق نزع جلده القديم وارتدى جلد الثورة وانخرط في حزب المؤتمر «ذي اللحم المرّ»وأصبح مرزوقي الهوى لا يرى إلا المنصف المرزوقي طبيبا مداويا منقذا للبلاد وانضم إلى الحشود المصطفّة للتصفيق كلّما مرّ الدكتور الذي حكم البلاد رافضا تسلّم مرتّبه في آخر الشهر زهدا وكرها للمال.وكم حدّث عن الرئيس المتمسّك ببرنس الأصالة الذي اطرد الطبّاخين من القصر واقسم الّا يأكل إلّا من يديّ زوجته.!!!.وحدثني بصدق ونحن نعزّي اهل فقيد في الحيّ ،عن تفقّد المرزوقي لفوانيس القصر كلّ ليلة، وحرصه على الاقتصاد في الطاقة حتى أنّه لا ينام قبل أن يطمئنّ إلى أنّ كل فوانيس القصر منطفئة !!!

.لما خرج المرزوقي من الحكم واختفى حزب المؤتمر ظلّ جاري الطيّب حائرا بعد ان اخبره نهضاوي من أقاربه بانّ ابواب الانخراط في النهضةموصدة.ولما جادل قريبه وقال له لماذا جعلتم من الأمين العام للتجمع وزيرا فمستشارا عند الشيخ ورفضتم انخراطي!!؟؟؟ اجابه وصارحه بالقول :اسمع يا ابن عمي النهضة حزب مهيكل له مؤسساته.وهو يتكون من ثلاثة أجنحة بها تطير الحمامة الزرقاء : جناح سجناء الداخل و جناح المنفيين القادمين من الغربة في شوق إلى البلاد وخيراتها وجناح الوافدين الجدد مثلك الذين ا نتموا للنهضة او يريدون الانضمام إليها بعد وصولها إلى الحكم..ويخضع الوافدون إلى عمليات اختبارلولائهم مكثفةوإليهم توكل المهمات القذرة في اختراق الأحزاب الأخرى والوشاية. وهؤلاء يسهل التخلص منهم وإنكار علاقتهم بالحركة .ولا أريد لك يا ابن عمّي هذا المصير....

لما يئس جاري الطيب من الانضمام إلى حركة النهضة،نصحه تجمّعي سابق خبير في مجال اللعب، بالانضمام إلى»حركة الشعب» التي استقبلته وقرّبته وآمنته من خوف...

ظل جاري الطيّب ينشط في حزب حركة الشعب إلى أن ظهر قيس سعيّد فجأة وبزغ نجمه حتى صار رئيسا.عندها أصبح جاري الطيّب يسبّ العشرية السوداء،ويطالب بمحاسبة الفاسدين،ويناشدا الرئيس كي يضعهم في السجن.... مازال جاري يحمل أوراقه يرتبها ويعيد نسخها علّه يظفر بما جعله ينخرط في التجمّع منذ أن دخل عالم الوظيفة ..

وها أنا اشهد أن السياسة لوثة وان جاري تونسيّ طيّب

نعيمة سيرة مكان وذاكرة قليبية

اسمهان الماجري

الإهداء لمقهى دار الشعب قليبية لعم حميدة صاحب المقهى ولأصدقائي من المثقفين والرسامين الذين جعلوا من هذا المقهى ملتقى الفنون يوميا

كانت نعيمة امرأة تشدني كثيرا وهي تجوب طاولات "مقهى دار الشعب "كما نسميه بمدينة قليبية، كانت تدور بين الطاولات مرددة :"أعطيني ميا" لم أسمعها يوما تطلب أكثر من ذلك، بداية ظننت أنها تطلب هذا المبلغ الضئيل جدا كي لا تثقل كاهل أحد وكي يقدم لها الجميع هذا المبلغ، لكن علمت بعدها أنها لا تحب من القطع النقدية إلا القطع الصفراء والتي قيمتها أقل من دينار، شدني هذا الأمر كثيرا وجدته يشبه فلسفة خاصة في جمع أشياء معينة بشاكلة متطابقة، أتراها تشتري بهذه الأموال شيئا؟أتراها تجمعها في البيت لفكرة ما تراودها ولا تفهمها هي أيضا، كأن تصنع منها جبلا مع الأيام تقف على قمته وتلامس السقف كسماء ثانية أو تفرش أرضية الغرفة بهذه القطع وتنام وسطها؟لم لا؟ فأنا وإحدى صديقاتي أول سنة جامعية لنا كنا نجمع الكتب من رفوف مكتبتها، نفترش الأرض عمدا في فراشين متلاصقين ثم نرصف الكتب حولنا من جميع الجهات ونبدأ في القراءة إلى أن نقرر أن ننام وصباحا نستيقظ لتمسك كل منا بكتاب قبل فطور الصباح وقبل غسل وجهينا وقبل كل شيء ،ربما نعيمة تملك نفس الطقس لكن مع القطع النقدية الصفراء لا مع الكتب ،ربما من يدري ربما، أسأل كل هذه الأسئلة بيني وبين نفسي ثم كالعادة أنهرها ب :كم خيالك شاسع يا فتاة هل يجب أن تفلسفي كل شيء؟ألا تستطيعين أن تري الأمور دون تعقيد؟ هل تتبجحين بكم الكتب الذي قرأته وتريدين أن تجعلي من نعيمة شخصية أسطورية رغما عن أنفها وأنف كل رواد المقهى الذين لم تشدهم مثلك؟ غدا سينعتونك بالجنون وسيقولون نعيمة أعقل من اسمهان. أتريدين أن تجعلي من كل من حولك كائنات وجودية بامتياز ؟في حين أن أغلبها قد تختزل كل هذا الوجود في كل شيء إلا في تلك التفاصيل التي تراودك ،كفي كفي عن غبائك يا اسمهان .

نعيمة تمر يوما بعد يوم من أمامي وأنا أجلس على نفس الكرسي بمقهى "حميدة" كما أسميه أنا ومجموعة من أصدقائي المثقفين من شعراء ورساميين .....إلخ. أغيب أحيانا عن أحاديثهم عندما تدخل نعيمة من الباب الفاصل بين الجزء الداخلي من المقهى والجزء الخارجي حيث مسرح الهواء الطلق وحيث نجلس دائما. وهي ترتدي غالبا فساتين ملونة وجميلة مع أقراط من النوع الذي يعجبني من عقيق ملون ،أحيانا قليلة جدا توحي ملامح وجهها بأنها الحاضرة جسدا الغائبة وجودا وكأنها في المقهى جسدا وفي مكان آخر وجوديا أرى ذلك في عينيها اللتين توحيان بغيابها عن عالمنا أحيانا، وأحيانا أخرى تذكرني كثيرا بفلسفة نيتشة من فلسفات نيتشة في الحياة وهي فلسفة الضحك :"لقد أتيتك بشريعة الضحك فتعلم أيها الإنسان كيف تضحك" نعيمة أراها أحيانا صورة من صور نيتشة بهيئة أخرى وزمن آخر. لم أشفق على نعيمة يوما بل أحببتها كثيرا وربما في أحيان أخرى كثيرة كنت أغبطها على حصولها على الضحكات والسعادة بسهولة وبساطة وكأنما يكفي أن يكون اليوم دافئا قليلا كبدايات الربيع كي أشعر أنها سعيدة جدا ،أسعد مني أنا التي يمتلأ عقلي بأفكار ثقيلة جدا على ميزان حسي الإنساني وتافهة جدا في أعين بعض المقربين مني الذين يستنزفون أحيانا مزاجي الجميل لمجرد أنهم لم يكونوا بتلك المثالية التّي أردتها منهم والتّي أراها سهلة الصياغة خاصة مع إفصاحي عنها بكل بساطة وصلح مع الذات والإنسان والكون.

مقهى "حميدة" مليء بالمبدعين والمثقفين خاصة صباحا أو أيام الملتقيات الأدبية أو الفنية الكبيرة التّي تقام صيفا أخوض مع بعض أصدقائي من الرسامين والمثقفين والشعراء في مواضيع عدة من وجهات نظر فردية فلسفية وجودية أحيانا منهم من أغبطه كثيرا على إنتهاجه نهج البوهيمية في بعض طقوسه في ذات الوقت يقوم بأعمال فنية في غاية الدقة والجمال،ومنهم الجدي جدا الذي يخفي جنونه الجامح في روح حرة لكن تطير نحو الداخل لا نحو الخارج كما هو معروف عن الحرية التقليدية، أستمع للحوارات حول الفنون التشكيلية حول المدارس والألوان والأشكال و كبار الرسامين كبيكاسو وسلفادور دالي، فأتخيلني بورتريه خالد بريشة رسام عبقري، كما سبق وأن كنت قصائد كثيرة بأقلام شعراء يتبجحون بحبي أو بإعجابهم الجنوني واللذيذ بجنوني. أفكر بجدية لماذا لا آأخذ يوميا في الدعوة إلى أن يحمل كل رائد لهذا المقهى كتابا ويكفي أن يقرأ منه ولو صفحة واحدة في كل يوم بهذا المقهى، بدأت أتخيل المشهد الجديد للمقهى وأنا أبتسم وحدي كالمعتوهة وإذا بصوت أختي يخرجني من خيالي : "شبيك تتبسم وحدك ياخي هبلت" أتركها تخرج وأعود لعالمي الذي أظهر فيه معتوهة عندما أكون على انفراد، خيالي مشكلتي أحيانا يصور لي التمساح عصفورا، والبحر حمما بركانية وهكذا الأمر منوط بمزاجي اليومي أظن أن خيالي سيصيبني في يوم من الأيام بالجنون.

ثم أردد مع إيقاع مضحك بعض الأقوال الدارجة : "الي قراو ماتوا الي ماتوا قراو عليهم " "شمعناها نبطل ما تقراش خاطر باش نموت في يوم ما والقراية باش ياكلها الدود؟؟؟"

تراودني فكرة أن أعرف من أول شخص تلفظ بهذه الجملة، أريد أن أحضره من قبره أو برزخه أو جنته أو جهنمه وأجلسه أمامي وأقنعه بكم الحيوات التّي فاتته مع كل كتاب جيد لم يسعفه الحظ لقراءته، سأجعله يبكي ويتمنى لو يعود حيا كي يقرأ ولو كتابا واحدا يواجه به فلسفة الموت .

سأطالب بأن يحمل كل زائر لمقهى حميدة "كتابا" ولأنني دائما ما تراودني فكرة أن نهايتي الجنون فقط لأن منسوب الحس في دمي مرتفع إضافة لمعاناتي من ارتفاع ضغط الوجود بطريقة تهدد عقلي يوميا .....ربما سأجوب مقهى حميدة يوما مكان نعيمة و أردد عند كل طاولة أقف عليها "أعطيني صفحة ،أعطيني صفحة من كتاب" ولا تحدثوني عن رفض فكرة صفحة من كتاب فصفحة من كتاب في يد تريد أن تلتهم كلماتها لا يساوي صفحة من كتاب عند بائع البقول الجافة

عصافيرُ الشّرفة

صلاح بن عياد

كأنّها على موعدٍ مع الشّيخ التّسعينيّ القاطنِ بالطّابق الخامس بجيّ المنار. فما إن يُطلّ من الشّرفة بهامته المُرتعشة -كما قد يُرى ذلك بوضوح- حتّى تتوافدَ عصافير رماديّةٌ صغيرةٌ وتبدأ مهرجان تقاذفها هنا وهناك وفي إطلاق أصواتها بلا ترتيبٍ. كلّ مساءٍ، أنا على موعد مع المشهد نفسه بما أنّي أقطن في الجهة المُقابلة تمامًا وفي الطّابق الخامس أيضا. أرى كُلّ مساءٍ يد الشّيْخ اليُمنى ترتفع ببطء لتُلقيَ حُبَيْباتٍ لا أعرف ما هي بالضّبط لجمهور العصافير ذلك. إنّها تزوره لهذا السّبب منذ انتقلتُ للسّكن هُنا، أي منذُ ستّ سنواتٍ بالتّمام والكمال. اكتشفتُ الأمرَ في يومي الثّاني بينما أنا أبحث عن أيّ شيءٍ مميّز أعقد معهُ علاقةً غير عابرةٍ كما أنا متعوّدٌ دائمًا. لا يمكنني الإقامة في مكانٍ لا تربطني بمكوّنٍ من مكوّناته ولو علاقةٌ واحدةٌ منضبطةٌ. قدْ أعقد علاقتي المنضبطة تلك مع شجرةٍ، مع بنت الجيران أو أمّها (لا فرق)، مع مزهريةٍ وحيدةٍ تُطل من إحدى الشّرفات، مع مارّةٍ مواظبةٍ إلخ... عندما ينسدل الظلام يختفي الشّيْخ وتختفي معه العصافير بصخبها. حينذاك، لي أن أعود لأشيائي البسيطة في الدّاخل: العجّة، الحاسوب، المُوسيقى، الكتب، الصّور العارية، الحزن وآنية النّرجس الّتي أتّخذها شيئًا طبيعيًّا وحيدًا يُخفّف شخير السيّارات المُتواصل والعراك المتصاعد بين الأزواج تحتي لأسباب جنسيّة أساسًا كما لي أعتقد. هذا الأحد (أظنّه يوم أحد فدائما ما أضيع في أسماء الأيّام مع أني أعمل مدرّسًا مُطالبًا ببدء درسه بكتابة اليوم والتّاريخ والسّنة، لكني أنسى ذلك كما أنسى أسماء الطّلّاب) فُوجئت بالشيخ واقفًا عند الشرفة قبل الأوان. كان يتمسّكُ بالأعمدة الحديديّة الزّرقاء باحثًا هُنا وهُناك. لا شكّ أنه يبحث عن عصافيره. لا شكّ أنّ أمرا طرأ على حياته. قد يكون لم ينم أو به حاجة نفسية للعصافير في ذلك الوقت بالذّات. ظللتُ أراقب مشهده قرابة السّاعة إلى حين دخل الشّيخ بخطوات مُتردّدة كأنها التبست بلبوس اليأس. وعلى عكس أيّام آحادي الّتي أخشى نهايتها فإنّني تمنيت لأوّل مرّة أن يحلّ المساء بسرعة. وبعد ضجرٍ، قدم المساء منقوصا من الشيخ. أحسستُ كأنّ عاهةً حلّت بالمشهد أمامي برمّته. توافدت العصافير وتقاذفتْ في كلّ الاتّجاهات مطلقة أصواتها المعهودة بلا رحمةٍ.

لا شيخ!

ليلتها، لا أعرف كيف نمتُ ولا كم ساعةً. في صباح اليوم الموالي، كانت الحركةُ غيرَ عاديّةٍ في العمارة المقابلة. كان صوتُ مُقرئ القرآن ينبعث من تلك الشّرفة.

لا عصافير!

مساءً، كانت العصافيرُ تتقاذفُ في شرفتي: مددتُ يمناي مرتعشةً ومليئةً بفتات الخبز. لا أملك غيرها. قلّدت رعشة الشّيخ نفسها وهيأة الشّيخ نفسها. لعلّه دوري!